عجايب المقدور في نوايب تيمور

مما اعتنى بتأليفه العبد
الفقير الى الله تعالى احمد بن محمد
ابن عبد الله الشهير بابن عربشاه
غفر الله ذنوبه وستر
عيوبه بمنه وكرمه

وقف اكرم السلاطين من طبقات الملوك وابهى الخواقين بحسن السيرة
والسلوك السلطان ابن السلطان السلطان ابو المواهب
عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان ادام الله ايام
دولته واقام بضفته في تواريخ حشمته انا الداعي
الحاج ابراهيم حنيف المفتش بالحرمين
الشريفين المحترمين
عفي عنه

NURUOS[illegible] [illegible]GESİ

Kısım.	N . O.
Yeni Kayıt No.	2890
Eski Kayıt No.	3393
Tasnif No.	

4494

لا اله الا الله محمد رسول الله
صادق الوعد الامين

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

الحمد لله الذى على منوال ارادته وتدبيره تنسج مقاطع الامور ومن ينبوع قضايه الحى لج قدره تجرى تيار الاعصار والدهور اذاق بعض بنى ادم باس بعض ليبلوهم ايهم احسن عملا وهو العزيز الغفور وارسل عليهم فى القرن الثامن من الهجرة بحار فتن اقبلت كقطع الليل المظلم لم يدر احد ما هى واذا هى تيمور احمده حمد من كان على شفا حفرة من نارها فانقذه منها واشكره شكر من ورطه فيها عدله فانجته ايادى فضله عنها واشهد ان لا اله الا الله الحكم العدل الذى يقتص للمظلوم من الظالم يوم الفصل واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى ارسله رحمة للعالمين وجعله رسول الله وخاتم النبيين فاخبر صلى الله عليه وسلم عن السر المصون ونبأ بما كان فى الازل وبما يكون الى يوم يبعثون واستعاذ من غلبة الدين وقهر الرجال ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال صلى الله عليه صلوة تذكى المسك الاذفر فى صدور الكتب والتوا وتدنى لقائلها فى دار الجزاء ثمرات الحسنات من اعلى الشماريخ وعلى آله واصحابه الذين افاضوا سيول الفتح فى الاقاليم فغمروها وشيدوا اركان الاسلام واثاروا الارض بالايمان وعمروها بالعدل والاحسان اكثر مما عمروها وسلم تسليما غزيرا دايما ابدا كثيرا اما بعد

فلما كان فى التواريخ عبرة لمن اعتبر وتنبيه لمن افتكر واعلام ان قاطن الدنيا على سفر واحضار لصورة حال من مضى وغبر كيف قدر واقتدر ونهى وامر وبنى وعمر وختل وختر وغلب وقهر وكسر وجبر وجمع وادخر وتكبر وتجبر وكيف عبس وبسر وضحك واستبشر وتقلب فى اطواره من الطفوليه الى الكبر الى ان قلبته ايدى الغير

واختطفته

واختطفته وهو آمن ما يكون مخاليب القضاء والقدر فخالط ما صفا من عيشه الكدر وتنغص حتى ذهب عنه ما حلا ومر ان فى ذلك لعبرة لمن اعتبر وتذكرة لمن اذكر وتبصرة لمن استبصر وكان من اعجب القضايا بل من اعظم البلايا الفتنة التى يحار فيها اللبيب ويدهش فى دجى حندسها الفطن الاريب ويسفه فيها الحليم ويذل فيها العزيز ويهان الكريم قضية تيمور راس الفساق الاعرج الدجال الذى اقام الفتنة شرقا وغربا على ساق اقبلت الدنيا الدنية عليه فتولى وسعى فى الارض ليفسد فيها واهلك الحرث والنسل وتيمم حين عمته النجاسة الحكمية صعيد الارض فغسل بسيف الطغيان كل اغر محجل فتحققت نجاسته بهذا الغسل

اردت ان اذكر منها ما رايته واقص فى ذلك ما رويته اذ كانت احدى الكبر وام العبر والداهية التى لا يرضى القضا فى وصفها بذا القدر والله اسال الهام الصدق وسلوك طريق الحق انه ولى الاجابه ومسدد سهم المرام الى غرض الاصابه وهو حسبى ونعم الوكيل

فصل فى ذكر نسبه وتدرج استيلايه على الممالك وسببه

اسمه تيمور بتاء مكسوره مثناة فوقا ويا ساكنة مثناة تحتا وواو ساكنه بين ميم مضمومة وراء مهمله هذه طريقه املايه وفى التصريف زنه تبايه لكن كرة الالفاظ الاعجمية اذا تداولها صولجان اللغة العربيه خرطها فى الدوران على ابنا اوزانها ودحرجها كيف شاء فى ميدان لسانها فقالوا فى هذا تارة تمور واخرى تمرلنك ولم يجر عليهم فى ذلك حرج ولا ضنك وهو بالتركى الحديد ابن ترغاى بن ابغاى ومسقط راس ذلك الغدار قرية تسمى خواجه ايلغار وهى من اعمال الكش فابعدها الله من حش والكش مدينة

من مدن ما وراء النهر عن سمرقند نحو من ثلث عشر شهر قيل رُؤى ليلة
ولده كان شيئاً شبيه الخوذة تراءى طايراً في عنان الجو [illegible] ثم
سقط الى فضاء البدو ثم انبث على الارض وانتشر وتطاير منه مثل
الجمر والشرر وتراكم حتى ملأ البدو والحضر وقيل لما سقط الى
الارض ذلك السقيط كان كفاه مملوئتين من الدم العبيط فسالوا
عن احواله الزواجر والقافه وتفحصوا عن تاويل ذلك من الكهنه واهل
العيافه فقال بعضهم يكون شرطياً وقال بعض يكون لصاً
حرامياً وقال قوم بل يكون قصاباً سفاكاً وقال اخرون
بل يصير جلاداً بتاكاً وتظافرت هذه الاقوال الى ان آل امره الى ما
آل وكان هو وابوه من الفدادين ومن طايفة اوشاب لا عقل لهم ولا
دين وقيل كان من الحشم الرحاله والاوباش البطاله وكانت
ما وراء النهر ماواهم وتلك الضواحي مشتاهم وقيل كان ابوه
اسكافاً فقيراً جداً وكان هو شاباً حديداً جلداً ولكنه لما كان
به من القلة يتحرم وبسببه تلك الاصرام يتصرم ويتضرم ففي بعض
الليالي سرق غنمة واحتملها فضربه الراعي في كتفه بسهم فابطلها
وثنى عليه باخرى في فخذه فاختلها فازداد كسراً على فقره ولوماً
على شره ورغبة في الفساد وحنقاً على العباد والبلاد وطلب له
في ذلك الاضراب والنظراء وعشا عن ذكر الرحمن فقيض له من الشياطين
القرناء مثل عباس وجهانشاه وقماري وسليمان شاه وايدكو تيمور
وجاكو وسيف الدين خوارزميين لا دنيا لهم ولا دين وكان مع ضيق
يده وقلة عدده وعدده وضعف بدنه وحاله وعدم ماله
ورجاله يذكر لهم انه طالب الملك ومورده ملوك الدنيا موارد
الهلك وهم في ذلك يتناقلون عنه هذا النقل وينسبونه الى

كثي

كثرة الحماقه وقلة العقل ويدنونه ويقبلون اليه ليسخروا منه
ويضحكوا عليه **شعر** ان المقادير اذا ساعدت الحقت العاجز بالحازم
فشرع فيما يقصده والقضاء يرشده والقدر ينشده **شعر**

لا تؤيسنك من مجد تباعده ... فان للمجد تدريجاً وترتيبا
ان القناة التي شاهدت رفعتها ... تنمو فتنبت انبوباً فانبوبا

وكان في بلد الكش شيخ يسمى شمس الدين الفاخوري هو معتقد
تلك البلاد وعليه لكل من قصد شيئاً من امر الدين والدنيا الاعتماد
فذكر ان تيمور وهو فقير عاجز بين عز موهوم وذل ناجز لم يكن
له سوى ثوب قطني وانه باعه واشترى بثمنه رأس ماعز وقصد
الشيخ المشار اليه وعول فيما قصده عليه وقد ربط بطرف حبل
عنق ذلك العناق وربق عنق نفسه بالطرف الاخر من ذلك الرباق
وجعل يتشحط على عصا من جريد حتى دخل على ذلك الشيخ المفيد
فصادفه هو والفقراء مشغولين بالذكر ومستغرقين فيما هم فيه
من الوجد والفكر فلا زال قايماً حتى افاقوا من حالهم وسكتوا
عن قالهم فلما وقع نظر الشيخ عليه سارع الى تقبيل يديه واكب
على رجليه فتفكر الشيخ ساعه ثم رفع راسه الى الجماعه وقال
كان هذا الرجل بذل عرضه وعروضه واستمد بنا في طلب ما لا
يساوي عند الله تعالى جناح بعوضه فنرى ان نمده ولا نحرمه
ولا نرده فامدوه بالدعاء اسعافاً لما طلبه فاشبهت قصته
قصة ثعلبه ورجع من عند الشيخ وخرج وعرج بعد ما عرج
الى ما عرج وقيل انه كان في بعض تحرماته فضل الطريق صوره
كما ضلها معنى وشيبه وكاد يهلك عطشاً وجوعاً وسار على ذلك
اسبوعاً فوقع في اثناء ذلك على خيل السلطان فتلقاه الجشاري

في القاموس الجشار صاحب [illegible] الموضع الذي [illegible]

باللطف والاحسان ۰ وكان تيمور ممن يعرف خصايص الخيل بسماتها ۰
ويفرق بين هجانها وهجينها بمجرد النظر الى هياتها ۰ فاطلع الجشاري على
ذلك منه ۰ واخذ علم ذلك عنه ۰ وزاد فيه رغبة ۰ وطلب منه
دوام الصحبة ۰ وجهزه الى السلطان مع افراس طلبها منه ۰ واخبره
بفضيلته وما شاهده عنده ۰ فانعم السلطان عليه ۰ ووصى به
الجشاري ورده اليه ۰ فلم ينشب الجشاري ان مات فتولى تيمور
وظيفته ۰ ولا زال يترقى عند السلطان حتى تزوج شقيقته ۰ ثم
انه غاضبها في بعض مكالماته ومقاله ۰ فعيرته بما كان عليه من
اول امره وحاله ۰ فسل السيف ونحاها على انها تفر من بين يديه ۰
فلم تكترث ولم تلتفت اليه ۰ فضربها ضربة ازهق بها نفسها ۰ ربه صح
واسكنها رمسها ۰ ثم لم يسعه الا الخروج والعصيان ۰ والتمرد
والطغيان ۰ الى ان كان من امره ما كان وكان السلطان اسمه
حسين ۰ وهو من بيت الملك ونافذ الكلمتين ۰ وتخت ملكه مدينة
بلخ وهي من اقصى بلاد خراسان ۰ ولكن كانت بخارا واوامره جارية في ممالك
ماوراء النهر الى اطراف تركستان ۰ وقيل كان ابوه امير مائة عند
السلطان المذكور ۰ وهو بالجلادة والشهامة بين اضرابه مشهور ۰
ويمكن الجمع بين هذه الاقاويل باعتبار اختلاف الزمان ۰ وتنقل الاحوال
والحدثان ۰ والاصح ان اباه ترغاي المذكور كان احد اركان دولة السلطان ۰
ورايت في ذيل تاريخ فارسي يدعى المنتخب ۰ وهو من بدو الدنيا والى
زمان تيمور وهو شيء عجب ۰ نسبا يتصل منه تيمور الى جنكيز خان
من جهة النساء حبايل الشيطان ولما استولى تيمور على ماوراء النهر
وفاق الاقران ۰ تزوج بنات الملوك فزادوه في القابه كوركان ۰ وهو
بلغة المغول الختن ۰ لكونه صاهر الملوك وصار له بينهم سكن ۰

وكان

وكان للسلطان المذكور من الوزراء اربعة ۰ عليهم مدار المضرة
والمنفعة ۰ وهم اعيان الممالك ۰ وبرايهم تقتدي المسالك ۰ والترك
لهم قبايل وشعب ۰ تكاد توازي قبايل العرب ۰ وكل واحد من
هؤلاء الوزراء كان من قبيلة ۰ لسراج آرائه في تعميرها فتيلة طويلة ۰
قبيلة احدهم تسمى ارلات ۰ وقبيلة الثاني تدعى جلاير ۰ وقبيلة
الثالث يقال لها قاوجين ۰ وقبيلة الرابع اسمها برلاس ۰ وكان
جلدا صح تيمور ابن رابعهم في الناس ۰ فنشا شابا لبيبا ۰ هماما جازما اريبا ۰
فكان يصاحب نظراءه من اولاد الوزراء ۰ ويعاشر اضرابه من فتيان
الامراء ۰ الى ان قال لهم في بعض الليالي ۰ وقد اجتمعوا في مكان
خال ۰ واخذت منهم العزة والنشاط ۰ وارتفعت استار الاسرار
وامتد للبسط بساط ۰ ان جدتي فلانة ۰ وكانت من ذوي العيافة
والكهانة ۰ رات مناما ذاقت منه احلاما ۰ وعبرته بانه يظهر
لها من الاولاد والاحفاد ۰ من يدوخ البلاد ۰ ويملك العباد ۰ ويكون
صاحب القران ۰ ويذل له ملوك الزمان ۰ وذاك هو انا ۰
لي صح وقد قرب الوقت ودنا ۰ فعاهدوني ان تكونوا ظهرا وعضدا ۰
وجناحا ويدا ۰ وان لا تستحيلوا عني ابدا ۰ فاجابوه الى ما دعاهم
اليه ۰ وتقاسموا ان يكونوا في السراء والضراء معه لا عليه ۰ ولم
يزالوا يتجاذبون اطراف هذا الكلام ۰ في كل مقام ۰ ويتفاوضون
فيض غدير هذا الغدر من غير احتشام واكتتام ۰ حتى انتشر رقه
قاطن كل مصر وشام ۰ وخاض في حديثه كل قديم هجرة من خاص
وعام ۰ وشعر به السلطان وعلم ان خلافه في دوح المملكة بان ۰
فاراد ان يرد كيده في نحره ۰ ويريح الدنيا من شره ۰ والعباد
والبلاد من عاره وعره ۰ ويعمل بموجب ما قيل شعر

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى • حتى يراق على جوانبه الدم •
فاخبر بعض الناصحين فخرج • وهوى الى حضيض العصيان وهو سالم
فعرج ويمكن انه فى بعض هذه الاوقات • واثناء هذه الحالات •
توجه الى الشيخ شمس الدين المشار اليه • واستمده كما ذكر فيما عول عليه •
فانه كان يقول جميع ما نلته من السلطنه • وفتحته من مستغلقات
الامكنه • انما كان بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخورى • وهمة
الشيخ زين الدين الخوافى • وما لقيت بركه • الا بالسيد بركه •
وسياتى ذكر زين الدين وبركه • ثم قال تيمور ما فتحت ابواب السعاده
والدوله على • ولا ضحكت عروس فتوحات الدنيا الى • الا من سهام
سجستان • ومن حين اصابنى ذلك النقصان • انا فى ازدياد الى هذا
الاوان • والظاهر ان بدو امره وخروجه فى تلك الفئه • كان فيما
بين الستين والسبعين والسبع مايه وقال لى شيخى الامام العالم
العامل • الكامل المكمل الفاضل • فريد الدهر • وحيد العصر • علامة
الورى • استاد الدنيا • علاء الدين • شيخ المحققين • والمدققين •
قطب الزمان • مرشد الدوران • ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد
البخارى نزيل دمشق ادام الله تعالى ايام حيوته • وامد الاسلام
والمسلمين بميامن بركاته • فى شهور سنة ست وثلاثين وثمان مايه •
ان تيمور قتل السلطان حسين المذكور فى شعبان سنة احد وسبعين
وسبعمايه ومن ذلك الوقت استقل بالملك وكانت وفاته فى شعبان
سنة سبع وثمانمايه على ما سياتى فمدة استيلايه مستقلا ستة
وثلاثون سنة وذلك خارج عن مدة خروجه وتحرمه والى حين
استيلايه ولما خرج صار هو ورفقاوه يتحرمون فى بلاد ما وراء النهر
ويعاملون الناس بالعدوان والقهر • فتحرك لدفعهم كل طاعن وساكن •

وضيقوا عليهم تلك المغانى والاماكن • فقطعوا جيحون وصفر
منهم ذلك المكان • فاشتغلوا بالتحرم فى بلاد خراسان خصوصا فى
ضواحى سجستان • ولا تسل عما افسد فى مفاوز باورد وماخان •
فذهب بعض الليالى وقد اضربهم السغب • واشتعل فيهم من الجوع
اللهب • فدخل حايطا من حوايط سجستان • قد اوى اليه بعض رعاء
الضان • فاحتمل منها راسا وادبر • فشعر به الراعى وابصر • فاتبعه
للحين للحين • وضربه بسهمين • اصاب باحدهما فخذه وبالآخر كتفه •
فلله دره شاعرا اذ ابطل بهذا الضرب الموزون نصفه • ثم ادركه
واحتمله • والى سلطان هراة المسمى بملك حسين اوصله • فبعد ضربه
امر بصلبه • وكان للسلطان ابن رايه غير متين يدعى ملك غياث
الدين • فتشفع فيه • واستوهبه من ابيه • فقال له ابوه انه لم يصدر
عنك ما يدل على صلاحك • وسيسفر عن نجاحك وفلاحك • وهذا
جغتاى حرامى مادة الفساد • لين ابقى ليهلكن العباد والبلاد •
فقال ابنه وما عسى ان يصدر من نصف آدمى • وقد اصيب بالدواهى
ورمى • ولا شك ان اجله قد اقترب • فلا تكونن فى موته السبب •
فوهبه اياه • فوكل به من داواه • الى ان اندمل جرحه • وبرا قرحه •
فكان فى خدمة ابن سلطان هراه • من اعقل الخدم واضبط الكفاه •
فتوفرت عنده حرمته • وارتفعت درجته • وسمعت كلمته •
فعصى من نواب السلطان • نايبه المتولى على سجستان • فاستدعى
تيمور ان يتوجه اليه • فاجابه الى ذلك وعول عليه • واضاف اليه
طايفة من الاعوان • فوصل الى سجستان • وقبض على نايبها المتمادى
فى العصيان • واستخلص اموال تلك البلاد • واخذ من اطاعه من
الاجناد • وتلا آية العصيان بالجهر • وارتحل بمن معه الى ما ورا النهر •

وقيل بل كان في خدمة ابن السلطان الى ان ودع ابوه الحياة
وانتقل • واستقر ولده في الملك واستقل • فعند ذلك هرب تيمور
الى ما وراء النهر • وقد قوى منه الراس والظهر • وكان اذ ذاك وقد
اجتمع عليه رفقاؤه • وانحاز اليه اصحابه المتجرمون وعشراوه •
فارسل غياث الدين الطلب وراهم • وقصد ان يكفي المسلمين شرهم
وعناهم • وهيهات فقد كان سبق العذل السيف • وضيع اللبن
في الصيف **ذكر عبوره جيحون على فتره • وما اجرى من عبرات بهذه
العبره** فوصل تيمور وجماعته الى جيحون وكان اذ ذاك مثلهم طاغيا •
ولم يمكنهم التواني لان الطلب كان شبيههم باغيا • فقال تيمور
لاصحابه النجا النجا • ليتعلق كل منكم بعنان فرسه ومعرفته وليلق
نفسه في الماء • وتواعدوا الى مكان • وقال توجهوا من غير توان • فمن
لم يات الموعد • يعلم انه قد فقد • فنها فتوا هم وخيولهم في ذلك
الماء العجاج • والتيار الزخار والامواج • تهافت الفراش على السراج •
ولم يعلم واحد منهم حال الآخر • ولا اطلع من تقدم منهم على امر
من تاخر • وكابدوا احوال الموت • وشاهدوا اهوال الفوت •
فنجوا ولم ينقص منهم واحد • واجتمعوا الى ذلك الموعد • وذلك
بعد ان امنت منهم البلاد • واطمانت في مسالكها كل رايح وغاد •
فجعلوا يتجسسون الاخبار • ويتبعون الآثار • ويحاربون الله ورسوله •
ويبودون عباده ويقطعون سبيله • ولم يزل على ذلك يجري ويمشي •
الى ان قصد مدينة قرشي **ذكر ما جرى له من خبطه • في دخوله
الى قرشي وخلاصه من تلك الورطه** فقال يوما لاصحابه • وقد اضربه
الدهر واضرابه • واخصب منهم ربع الفساد واعشب • ان بالقرب منا
مدينة نخشب • مدينه ابي تراب النخشبي رحمة الله عليه • مدينه

مصونه • مستوره مكنونه • لئن ظفرنا بها لتكونن لنا ظهرا وملاذا • وملجأ
ومعاذا • وان حاكمها موسى لو حصلناه • واخذنا ماله وقتلناه •
لتقوينا بماله من خيول وعدده • وحصل لنا فرج بعد الشده • وانا
اعلم لها من ممر المآذر بابا • هين الدخول واسعا رحبا • فشمروا ذيلهم •
وتركوا في مكان خيلهم • واستعملوا في نيل مرادهم ليلهم • ودخلوا
حصن المدينه وقصدوا بيت الامير • ورفعوا ايديهم وصادفوا ايديهم
والحصير • وكان الامير في البستان خارج البلد • فاخذوا ما وجدوا
له من اسلحة وعدد • وركبوا خيله • وقتلوا من وجدوا من الاكابر
غيله • فاجتمع عليهم اهل البلد • وارسلوا الى الامير فادركهم بالمدد •
فتراكم عليهم البلاء باطنا وظاهرا • فلم يجدوا لهم سوى الاستسلام
ناصرا • فقال له اصحابه لقد القينا بانفسنا الى حقيقه الهلاك من
هذا المجاز • فقال لا عليكم ففي مثل هذه المواطن يمتحن الرجل ويراز •
فاجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا • واندفعوا نحو باب المدينه يدا واحده
زحفا • حاطمين على العدو • من غير توان ولا هدو • فاني اظن انه
لا يثبت لكم شي • ولا يقف امامكم حي • فامتثلوا امره ورفعوا الصوت
وقصدوا الباب خايضين غمار الموت • وهجموا على العساكر هجوم
الليث • واندفقوا ولا اندفاق الغيث • ففتح لهم عند فتح الباب
لامر يريده مسبب الاسباب • فلم يلووا امامهم احد على احد • ولا
نفعه ما هو فيه من العدد والعدد • ثم انثنوا الى مكانهم سالمين •
ولم يزالوا على ذلك عايثين عابثين • واجتمع عليهم اصحابهم • وانحاز
اليهم في الفساد اضرابهم • فصاروا نحوا من ثلثمائه • ولمن يتحيز اليهم
من اهل الشر فئه • فارسل السلطان اليهم عسكرا غير مكترث بهم
فكسروه • واستولوا على حصن من الحصون فجعلوه معقلا لكل ما

ادخروه فلت ، لاتحقرن شان العدو وكيده ، فلربما صرع الاسود الثعلب
وقيل ان البعوضة تدمي مقلة الاسد ، وقيل فربما قمرت بالبيدق الشاه ،

ذكر من استرقه ذلك الجاف ، من احرار ملوك الاطراف ،

وراسل تيمور ولاة بلخشان ، وكانت الولاية بها لاخوين وهما بها
مستقلان ، تلقيا ذلك عن ابيهما ، وكان السلطان نزعها من ابيهما
ثم اقرهما فيها على ان يكونا من تحت امره ، واسترهن اولادهما عنده
فصارا اسيري قهره ، فلما راسلهما تيمور على طاعته ، اجاباه ودخلا
تحت كلمته ،

ذكر نهوض المغل على السلطان ، وكيف تضعضعت منه الاركان

ثم ان المغول نهضت من جهة الشرق على السلطان
حسين ، فاستعد لهم وقطع جيحون ووقع الحرب بين الجهتين ، فانكسر
السلطان ، فراسلهم ايضا ذلك الجان ، واسم حاكمهم قمر الدين
خان ، فاجابوا مراده ، واتفقوا ما اراده ، وسلطوه على السلطان
ليتخلص من يده بلاده ، وواعدوه بمصاهرتهم ، وامدوه بمظاهرتهم
ورجعوا الى بلادهم ، وقد اسلموه زمام قيادهم ، فقويت بذلك
شوكته ، وسكنت القلوب هيبته ، فلم يسع السلطان الا بذل
الجهد والامكان في اطفاء نائرته ، وقطع دابرته ، فجعله نصب
عينيه ، وتوجه بنفسه اليه ، بعسكر جرار ، كالبحر الزخار ، حتى
انتهى الى مكان يسمى قاغلغا وهو صدفان ، بينهما مضيق هو الجادة
العظمى والطريق ، يسير المار في ذلك مقدار ساعة ، وفي وسط الدرب
باب اذا اغلق واحمي فلا شي مثله في المناعة ، وحواليه جبال كل منها
عرنينه قد شمخ ، وقدمه قد غاص ثبوتا ورسخ ، فصح ان يقال فيه
انف في السما ، واست في الما ، فاخذ العسكر فم ذلك الدربند ،
من جهة سمرقند ، وتيمور على الجانب الاخر ، وهو كالمضايق والمحاصر ،

ذكر الحيلة التي صنعها ، والخديعة التي ابتدعها

فقال تيمور
لاصحابه اني اعرف هنا جادة خفية ، مسالكها ابية ، لا تطؤها الخطا ،
ولا يهتدي اليها القطا ، فهلموا نسري ليلنا ، ونقود في المسرى خيلنا ،
فنصبحهم من ورائهم وهم امنون ، فان ادركناهم ليلا فنحن الفائزون ،
فاجابوه الى ذلك ، وشرعوا في قطع تلك الوعور والمسالك ، وساروا
ليلهم اجمع ، وبلغ الفجر المطلع ، فادركهم الصباح ولم يدركوا الجيش ،
فضاقت عليهم الارض بما رحبت وتنكد لهم العيش ، ولم يمكنهم
الرجوع ، واذنت الشمس بالطلوع ، فوصلوا الى العسكر وقد اخذ
في التحمل ، وعزم على الرحيل ، فقال اصحابه بئس الراي فعلنا ،
في قبضة العدو حصلنا ، لقد وقعنا في الاشراك ، والقينا بايدينا
انفسنا الى الهلاك ، فقال تيمور لا ضرر ، توجهوا نحو العسكر ،
وانزلوا بمراى منهم عن خيلكم ، واتركوها ترعى واقضوا من ورد النوم
والراحة ما فاتكم في ليلكم ، فتراموا عن خيلهم كانهم صرعى ، وتركوا
خيولهم ترعى

شعر

واذا السلامة اخرستك عيونها ، نم فالمخاوف كلهن امان
واصطد بها العنقا فهي حبايل ، واقتد بها الجوزا فهي عنان

فجعل العسكر يمر بهم ، ويخال انهم من حزبهم ، حتى اذا استراحوا ،
ركبوا خيولهم وصاحوا ، ووضعوا السيوف في اعدايهم ، راكبين
اكتافهم من ورائهم ، فقتلوا قتلا ذريعا ، وغادروهم جريحا وصريعا ،
وعم الخطب المدلهم ، ولم يعلم احد البلا كيف دهم ، واتصل الخبر
بالسلطان ، وقد خرج التلافي عن حيز الامكان ، فهرب الى بلخ ،
وقد سلخ من المملكة اي سلخ ، وشرع تيمور في النهب ، والغارات والسلب ،
ثم ضبط الاثقال ، وجمع الاموال ، ولم رعاع الناس والمداره ،

وادا السعادة لاحظتك
اي الغلبة على المال والقهر
جمع المداره وهو زعيم القوم والمتكلم عنهم صح
الرعاع السفلة من الناس

واطاعوه وهم ما بين راض وكاره فاستولى على ممالك ما وراء النهر
وتسلط على العباد بالغلبه والقهر واخذ فى ترتيب الجنود والعساكر
واستخلاص الحصون والدساكر وكان نايب سمرقند واحد الاركان
شخصا يدعى على شير من جهة السلطان فكاتبه تيمور على ان يكون
الممالك بينهما نصفين ويكون معه على السلطان حسين فرضى
على شير بذلك وقاسمه الولايات والممالك وتوجه اليه وتمثل
بين يديه فزاد فى اكرامه وبالغ فى احترامه **ذكر توجهه الى**
بلخشان واستنصاره بمن فيها على السلطان ثم انه ترك على شير
بعد ما ركن اليه وقصد بلخشان فاستقبله ملكاها وتمثلا بين
يديه واتحفاه بالهدايا والخدم وامداه بالجيوش والحشم فسار
وهما معه من بلخشان قاصدين بلخ لمحاصرة السلطان فتحصن منهم
فاحاطوا به من كل مكان فاخرج اولادهما الذين كانوا عنده فى
الرهان فضرب اعناقهم بمرأى من ابويهم ولم يرق لهم ولا من
عليهم ثم انه ضعف حاله وقل عنه خيله ورجاله فنزل
مستسلما للقضاء والقدر راضيا بما ذهب فى قضاء الله من مر
حلاوة فقبض عليه تيمور وضبط الامور ثم رد اميرى بلخشان
اليها مكرمين وتوجه الى سمرقند ومعه السلطان حسين **وذلك فى**
شعبان سنه احدى وسبعين بعد ما خلا من الهجرة سبع مايه سنين
فوصل الى سمرقند واتخذها دار ملكه وشرع فى تمهيد قواعد الملك
ونظمها فى نظام سياسته وسلكه ثم انه قتل السلطان واقام
من جهته شخصا يدعى سيورغاتمش من ذرية جنكيز خان وقبيلة جنكيز
خان هم المنفردون باسم الخان والسلطان لانهم هم قريش الترك لا
يقدر احد ان يتقدم عليهم ولا يمكن احد من انتزاع ذلك الشرف من

ايديهم ولو قدر احد على ذلك لكان تيمور الذى استخلص الممالك
وسلك المسالك فرفع سيورغاتمش دفعا للمطاعن وقطعا للسان
كل طاعن وانما لقب تيمور الامير الكبير وان كان فى اسره كل
آمر منهم ومأمور والخان فى اسره كالحمار فى الطين وشبيه الخلفاء
بالنسبة فى هذا الزمان الى السلاطين واستمر بعلى شير نايبا فى
سمرقند فكان يكرمه ويستشيره فى اموره ويقدمه **ذكر وثوب**
توقتاميش خان سلطان الدشت وتركستان ثم ان
توقتاميش خان سلطان الدشت والتتار لما راى ما جرى بين تيمور
والسلطان حسين فارد قلبه وغاره وذلك لعلة النسب وسبب
الجوار وهيا العسكر الجرار والجيش الزخار وتوجه الى مصاف تيمور
من جهة سغناق واترار قريبا من نهر خجند وهو نهر سيحون وسمرقند
بين نهرى سيحون وجيحون فقامت بين العسكرين سوق المحاربه ولم
يتفق بينهم فيها سوى معاملات المضاربه ولا زالت رحى الحرب
تدور الى ان انطحن تيمور فبينا عسكره قد فل وعقد جنوده انحل عسكره صح
واذا برجل يقال له السيد بركه قد اقبل فقال له تيمور وهو فى اقبال الد بركه
غاية الضرر يا سيدى السيد جيشى انكسر فقال له السيد لا تخف
ثم نزل السيد عن فرسه ووقف واخذ كفا من الحصا وركب
فرسه الشهبا ونفحها فى وجه عدو تيمور المردى وصرخ بقوله ياغى
قاجدى فصرخ بها ايضا تيمور تابعا ذلك الشيخ النجدى وكان
عباسى الصوت فكانه دعا الابل الظما بجوت جوت فعطفت يقال للابل جوت جوت
عساكره عطف البقر على اولادها واخذت فى المجالدة مع اضدادها اذا دعوتها الى الماء صح
واندادها ولم يبق فى عسكره من جذع ولا قارح الا وهو يقوله
ياغى قاجدى صايح ثم انهم كروا كرة واحدة بهمة متعاقدة

ونهم متعاضده • فتراجع جيش توقتاميش منهزمين • وولوا على اعقابهم
مدبرين • فوضع عسكر تيمور فيهم السيوف • وسقوهم بهذا الفتوح
كاسات الحتوف • وغنموا الاموال والمواشي • واسروا الاوساط
الروس والحواشي • ثم رجع تيمور الى سمرقند • وقد ضبط امور
تركستان وبلاد نهر خجند • وعظم لديه السيد بركه • وحكمه في
جميع ما استولى عليه وملكه • وهذا السيد اختلف القول فيه
فمن قايل انه كان مغربيا بمصر حجاما • فذهب الى سمرقند وتسيد بها
وعلا قدره وتسامى • ومن قايل انه كان من اهل المدينه الشريفه •
ومنهم من يقول انه من اهل مكة المنيفه • وعلى كل حال فانه كان
من اكبر الاعيان • في بلاد ما ورا النهر وخراسان • لا سيما وقد امد
تيمور بهذه النجده • وخلصه بهذه اللطيفه المصادفه للقضاء
والقدر من هذه الشده • فقال له تيمور تمن علي • واحتكم لدي •
فقال له يا مولانا الامير • ان اوقاف الحرمين الشريفين في الاقاليم
كثير • ومن جملة ذلك اندخوي في ممالك خراسان • وانا واولادي
من جملة مستحقي ذلك الاحسان • واذا اقيم اصل ذلك وحصصه •
وعلم قصه وخصه • وضبطت اوقافه • ومصارف ذلك وصرافه •
ما كانت حصتي وحصة اولادي • اقل من هذه القصبة في هذا
الوادي • فاقطعني اياها • فاقطعه اياها مع مضافاتها واعمالها
وقراها • وهي الى الان في يد اولاده • واسباطه واحفاده •

ذكر علي شير مع تيمور وما وقع بينهما من المخالفه والشروره

ثم ان تيمور وقع بينه وبين علي شير مخالفه • والجا الى كل منهما
طايفه • فاعتنا له تيمور وختله • ثم قبض عليه وقتله • فصفت
الممالك والولايات لتيمور بعض الصفا • وهرول الى طاعته من الناس

كل وجه وراين كانا في التاني وقفا •

ذكر ما جرى لدعار سمرقند والشطار مع تيمور وكيف احلهم دار البوار

وكان في سمرقند
طايفه من الدعار كثيرون • وهم انواع فمنهم مصارعون ومثاقفون
وملاكمون ومعالجون • وهم فيما بينهم فرقتان كالقيس واليمن • والعداوة
والمقاتلة بينهم قايمة على مر الزمن • ولكل طايفه منهما روس وظهور
واعضاد وضروس • وكان تيمور مع ابهته يخافهم • لما كان يظهر له منهم
عنادهم وخلافهم • وكان اذا قصد جانبا • اقام له في سمرقند نايبا •
فاذا بعد عن المدينه خرج من تلك الجماعه طايفه • فخلعوا النايب
او خرجوا مع النايب واظهروا المخالفه • فما يرجع تيمور الا وقد انفرط
نظامه • وتخبطت اموره وتشوش مقامه • فيحتاج الى تجديد تمهيد •
وتخريب وتشييد • فيقتل ويعزل • ويعطي ويجزل • ثم يتوجه لتمهيد
ممالكه • وتوطيد مسالكه • فيعودون الى عكرهم • ويثوبون الى ختلهم
ومكرهم • وتكررت هذه القضية نحوا من تسع مرار • فضاق تيمور
ذرعا بالاشرار والدعار • فاعمل الحيلة في اغتيالهم • وكف اذاهم
واستيصالهم • فصنع سورا • ودعا اليه الخلايق كبيرا وصغيرا •
وصنف الناس اصنافا • وجعل كل ذي عمل الى عامليه مضافا •
وميز اوليك الدعار مع روسايهم على حده • وفعل معهم ما فعله انوشروان
ابن كيقباد بالملاحده • وارصد له في احد الاطراف انصارا • وقرر معهم
ان كل من ارسله اليهم يولونه دمارا • ويكون ارساله اليهم على
قتله شعارا • ثم انه جعل يدعو روس الناس • ويسقيهم بيده
الكاس • ويخلع عليهم افخر اللباس • واذا افضت النوبه من اوليك
الدعار الى احد • سقاه كاسه وخلع عليه واشار ان يتوجه به الى
نحو الرصد • فاذا وصل اليهم خلعوا عنه خلعته بل وثوب الحيوه

وطد وطدا: احكم

اي اصلهم

الرصد قوم يرصدون اي يرقبون يستوي فيه الواحد والجمع والمونث وربما قالوا ارصاد صحاح

فهتكوهم ، وسكبوا عسجد قالبه في بوتقة الفناء فسبكوه ، الى ان اتى
على آخرهم ، واستوفى بذلك قطع دابرهم ، ومحا آثارهم ، واطفأ
نارهم ، فصفت له المشارع ، وخلا ملكه عن مجاذب ومنازع ، ولم
يبق له في ما وراء النهر ممانع ولا مدافع **فصل** في تفصيل ممالك سمرقند
وما بين نهري بلخشان وخجند ، فمن ذلك سمرقند وولاياتها وهي سبعة
تومانات ، واندكان وجهاتها وهي تسعة تومانات ، والتومان عبارة
عما يخرج عشرة آلاف مقاتل ، وفي ما وراء النهر من المدن المشهورة ،
والاماكن المعتبرة المذكورة ، سمرقند ومسورها قديما على ما
زعموا اثنا عشر فرسخا وكان ذلك على عهد السلطان جلال الدين قبل
جنكيز خان ، ورأيت حد مسورها من جهة الغرب قصبة بناها تيمور
وسماها دمشق ومسافتها عن سمرقند نحو من نصف يوم والناس الى
الآن يحفرون سمرقند العتيقة ويخرجون دراهم وفلوسا سكتها بالخط
الكوفي يسبكون الفلوس ويخرجون منها فضة ، ومن مدن ما وراء النهر
مرغينان ، وهي التخت كانت قديما وبها كان ايلك خان ، ومنها خرج الشيخ
الجليل العلامة برهان الدين المرغيناني صاحب الهداية رحمه الله تعالى ،
وخجند وهي على ساحل سيحون ، وترمذ وهي على ساحل جيحون ، ونخشب
وهي قرشي المذكورة ، والكش وبخارا واندكان وهي اماكن مشهورة ، وغير
ذلك ، ومن الولايات بلخشان ، ومما لك خوارزم واقليم صغانيان ،
الى غير ذلك من الاطراف الواسعة ، والاكناف الشاسعة ، وفي
عرفهم ما وراء جيحون الى جهة الشرق توران ، وما كان في هذا الطرف
الى جهة الغرب ايران ، ولما اقتسم كيكاوس وافراسياب البلاد ،
كانت توران لافراسياب وايران لكيكاوس ابن كيقباد **فصل** في
ذكر ابتداء ما فعله من التسلط بالقهر ، بعد استصفائه ممالك ما

وراء النهر

وراء النهر ، ولما صفت له ممالك ما وراء النهر ، وذلت لاوامره جوامح
الدهر ، شرع في استخلاص البلاد ، واسترقاق العباد ، وجعل ينسج
بانامل الحيل الاشراك والاوهاق ، ليصطاد بذلك ملوك الاقاليم
وسلاطين الآفاق ، فاول ما صاهر المغول وصافاهم ، وهادنهم
وهاداهم ، وتزوج بنت قمر الدين ملكهم ، وصار آمنا من تبعتهم
ودركهم ، وهم جيرانه من جهة الشرق ، ولا تباين بينه وبينهم ولا
فرق ، اذ العلة وهي الجنسية والمجاورة حاصلة للجهتين ، والملة
وهي التورة الجنكيز خانية ممشاة في كلا الدولتين ، فامن شرهم
وكفي كيدهم وضرهم ، **ذكر تصميم العزم وقصد الاطراف
واولا ممالك خوارزم** فحين امن مكرهم ، وسد بالمصاهرة ثغرهم ،
صمم العزم ، على التوجه الى ممالك خوارزم ، وهم مجاوروه غربا
بشمال ، ومباينوه بتمشية قواعد الاسلام ، وتختهم مدينة جرجان ،
وهي من اعظم البلدان ، وهذه المملكة ذات مدن عظيمة ، وولايات
جسيمة ، تختها مجمع الفضلاء ، ومحط رحال العلماء ، ومقر الظرفاء
والشعراء ، ومورد الادباء والكبراء ، ومعدن جبال الاعتزال ، وينبوع
بحار اهل التحقيق من ارباب الهدى والضلال ، نعمها كثيرة ، وخيراتها
غزيرة ، ووجوه فضائلها منيرة ، واسم سلطانها حسين صوفي
وهو من الاعتقادات الباطلة عوفي ، ومدن ما وراء النهر وضع بعضها
قريب من بعض ، لانها كلها مبنية باللبن والآجر على الارض ، واهل
خوارزم كاهل سمرقند في اللطافة ، وافضل من اهل سمرقند في
الحشمة والظرافة ، يتعانون الشاعرة والادب ، ولهم في فنون
الفضل والمحاسن اشياء تعجب ، خصوصا في معرفة الموسيقى والانغام ،
ويشترك في ذلك الخاص منهم والعام ، ومما هو مشهور عنهم ان

الطفل في المهد منهم ، اذا بكى اوقال آه ، فان ذلك يكون في شعبة
دوكاه ، فلما وصل تيمور الى خوارزم كان حسين صوفي غايبًا عنها ،
فنهب حوالها وما وصلت يده اليه منها ، ولم يقدر عليها ، فلم يكترث
بها ولا التفت اليها ، ثم لم اطراف حاشيته ، وعاد الى مملكته ،
ذكر عوده ثانيا ، الى خوارزم ثانيا ثم انه شد حزام الحزم ،
وكر ثانيا الى خوارزم ، باستعداد تام ، وجيش طام ، وكان
سلطانها ايضا غايبا ، فاقام لجميلة بكرها خاطبا ، فحاصرها ،
وضاجرها ، وشدد على اعناق مسالكها التلابيب ، وكاد ان يتشبث
باذيالها منه المخاليب ، فخرج اليه رجل من اعيانها ، كان تاجرا
وله قدم صدق عند سلطانها ، يقال له حسن سورنج ، والتمس
منه ان يرفع عنهم ذلك الامر المريج ، وان يبذل له ما طلب ، في
مقابلة ما يريد من التسيير وسلب ، فطلب منه حمل ماية بغل فضة ،
ترفع الى خزانته نصه ، فلم يزل يراجعه ، ويلاطفه ويمانعه ،
حتى صالحه على ربع سؤاله ، وقام المصالح بذلك من ماله ، وصلب
حاله ، ووزن ذلك في الحال ، واخذ تيمور في الترحال ، وكف عن
الاذى شياطين جنده ، وعزم على التوجه الى سمرقنده ، **ذكر
مراسلته ملك غياث الدين سلطان هراه ، الذي خلصه من الصلب
وراود فيدا اباه** ثم انه راسل سلطان هراه ملك غياث الدين الذي
كان مغيثه ، عملا بقوله كتب الله على كل نفس خبيثه ، وطلب منه
الدخول في ربقة الطاعة ، وحمل الخدم والتقادم اليه بحسب
الاستطاعة ، والا فقصد دياره ، وبلغه دماره ، فارسل ملك غياث
الدين يقول ، صحبة الرسول ، اما كنت خادما لي واحسنت اليك ،
واسبلت ذيل احساني ونعمي عليك ، فخنت وقتلت ، وفتكت

وقتلت

الحاشية واحدة حواشي الثوب وهي جوانبه ٥ صحاح

وقتلت ، وفعلت فعلتك التي فعلت ، وذلك بعد ان نجيتك من الضرب
والصلب ، فان لم تكن انسانا يعرف الاحسان فكن كالكلب ، فعبر
جيحون وتوجه اليه ، فلم يكن لغياث الدين قوة الوقوف بين يديه ،
فارسل الى حشمه وسكان قراه ، فاجتمعوا هم ومواشيهم حول
هراه ، وحفر خندقا حول البساتين ، محيطا بالرباع وضعفة
المساكين ، وحصر نفسه في القلعة ، وحسب ان يكون له بذلك
منعه ، وذلك لركاكة رايه اولا وجمود قريحته ، وقلة عقله
وانعكاس فكره ودولته ، فلم يكترث تيمور له بقتال وحصار ،
ولكن احاطت به العساكر دايرا ما دار ، ومكث تيمور في الامن والدعه ،
وعدوه في الضيق بعد السعه ، واضطربت الروس والحواشي ، وماتت
الانعام والمواشي ، وغص البلد بالزحام ، وهلكت الخواص والعوام ،
واضناهم الوصب ، وانضاهم السغب ، وعلاهم الصراخ والصخب ،
فارسل اليه السلطان ، يطلب منه الامان ، وعلم انه اختنق
بسببه ، وانه اعانه اولا فبلي به ، فذكره سابقة العرفان ،
وما اسداه اليه من احسان ، وطلب منه تاكيد الامان بالايمان ،
فحلف له تيمور انه يحفظ له الذمام القديم ، وان لا يراق له دم ولا
يمزق له اديم ، فخرج اليه ، ودخل عليه ، وتمثل بين يديه ، فدخل
تيمور الى المدينه ، وصعد الى قلعتها الحصينه ، وصحبته السلطان ،
وقد احاطت به جنود هراه والاعوان ، فاشار واحد من ابطال
صاحب هراه ، على السلطان ان يقتل تيمور ويجعل نفسه فداه ، وقال
له ما معناه انا افدي المسلمين بنفسي ومالي ، واقتل هذا الاعرج
ولا ابالي ، فلم يجبه الى اشارته ، واستسلم لقضا الله تعالى وارادته ،
وقال ان لله تعالى تصريفا في عباده ، ولا بد ان ينفذ فيهم مراده ،

ولا مفر من القضا • ولا محيد عما قدره الله تعالى وقضى **شعر**

واذا اتاك من الامور مقدر • وفررت منه فنحوه تتوجه

وهذا سر لا بد من ظهوره • فلا تبحث عن حقيقة اموره • فمن غالب القضا غلب • ومن ناهب الزمان سلب • ومن قاوى تيار المقدور غرق • ومن استلذ بالغفلة مشارب اللهو شرق • وذكر عند ذلك مقالا بيه له واطلع على تحقيقه • ولكن السهم خرج فما امكن رده الى فوقه •

الشرق بفتح الرا الشجا والغصة وقد شرق بريقه اى غص صحاح

ذكر اجتماع ذلك الجافى بالشيخ زين الدين ابى بكر الخوافى •

وكان فى بعض قدماة خراسان نسمع ان فى قصبة خواف • رجلا قد منحه الله تعالى الالطاف • عالما عاملا • كبيرا فاضلا • ذا كرامات ظاهره • وولايات باهره • وكلمات زاهره • ومقامات طاهره • ومكاشفات صادقه • ومعاملات مع الله تعالى بالصدق ناطقه • يدعى الشيخ زين الدين ابا بكر • لطاير اجتهاده فى حظيرة القدس اعلى وكر • فقصد تيمور رؤيته • وتوجه اليه وجماعته • فقالوا للشيخ ان تيمور قادم عليك وواصل اليك • بقصد رؤيتك • ويرجو بركتك • فلم يفه الشيخ بلفظه • ولا رفع لذلك لحظه • فوصل تيمور اليه • فنزل عن فرسه ودخل عليه • والشيخ مشغول بحاله على عادته • جالس فى فكره على سجادته • فلما انتهى اليه • قام الشيخ فاخذ ودب تيمور منكبا على رجليه • فوضع الشيخ على ظهره يديه • قال تيمور لولا ان الشيخ رفع يديه عن ظهرى بسرعة لخلته ارض • ولقد تصورت ان السما وقعت على الارض • وانا بينهما رضضت اشد رض • ثم انه جلس بين يدى ذلك المنتخب • على ركبتى الادب • وقال له بالملاطفة فى المحاوره • على سبيل الاستفهام لا المناظره • يا سيدى الشيخ لم لا تامرون ملوككم بالعدل والانصاف • وان لا يميلوا الى الجور والاعتساف • فقال له

الشيخ

الشيخ امرناهم وتقدمنا بذلك اليهم • فلم ياتمروا فسلطناك عليهم • فخرج من فوره من عند الشيخ وقد قامت منه الحدبه • وقال ملكت الدنيا ورب الكعبه • وهذا الشيخ هو الموعود بذكره • ثم ان تيمور قبض على ملك هراه • واحتاط على ما ملكت يداه • وضبط ولاياتها جانبا جانبا • وقرر لكل جانب نايبا • وتوجه الى سمرقند قافلا • لما امكنه • وحبس السلطان فى المدينه • واوصد عليه بابها • ووكل بحفظه اصحابها • واضاف اليهم لشدة الحفاظ • الزبانيه الشداد الغلاظ • وذلك الحلفه ان لا يريق دمه • وان يحفظ له ذمه • فلم يرق له دما • ولكن قتله فى الحبس جوعا وظما

ذكر عوده الى خراسان • وتخريبه ولايات سجستان •

ثم عاد الى خراسان • وقد عزم على الانتقام من اهل سجستان • فخرج اليه اهلها طالبين الصلح والصلاح • فاجابهم الى ذلك على ان يمدوه بالسلاح • فاخرجوا اليه ما عندهم من العده • ورجوا بذلك الفرج من الشده • فخلعهم وكتب عليهم قسامات بالغه • ان مدينتهم غدت من السلاح فارغه • فلما تحقق ذلك منهم وضع السيف فيهم • فاضاف بهم جنود المنايا عن بكرة ابيهم • ثم خرب المدينه فلم يبق بها شجر ولا مدر • ومحاها فلم يبن لها عين ولا اثر • ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب • وما فعل ذلك بهم الا لانه اولا منهم اصيب **ذكرلى** الشيخ الفقيه زين الدين عبد اللطيف بن محمد بن ابى الفتح الكرمانى الحنفى نزيل دمشق بمدرسة الجقمقيه • فى سنة ثلث وثلاثين وثمان مايه • ان الذين تخلصوا من القتل من اهل سجستان بهزيمة او غيبة او بنوع لطيفة من الله تعالى لما تراجعوا اليها بعد رجوع تيمور عنها ارادوا ان يجمعوا بها فاصلوا يوم الجمعه • وما اهتدوا اليه حتى ارسلوا الى كرمان من دلهم عليه **ذكر قصد**

ذلك الغدار بممالك سبزوار وانقيادها اليه، وقدوم واليها عليه
ثم لما اثار بسجستان ما اثاره قصد بعساكره مدينة سبزوار، وكان
واليها يدعى حسن الجورى، مستقلا بالامارة وهو رافضى، فما امكنه
الا الاطاعه، واستقباله من الهدايا والخدم بما استطاعه، فاقره
على ولايته، وزاد فى رعايته، **فصل** وكان من عادة تيمور وفكره،
انه كان فى اول امره، اذا ارى باحد مستصنفا استنسبه، وحفظ
اسمه ونسبه، وقال له اذا بلغك انى استوليت، وعلى الممالك
استقليت، فاتنى بعلامة كذا، فانى اكافيك اذا، فلما انتشر
ذكره، وشاع امره، وفشا فى الدنيا خبره وخيره، هرعت الناس
بالعلايم اليه، ووفدت من كل فج عميق عليه، فكان ينزل كل
احد منزلته، ويحله مرتبته، ذكر ما جرى لذلك الداعر فى
سبزوار مع الشريف محمد راس طايفة الدعار، وكان فى مدينة
سبزوار، رجل شريف من الشطار، يدعى السيد محمد السربدال، معه
جماعة من الرجال، كلهم دعار، يسمون السربدالية يعنى الشطار،
وكان هذا السيد رجلا مشهورا، بالمآثر والفضايل مذكورا، فقال
تيمور على به، فانى ما جيت الا بسببه، وقد كنت متشوقا اليه،
ومتشوقا لعلم ما لديه، فدعوه له فدخل عليه، فقام اليه
واعتنقه، وقابله ببشر منطلقه، واكرمه وادناه، وقال له
فى جملة نجواه، يا سيدى السيد قل لى كيف استخلص ممالك خراسان
واحويها، وانى احوزها اقاصيها وادانيها، وماذا افعل حتى يتم لى
هذا الامر، وارتقى هذا المسلك الصعب الوعر، فقال له السيد يا مولانا
الامير، انا رجل فقير وقير، من آل الرسول، من ابن انا وهذا الفضول
وانى وان قيل لى شريف، رجل عاجز ضعيف، لا طاقة لى بموارد

الهلك

الهلك، ومن انا حتى اتشاوف لمصالح الملك، ومن داخل الملوك اوخارجهم
اوعارضهم فى امورهم اومازجهم، كان كالغايم بين مجمع البحرين، وكالجاثم
فى منتطح الكبشين، والخارج عن لغته لحان، وشتان ما بين المامون والطحان
فقال له لابد ان تدلنى على الطريقه، وتخبرنى عن المجاز الى هذه الحقيقه،
ولولا انى تفرست فيك ذلك، وتكهنت ان رايك تقتدى المسالك، وانك
اهل لهذه المعرفه، ما فهت لك ببنت شفه، ولا استغنيت عنك استغناء
التفه عن الرفه، فان قراشانى اباشبته، وقضايا اى كلها فباشبته، فقال
ذلك المشير ايها الامير اوتسمع فى هذا مقالتى، وتتبع اشارتى، فقال
ما استشرتك الا لاتبعك، ولا جاريتك الا لامشى معك، فقال ان اردت ان
يصفو لك المشرب، وتنال الممالك من غير ان تتعب، فعليك بخواجه على
ابن المؤيد الطوسى، قطب فلك هذه الممالك، ومركز دايرة هذه المسالك،
فان اقبل عليك بظاهره لم يكن بباطنه الا معك، وان ولى عنك بوجهه فلن
يفيدك غيره ولن ينفعك، فكن على استجلاب خاطره وحضوره اليك ابلغ جاهد،
فانه رجل صلب، وظاهره وباطنه واحد، فان طاعة الناس منوطة بطاعته
وافعال الكل مربوطة باشارته، فما فعل فعلوا، فان حط حطوا وان
رحل رحلوا، وكان هذا الرجل اعنى خواجه على المذكور رجلا شيعيا، مواليا
عليا، يضرب السكة باسم الاثنى عشر اماما، ويخطب باسمايهم وكان شهما
هماما، ثم قال السيد يا امير ادع خواجه على فان لبى دعوتك، وحضر حضرتك
فلاتترك من انواع الاحترام والتوقير، والاكرام والتكبير، شيئا الا واوليته   صله
اياه، فانه يحفظ لك ذلك ويرعاه، وانزله منزلة الملوك العظام فى التعظيم
والتوقير والاحترام، ولا تدع معه شيئا مما يليق بحشمتك، فان ذلك كله
عايد الى حرمتك وعظمتك، ثم خرج السيد من عند تيمور، وجهز قاصدا الى   اى هيا جهازسفره
خواجه على المذكور، يقول له انه مهدله الامور، فان جاءه قاصده فلا

يتوقف عن الطاعه • ولا يقعد عن التوجه اليه ولا اشاعه • ويكون منشرح
البال • آمنا سطواته فى الحال والمآل • فاستعد خواجه على لقدوم الوارد •
وورود القاصد • وهيا الخدمات • والتقادم والحمولات • وضرب باسمه
واسم متولاه الدرهم والدينار • وخطب باسمهما فى جوامع الامصار • وقعد
لامره منجزا • واقام للطلب مستوفزا • واذا بقاصد تيمور جاءه منه بكتاب
فيه من الطف كلام والين خطاب • يستدعيه مع انشراح الصدر • وتوفير
التوقير وتكثير البر • فنهض من ساعته • ملبيا بلسان طاعته • ولم يلبث
غير مسافة الطريق • وقدم بامل فسيح وعهد وثيق • فلما اخبروه بوفوده •
جهز لاستقباله اساورة جنوده • وسر سرورا شديدا • وكانه استانف
ملكا جديدا • فلما وصل قدم هدايا فاخره • وتحفا متكاثره • وطرايف
ملوكيه • وذخاير كسرويه • فعظمه تعظيما بالغا • واولاه انعاما
سابغا • واسبل على قامة رجايه من خلع اعزازه واكرامه ذيلا سابغا •
واستمر به على ولايته • وزاد فى بره وكرامته • فلم يبق فى خراسان امير
مدينه • ولا نايب قلعة مكينه • ولا من يشار اليه • الا وقصد تيمور
واقبل عليه • فمن اكابرهم امير محمد حاكم باورد وامير
حاكم سرخس وانتشرت هيبته فى الآفاق • وبلغت سطوته مازندران
وكيلان وبلاد الرى والعراق • وامتلات منه القلوب والاسماع • وخافه
القريب والبعيد وعلى الخصوص شاه شجاع • وكل هذا فى مدة قصيره • وايام
قلايل يسيره • نحوا من سنتين • بعد قتله السلطان حسين • ٥

ذكر مراسلة ذلك الشجاع • سلطان عراق العجم ابا الفوارس شاه شجاع •

ولما صفت له بلاد خراسان • واذعن لطاعته كل قاص ودان • راسل شاه
شجاع سلطان شيراز وعراق العجم • يطلب منه الطاعة والانقياد وارسال
الاموال والخدم • ومن جملة كتابه • وفحوى خطابه • ان الله تعالى

استوفز استعجل

سلطنى

سلطنى على ظلمة الحكام • والجايرين من ملوك الانام • ورفعنى على من ناوانى
ونصرنى على من خالفنى وعادانى • وقد رايت وسمعت • فان اجبت واطعت
فبها ونعمت • والا فاعلم ان فى قدمى ثلاثة اشيا • الخراب والقحط والوبا •
واثم كل ذلك عايد عليك • ومنسوب اليك • فلم يسع شاه شجاع الا مهادنته
ومهاداته • ومصاهرته ومصافاته • وزوج ابنته بابن تيمور • ولم يتم ذلك
السرور لحدوث شروره • فانقبضت تلك المباسطه • بواسطة افساد الواسطه
وتثريب الخطابه • وتخريب المباسطه • قلت بديها مضمنا

اى عادانى

اذا انتجبت لامر عن واسطة • فاحذر دهاه وكن منه على وجل •
واعلم بان طباع الانس قد جبلت • من الجفاء ومن مكر ومن دخل •
فلا تثق ابدا منهم بواسطه • واشرع بنفسك فيه غير متكل •
فانما رجل الدنيا وواحدها • من لا يعول فى الدنيا على رجل •

ومد عنان الكلام • فى هذا المقام • يخرج عن المرام • ولكن تمت رياض
المحبة زاهره • ورباض المودة عامره • وفقول المراسلة والمصادقة بين
الطرفين سايره • واستمروا على ذلك من غير نزاع • الى ان توفى شاه شجاع • وكان
شاه شجاع رجلا عالما فاضلا • يقرر الكشاف تقريرا شافيا كاملا • وله
شعر رايق • وادب فايق • فمن شعره العربى على ما قيل شعر

الان عهدى فى الغرام يطول • واسباب صبرى لا تزال تزول •
اصون هواها كلما ذر شارق • ولكنما بى قد يتم نحول •
ومن لم يذق صرف الصبابة فى الصبا • علمت يقينا انه لجهول •

ومن شعره الفارسى

اى بكام عاشقان حسنت جميل • كى كزينم ديكرى بر تو بديل •

کر زیادت غافلم عیشم حرام ٭ ور ز جورت دم زنم خونم سبیل ٭

هرکسی تدبیر کاری می کند ٭ ما رها کردیم یا نعم الوکیل ٭

وهو شاه شجاع بن محمد بن مظفر ٭ وابوه کان من افراد الناس ومن اهل البز بسکن
ضواحی یزد وابرقوه ٭ ذا باس شدید یخافه القریب والبعید ویرجوه ٭
وکان قد نبغ بین یزد وشیراز ٭ حرامی من عرب آل خفاجه سد علی سالکی
الطریقه حقیقة المجاز ٭ یدعی جمال لوك ٭ افقر الغنی واباد الصعلوك ٭
لا یبالی بالرجال قلت او کثرت ٭ ولا یکترث بکواکب النبال اذا الکواکب
علی راسه انتثرت ٭ فاباد طائفة من البلاد ٭ واهلك الحرث والنسل والله
لا یحب الفساد ٭ فکمن له ابو شاه شجاع ٭ فی بعض وهد او یفاع ٭ ثم قاتله
مواجهه ٭ وکافحه مشافهه ٭ ونازله فصرعه ٭ وقطع راسه واندعه ٭ وقصد کافحه حاربه مواجهة
براسه السلطان ٭ فقدمه علی سایر الاعوان ٭ واقطعه اماکن عده ٭
وقربه وجعله عدة لکل شده ٭ وکان له عدة اولاد ٭ واقارب واحفاد ٭
کل منهم رییس مطاع ٭ فمن اولاده شاه مظفر وشاه محمود وشاه شجاع ٭
فصار کل منهم ذا کلمة نافذه ٭ وید مغطبة آخذه ٭ ولم یکن للسلطان
ولد ینفر وزاه فی امور الملك او ینقب ٭ فلما اقبل علیه رائد المنیة الجابر
وولی مدبرا ولم یعقب ٭ وکان اذ ذاك وقد ثبتت اوتاد محمد بن مظفر ٭
فتقدم فی السلطنه ومن سواه تاخر ٭ فصار فی ممالك عراق العجم الملك
المطاع ٭ واستقل من غیر شقاق ونزاع ٭ وتصرف فی الممالك کیف یشا ٭
ورداه الله تعالی خلعه قل اللهم مالك الملك توتی الملك من تشا ٭ ومات فی
حیوته ولده شاه مظفر المشهور ٭ وخلف ولده شاه منصور ٭ ثم جری بین
شاه شجاع وابیه ٭ من النزاع والشرور ما الاخبر فیه ٭ وقبض علی ابیه وفهره ٭
وفجعه بکریمتیه واعدمه بصره ٭ وتمکن من السلطنة واستقر ٭ وکان
به مرض جوع البقر ٭ بحیث انه کان لا یقدر علی الصوم لا فی السفر ولا فی
الحضر ٭ وکان کثیرا ما یدعو الله الغفور ٭ ان لا یجمع بینه وبین تیمور ٭ فلما
ادرکه الاجل ٭ وطوی فراش الموت منه بساط الامل ٭ احضر ما له من
اقارب واولاد ٭ وقسم علیهم الممالك والبلاد ٭ فولی ابنه لصلبه زین
العابدین شیراز وهی کرسی الملك ومقصد الوافدین ٭ واقطع اخاه
السلطان احمد ولایات کرمان ٭ واعطی ابن اخیه شاه یحیی یزد وابن
اخیه شاه منصور اصبهان ٭ واسند وصیته بذلك الی تیمور ٭ وخلد
ذلك فی رق منشور ٭ واشهد علی ذلك من حضر مجمعه ٭ وکان یکن سلم الربیع
لزوبعه ٭ ولما دمج الموت ثوب عمر شاه شجاع ٭ انتشر بین اقاربه شقق
الشقاق والنزاع ٭ فقصد شاه منصور زین العابدین وقبض علیه ٭ واستولی
علی شیراز وفجعه بکریمتیه ٭ وحبل هذه القصة ممدود ٭ والاشتغال
بنقضه وابرامه یخرج عن المقصود ٭ فامغص تیمور وامتعض ٭ وتجرع
الغصص وارتمض ٭ ولکن ارتقب فی ذلك انتهاز الفرض ٭ وخالف عمه ونقض عهده وفعل مع ابنه ما فعل ابوه معه

ذکر توجه تیمور مرة ثالثه ٭ الی خوارزم بالعساکر العایثه العابثه

ثم ان تیمور جدد الحزم ٭ وصمم العزم ٭ علی التوجه الی خوارزم ٭ فتوجه
الی تلك البلاد ٭ من خراسان علی طریق استراباد ٭ وکان سلطانها ایضا
غایبا ٭ فاراد ان یولی علیهم من جهته نایبا ٭ فخرج الیه حسن المذکور وصالحه
واشتری منه الشرور والمقابحه ٭ وقال له یا مولانا الامیر کلنا عبدك
اسیر ٭ ولکن سلطاننا غایب ٭ واذا اقیم من جهتك علینا نایب ٭ ثم رجع
الینا السلطان ٭ فلا بد ان یقع بینهما شنان ٭ واذا کان الامر کذا ٭ فربما
یصل الی منه اذا ٭ فیکون ذلك سبب تاکید العداوه ٭ ویزداد بینکما
الجفا والقساوه ٭ فیفیض حنقك علی المسلمین ٭ ویقع فساد والله لا
یحب المفسدین ٭ وهب ان حسین صوفی صار نایبك ٭ فکل الخلق یجب
علیه ان یراعی خدمتك وجانبك ٭ ورایك اعلی ٭ واتباع مرسومك اولی ٭

فسمع تيمور كلامه ، وقبل قوله وقوض للرحيل خيامه ، وكان الحسن المذكور
ابن غير فالح ، له عمل غير صالح ، وكانه فتك بخطيئة من خطايا السلطان
وذاع ذلك في المكان ، وفاح ذفره في انف الزمان ، فلم يتقيد بذلك الفعل
القبيح حسن ، وقال ان لي على السلطان منا واي من ، حيث حميت بلده
من كل ظلوم كفار ، وبذلت في ذلك مالي وجاهي ثلاث مرار ، فلا بد
ان يقابل هذه المصالحه ، بالعفو عن جريمة ولدي والمسامحه ، فلما
آب السلطان من سفره ، واطلع على حقيقة الامر وخبره ، قبض على حسن
وولده وقتلهما ، والقاهما بين يدي اسد فهد فاكلهما ، وخرب ديارهما
ونقل الى خزانته شعارهما ودثارهما ، ثم لم ينشب (اي لم يلبث) حسين صوفي ان توفي
وولي بعده ولده يوسف صوفي ، وكان تيمور قبل ذلك قد صاهرهم
وناصرهم على مخالفيهم وظاهرهم ، وزوج ابنا له يدعى جهانكير
عقيلة منهم ذات قدر كبير ، واصل خطير ، ووجه مستنير احسن
من شيرين واظرف من ولاده ، ولكونها من بنات الملوك كانت تدعى
خانزاده ، فولدت له محمد سلطان ، وكان في نجابته واقباله ساطع
البرهان ، فلما شاهد تيمور في شمايله مخايل السعاده ، وقد فاق
في النجابة اولاده واحفاده ، اقبل دون الكل عليه ، وعهد مع
وجود اعمامه اليه ، لكن عاند الدهر ذلك الظلوم ، فتوفي قبله
في آق شهر من بلاد الروم ، وسيأتي ذكر ذلك ۝

ذكر توجه ذلك الباقعه ، الى خوارزم مرة رابعه

فلما سمع تيمور ، ما جرى على حسن من الشرور ، تحنق وشدد الازم
ووجه ركاب الغضب الى خوارزم ، فاخذها وقتل سلطانها ، وهدم
اركانها ، وخرب بنيانها ، وولى على ما بقي منها نايبا من عنده ، ونقل جميع
ما امكنه نقله منها الى ممالك سمرقنده ، وتاريخ خراب خوارزم عذاب

كما ان تاريخ خراب دمشق خراب **ذكر ما كان ذلك الجان راسل به شاه ولي امير ممالك مازندران**
ثم انه لما كان توجه الى خراسان ، راسل شاه ولي امير ممالك مازندران
وكاتب الامرا المستقلين بذلك المكان ، فمنهم اسكندر الجلابي
وارشيوند وابرهيم القمي ، واستدعاهم الى حضرته ، كما هو جاري
عادته ، فاجابه بالضروره ابرهيم وارشيوند واسكندر ، وتابى عليه
شاه ولي ذلك الغضنفر ، ولم يلتفت الى خطابه ، وخشن له في جوابه ،

ذكر مراسلة شاه ولي سلاطين العراق ، وما وقع في ذلك من الشقاق ، وعدم الاتفاق ،

ثم ارسل شاه ولي الى شاه شجاع سلطان عراق العجم وكرمان ، والى
السلطان احمد بن الشيخ اويس متولي عراق العرب واذربيجان ، يخبرهما بورود
خطابه ، وصدور جوابه ، ثم قال انا ثغركما وان انثلم امري انثلم
امركما ، وان ترك لي منه بابقه ، فانها بما لكما لاحقه ، فان ساعدتماني
بمدد ، كفيتكما هذا النكد ، والا فتصيران كما قيل شعر

من حلقت لحية جار له ، فليسكب الماء على لحيته

فاما شاه شجاع فاطرح قوله ورماه ، وهادن تيمور كما ذكر وهاداه ،
واما السلطان احمد فاجاب بجواب مهمل ، وقال هذا الاشل الاعرج
ما عساه ان يفعل ، ومن اين ومن اين ، للاعرج الجغتائي ان يطأ العراقين
وان بينه وبين هذه البلاد ، لخرط القتاد ، ولكم بين مكان ومكان ، فلا
يحل العراق كخراسان ، ولئن عقدت على التوجه الى ديارنا نيته ، لتحلن
به منيته ، ولن تحل عنه امنيته ، فانا قوم لنا الباس والشدة والعدة (والعدة)
والدولة والنجدة ، ولنا يصلح التسامح والتابي حتى كاننا فينا قال المتنبي شعر

نحن قوم ملجن في زي ناس ، فوق طير لها شخوص الجمال (ركب)

فلما علم ذلك منهما شاه ولي ، وايقن ان كلا منهما عن نجدته خلي ، قال اما انا
فوالله لاواقفنه بعزم صادق ونفس مطمئنه ، فلئن ظفرت به لانددن

اراد من الجن فحذف النون لسكونها وسكون اللام من الجن وهذا كما تقول بلعنبر في بني العنبر وبلقين في بني القين والبيت من قول ابي تمام في ثبة ان سروا فجن او يمموا شقة فطير واحدي

بكما في الامصار ٠ ولاجعلنكما عبرة لاولى الابصار ٠ وان ظفرنى فلا على
ما يصل اليكما ٠ فليس لى القضا الطام والبلاء العام عليكما ٠ ثم استعد للقايه
واستسلم لقدر الله تعالى وقضايه ٠ ولما تراءى الجمعان واتصلت المراشقة
بالضراب والطعان ٠ ثبت شاه ولى ساعة لما نابه من شر وهر ٠ ثم ولى الدبر
لما خطمه ما راى من كر وفر ٠ وتبع السنة فى الفرار بما لا يطاق ٠ وتوجه
الى الرى اذ ما امكنه التوجه الى العراق ٠ وكان بها امير مستقل يدعى
محمد جوكار ٠ متصرفا بحكومته فى تلك القرى والامصار ٠ وكان كريما
شجاعا ٠ وملكا مطاعا ٠ ومع ذلك فانه دارى تيمور ٠ وراعى منه بعض
الامور ٠ وخاف سطوته وباسه ٠ فقتل شاه ولى وارسل الى تيمور راسه ٠

ذكر ما جرى لابى بكر الشاشبانى من الوقايع مع ذلك الجانى ٠

وكان فى بعض ولايات مازندران ٠ رجل يسمى ابا بكر من قرية تدعى شاشبان ٠
وكان فى الحروب ٠ كالاسد الغضوب ٠ وكان قد اباد واباد الجم الغفير
من عساكر التتار ٠ اذا انتمى فى المجال ٠ لا يثبت له الرجال ٠ وان وضع
العمامه ٠ اقام فيهم القيامه ٠ ولا زال يكمن بين الروابى والجبال ٠ ويجدل
الجنود والابطال ٠ حتى صارت تضرب به الامثال ٠ وترعد منه الفرايص
ولو فى طيف الخيال ٠ وكان القايل منهم يقول لمركوبه ٠ اذا علق عليه او
سقاه ٠ فتاخر عن الما او جفل من المخلاه ٠ كان ابا بكر الشاشبانى فى الماء
او بين العليق تراه ٠ وقيل لم ينتصر عسكر تيمور فى مدة استيلايه ٠ مع
كثرة حروبه ومصافاته وابلايه ٠ الا من ثلاثة انفار ٠ اضروا به وبعساكره
غاية الاضرار ٠ واوردوا كثيرا منهم موارد النار ٠ احدهم ابو بكر الشاشبانى ٠
وثانيهم سيدى على الكردى ٠ وثالثهم امت التركمانى ٠ فاما ابو بكر هذا
فذكروا انه فى بعض مضايق مازندران تغلبت عليه الجغتاى من كل مكان ٠
وسدوا عليه وجه المخلص ٠ وسدوا اجل المقتنص ٠ فالجاوه الى جرف
مقابله جرف ٠ مقدار ثمانيه اذرع ما بين الجرف الى الجرف ٠ كان فيه جب
الغفير ٠ او واد فى قعر السعير ٠ فنزل ابو بكر عن جواده المضمر ٠ وطفر
من احد الجرفين الى الاخر ٠ بما عليه من السلاح والمغفر ٠ ولم ينل منهم
ضرا ٠ ونجا كما نجا تابط شرا ٠ ثم اتصل بحاشيته واباده ٠ ونقل الى
طاحون الفنا منهم من استكمل دباتهم وحصادهم ٠ واما سيدى على
الكردى فانه كان اميرا فى بلاد الكرد ٠ معه طايفة من الخيل الجرد ٠
والرجال غير المرد ٠ فى جبال عاصيه ٠ واماكن وعرة متقاصيه ٠ وكان
يخرج هو وجماعته ٠ ومن شملته طاعته ٠ ويترك على فم المضايق من هو
به واثق ٠ ثم يشن على عسكر تيمور الغارات ٠ ويدرك فيهم للمسلمين الثارات ٠
ويقتطع من حواشيهم ٠ وما يمكنه من مواشيهم ٠ ثم يرجع الى اوكاره ٠
بما قضى من اوطاره ٠ ولم يزل على ذلك البناب ٠ فى حيوة تيمور وبعد ان
مات ٠ الى ان ادركته الوفاة ففات ٠ واما امت التركمانى فانه كان
من تراكمة قراباغ ٠ وله ابنان قد وضع كل منهم على قلب تيمور اى داغ ٠
وكانت الحروب والنزال ٠ بينهم وبين امير انشاه وعساكر الجغتاى لا تزال ٠
وافنوا من جماعتهم عددا لا يحصى ٠ وجانبا فات الاستقصا ٠ الى ان غدر
واحد من المنتسبين اليهم ٠ فطلب غرتهم ودل عسكر امير انشاه عليهم ٠
فبيتوهم ليلا ٠ وارافوا من دمهم سيلا ٠ فاستشهد الثلاثه فى سبيل الله ٠
رحمهم الله ٠ قلت شعر واصعب فتنة تشميت الاعدا ٠ وانكى منه تخذيل الموالى

وقيل

وظلم ذوى القربى اشد مضاضة ٠ (اى وجعا)
على المرء من وقع الحسام المهند ٠

اذا كان هذا بالاقارب فعلكم فماذا الذى ابقيتم للاباعد

ذكر توجه تيمور الى عراق العجم ٠ وخوض شاه منصور غمار ذلك البحر الخضم ٠

ولما ان توفى شاه شجاع ٠ ووقع بين اهله كما مر النزاع ٠ واستقر امر العراق
العجمى على شاه منصور ٠ وخلصت ممالك مازندران وولاياتها لتيمور ٠ وكان

ثم ما ادريك ما مر الليالى ... وكيف تقلبت فيها الاحوال

شاه شجاع قد اوصى الى تيمور بولده زين العابدين كما ذكر ووكل امره اليه
وجد تيمور على شاه منصور طريقا بما فعله مع ابن عمه زين العابدين فاحتج
بذلك ومشى عليه فاستمد شاه منصور اقاربه فكلهم صار محاربه
وغدا مجاذبه ومجانبه واقام كل منهم لحفظ جانبه فتهيأ لملاقاته
وحده بنحو الفي فارس كاملي العدد بعد ان حصن المدينه وحوطها
بالاهبة المكينه ورتب خيلها ورجلها وحرض على التصبر والتربص
اهلها فقال له اكابر اعيانها والرؤس من سكانها كانا بك في المقتحم
وشدا الحرب قد التحم وقد منعناه من الوصول الينا ودافعناه عن
الهجوم علينا وربما جندلنا له رجالا او ابطلنا من عسكره ابطالا ثم ما
ذا تصنع انت بالفي راكب مع هذا الغمام المتراكم المتراكب وربما
تحل عقدك او يفل جندك فلا ترى لنفسك في الهيجا الا طلب الخلاص
والنجا ونتركنا الحما على وضم بعد ان زلت بنا معهم القدم ولا ينفعنا
بعد تاكيد العداوه الندم ولا يجبر منا اذ ذاك هذا الكسر الا بالقتل
او بالنهب والاسر فوضع يده على دبوسه شاه منصور وقال هذا الالف
في الكاف السادسة مرام من يفر من تيمور اما انا فاقاتل وجندي
فان خذلني جندي قاتلت وحدي وبذلت في ذلك جدي وجهدي
وعاينت عليه وكدي وكدي فان نصرت نلت قصدي وان
قتلت فلا على ممن بقي بعدي وكاني انا كنت الخاطر والخاطر
في خاطر الشاعر حين قال

شعر

اذا هم القى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

وقيل ان شاه منصور فرق رجاله على قلاعه واراد بذلك حفظ مدنه
فضاع في ضياعه ثم جمع رؤسا شيراز واجنادها وافلاذ كبدها
واولادها وقال ان هذا عدو ثقيل وهو وان كان خارجا فهو في
بلادنا دخيل فالراى اني لا انحصر معه في مكان ولا اقابله بضراب وطعان
بل انتقل في الجوانب واتسلط انا ورعاياي عليه من كل جانب فنصفع
اكتافه ونقطع اطرافه ونواظبه بالنهار ونراقبه بالليل ونعد
له ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل وكلما وجدنا منه غره كسرنا
منه القفا والغره فتارة نسطحه واخرى نرمحه وكرة نجرحه ومرة
نجدحه فنسلبه الهجوع ونمنعه الرجوع فيشتد عليه المضايق ويسند
عليه الطرق والطرايق غير ان القصد منكم يا احرار ويا نمور النفار
ونسور النقار ان تحتفظوا بضبط الاسوار ولا تغفلوا عنها آناء الليل
واطراف النهار فاني ما دمت بعيدا عنكم لا يدنو احد منهم منكم
وان حاصركم ففيكم كفايه واستودعكم الله وهو نعم الوقايه
وغايه ما تكونون في هذه البوسا مقدار ما واعد الله تعالى نبيه موسى
ولله هذا الراى ما كان امتنه ووجه هذا القصد ما كان احسنه ثم انه
خرج ذاهبا وقصد جانبا

ذكر دقيقة تصدت فحلت ونقضت ما ابرمه شاه منصور من عقد حين حلت

فبينا هو عند باب المدينه حاين نظرته
سعلاة من مشومات العجايز فبدرته بالملام واذته بالكلام ونادت
بلسان الاعجام انظروا الى هذا تركني بحرام رعى اموالنا وتحكم في دمائنا
وفارقنا احوج ما نحن اليه في مخاليب اعدائنا جعل الله حمل السلاح
عليه حراما ولا انجح له قصدا ولا اسعف مراما فقدحت زناده
وجرحت فواده وتاججت نيران غضبه واحرق اكدار تدبيره شواظ
لهبه وثارت نفسه الابيه واخذته حمية الجاهليه حتى ذهب
لب ذلك الرجل الحازم وغلط فامسى وهو لغلطه ملازم فثنى عنان
عزمه وكر ناسيا ان ازمه واقسم لا يبرح عن المقاومه ولا يرجع في
مجلس قضاء الحرب عن ملازمة المصادمه وجعل ذلك دابه صباحا وعشاء

الى ان يعطى الله النصر لمن يشا ، ثم قابل ورتب اطلابه وقاتل وكان فى
عسكر شاه منصور امير خراسانى مباطن لتيمور يدعى محمد بن زين الدين
من النجدة المعتدين وجل العساكر كان معه ، فسار الى تيمور واكثر
الجند تبعه ، فلم يبق منهم الا دون الالف ، فما قر واحد منهم من الزحف ،
فثبت شاه منصور بعد ان تضعضعت منه الامور ، فلم تزل نيران الهيجاء
تتاجج ، وزناد الحرب تورى اذ تنقدح ، وشرار السهام تتطاير ، وثمار الرؤس
بمناجل السيوف تقطف فتتناثر ، حتى اقبل جيش الليل ، وشمر للهزيمة
جند النهار الذيل ، فتراجع كل منهم الى وكره ، واعمل شاه منصور فكره
فى مكره ، فعمد الى فرس جفول ، من بين الخيول ، واتى بها عسكر العدو
وقد اخذ الليل فى الهدو ، ثم ربط فى ذنبها قدرا من النحاس ملفوفة فى
قطعة بلاس ، وشدها شدة احكم وثاقها ، وصوب راسها نحو العدو
وساقها ، فجالت الفرس فى المعسكر واضطربت ، واختبطت الناس
واحتربت ، وانسابت جداول السيوف فى بطون تلك البحار وانسربت ،
حتى كان الساعة اقتربت ، او السما عليهم بالشهب انقلبت ، او الارض
بهم اهتزت وربت ، وشاه منصور واقف حوالهم ، كالبازى المطل
عليهم ، يقتل من شذ ، ويبيد من فذ ، وصاروا كما قيل شعر

الليل داج والكباش تنتطح ، نطاح جد ما اراها تصطلح
فقائم وقاعد ومنبطح ، فمن نجا براسه فقد ربح

قيل انهم اقتتلوا فيما بينهم حتى فنى نحو من عشرة آلاف نفس فلما
قوض الليل خيامه ، ورفع النهار اعلامه ، علموا البلا كيف دهاهم ،
وليت الليل لم يكن فارق دجاهم ، ثم ان شاه منصور اصبح وقد فل ناصره
وقل موازره ، فانتخب من جماعته فئة ، نحوا من خمس مائة ، فجعل يصول
بهم صولة الاسد ، ويخوض بهم غمار الموت فلا يلوى امامهم احد

جمع غرة وهى الشدة كذا فى ... اللغة

على احد ، ويميل يمنة ويسرة وينتسب ، ويصيح انا شاه منصور المحتسب
فتراهم بين يديه حمرا مستنفرة ، فرت من قسورة ، وقصد مكانا فيه
تيمور فهرب منه ودخل بين النسا ، واختفى بينهن وغطى بكسا ، فبادرن
وقلن نحن حرم ، واشرن الى طايفة من العسكر المصطدم ، وقلن هناك
بغيتك ، وبين اوليك طلبتك ، فالوى راجعا ، وتركهن مخادعا ، وقصد حيث
اشرن اليه ، وقد احاطت به جموع العساكر وحلقت عليه ، قلت
بديها شعر

وما حز اعناق الرجال سوى النسا ، واى بلا الا وهن به ابلى
وكم نار شر احرقت كبد الورى ، ولم يك الا مكرهن لها اصلى

وكان على فرس فاقت خصالا ، يضرب فيهم بسيفين يمينا وشمالا ، وفرسه
السبوح كانت تقاتل معه ، وتصدم وتكدم من يقربها فى تلك المعمعه ،
وكانه كان ينشد معنى ما قلته فى مرآة الادب بالله قوتى فغلت يداهم ،
وهذى يدى فيهم بسيفين تضرب ، فصار كلما قصد رعلة من تلك الرعاع
افترقت امامه يمينا وشمالا وان كانوا كلهم من اهل الشمال ولكن شعر

اذا لم يكن عون من الله للفتى ، فاكثر ما يجنى عليه اجتهاده

حتى انهكته الحرب ، وكلت يداه من الطعن والضرب ، وجدلت ابطاله
وقتلت خيله ورجاله ، وتغيرت من كل جهة احواله ، وسدت طرايقه
وشدت مضايقه ، وجرست شقاشقه ، وضرست فيالقه ، وخمدت
بوارقه ، وهمدت بيارقه ، وحص جناحه ، وقص نجاحه ، وخف مراحه
واثقله جراحه ، وسكنت همهمته ، وشكت غمغمته ، فانفرد عن اصحابه
وقد آده الجراح واودى به ، ولم يبق معه فى ذلك البحر سوى نفرين
احدهما يدعى توكل والاخر مهتر فخر ، واخذه الدهش ، وغلب عليه
العطش ، ونشف الريق والوجه كبد ، وطلب شربة ما فما وجد ، ولو
وجد ما بل ريقه ، لما قدر احد ان يقطع عليه طريقه ، فراى الاولى

انظر بهذا الجبان
الاعرج المذموم
بكل لسان عليه سحق
من العذاب والنيران

طرح نفسه بين القتلى فاطرح بينهم نفسه • ورمى اهبته وشيّب فرسه • وقتل توكل وبخافخر الدين وبه من الجراح نحو من سبعين • وعمّر بعد ذلك حتى بلغ تسعين • وكان من الابطال والمصارعين فتراجع جيش تيمور ونصام • وانتعش بعدان بلغ موارد الحمام • وذلك بعدان قتل منهم ما لا بعد • وافنى ليلًا ونهارًا ما لا يحصر ولا يحد • وطفق تيمور فى القلق والضجر والارق • لفقد شاه منصور • وعدم الوقوف على حال ذلك الاسد الهصور • اهو فى الاحيا فيخشى فكره • ام انتقل الى دار الفناء فيؤمن مكره • فامر بتفتيش الجرحى • والتنقيب عنه بين القتلى والطرحى • الى ان كادت الشمس تتوارى بالحجاب • ويغمد حسام الضياء من الظلام فى قراب • فعند ما ضمّ دينار البيضا • تحت ذيل ملاءة الضيا • ومد نساج القدرة فى جو الفضاء • سدا الليل اذا سجى • ونثر على سطح هذا الاديم المينا • دراهم كواكبه الزهرا • واتسع الظلام وانتشق • عثر واحد من الجغتاى على شاه منصور وبه ادنى رمق • فتشبث شاه منصور بذلك الانسان بل الشيطان الخوان • وناداه الامان الامان انا شاه منصور • فاكتم عنى هذه الامور • وخذ منى هذه الجواهر • وخاف فى قضيتى ولا تجاهر • ولا رايتك ولا رايتنى • ولا عرفتك ولا عرفتنى • وان اخفيت مكانى • ونقلتنى الى اخدانى واعوانى • كنت كمن اعتقنى بعد ما اشترانى • ومن بعد ما اماتنى احيانى • وكنت ترى مكافاتى • وتغتنم مصافاتى • ثم اخرج من الجواهر ما يكفيه وذويه الى اليوم الآخر • فكان فى قصته • واستكشاف غصته • كالمستغيث بعمرو عند كربته • فما عتم ان وثب على شاه منصور • وحز راسه واتى به الى تيمور • وحكى له ما جرى • بتخيير المشترى • فما صدقه • ولا فى كلامه استوثقه • بل اخرج من قبايله وشعوبه • من عرفه به • فعرفوه بشامه • كانت فى وجهه علامه • فلما علم انه شاه منصور بعينه • وتميز له

قتل شاه منصور

صدق

20

صدق ذلك الرجل من مينه • تحنق وتحنف • وتحرق لقتل شاه منصور وتاسف • ثم سال ذلك الرجل عن محتده • وعن والده وولده • وعن قبيلته وذويه • ومحتده ومرتبه • فلما استوضح اخباره • وعلم نجاره ونجاره • ارسل من سومه الى متولى تلك الداره • فقتل اهله واولاده • واعوانه وانصاره • وآله واحفاده • واخدانه واصهاره • وقتله شر قتله • ومحا آثاره • وصادر محتده ومحتده • وقتله • وخرب دياره • ثم ارسل الى اطراف ممالكه مطالعات • يذكر فيها صور تلك المصافات والمواقعات • وما شوهد من ثبات شاه منصور وثباته • وغشيانه غمرات الحرب وضرباته • وما حصل فى واقعة القتال على الحديد فى صف من تلاته • وكيف زلزلت العاديات • وولولت النسا فى فتح حجراته • بعبارات هايله • وكلمات فى ميادين الفصاحة والبلاغة جايله • وهذه المطالعات تقرا فى المحافل والمشاهد • وتتلى فى المصادر والموارد • ويستمد منها ذووا الآداب • ويتغنى بحفظها الكتاب • والصبيان فى الكتاب •

ذكر ما وقع من الامور والشرور بعد واقعة شاه منصور

فاستولى تيمور على ممالك فارس وارض عراق العجم • وراسل من داناه من اقارب شاه شجاع وملوك الامم • واستمال الخواطر • وامن البادى والحاضر • ودخل فخار مدينة شيراز • وضبط احوالها • وقرر فيها خيلها ورجالها • ونادى بالامان • للقاصى والدان • فلبت دعوته ملوك البلاد • ولم يسعهم معه الا الطاعة والانقياد • فوصل اليه سلطان احمد من كرمان وشاه يحيى من يزد وعصى سلطان ابو اسحق فى سيرجان • فانعم وخلع على من اطاع وانقاد • ولم يتعرض لمن اظهر العناد • ولم يسو بينه وبين مخالفيه العصاة • واكرم من اطاع ليوقع بذلك من عصى • وطرح على شيراز وساير البلدان مال الامان • واقام فى كل بلدة من جهته نايبا وتوجه الى اصفهان

واحتسن الى زين العابدين الذى هو وصيته من ابيه • ووظف له من الجوامك والادرارات
ما يكفيه وذويه • ذكر ما صنع الزمان عند حلوله باصبهان
فلما وصل الى اصفهان • وكانت من اكبر البلدان • مملوة بالافاضل • محشوة
بالاماثل • وبها شخص من علماء الاسلام • والسادة الاعلام • قد بلغ فى العلم
الغايه • وفى العمل والاجتهاد النهايه • افعاله مبروره • وكراماته مشهوره •
ومآثره مذكوره • ومحاسنه على جبهة الايام مسطوره • وهو معتقد المسلمين •
وكاسمه امام الدين • وكان اهل اصفهان يذكرون له تيمور • ويحذرون من
شره اى محذور • فيقول لهم ما دمت فيكم حيا • لا يضركم كيده شيئا •
فان وافانى الاجل • فكونوا من اذاه على وجل • اتفق انه فى وصول تيمور توفى
الشيخ المذكور • فاصبحت اصبهان ظلمات بعضها فوق بعض بعد ان كانت
نورا على نور • فتضاعفت حسرتهم • وترادفت كسرتهم • فوقعوا فى الحين •
وصاروا كابى هريره • رضى الله عنه حيث يقول شعر

للناس هم ولى فى اليوم همان • هم الجراب وهم الشيخ عثمان •

فخرجوا اليه وصالحوه على جمل من الاموال • فارسل فيهم لاستخلاصها
الرجال • فوزعوها على الجهات • وفرضوها على الحارات والمحلات • وتفرق
فيهم المستخلصون • وكانوا يعيثون فيهم ويعبثون • واستطالوا عليهم
فجعلوهم كالخدم • وتوصلوا الى ان مدوا ايديهم الى الحرم • فانكوا منهم
اى نكايه • فرفع اهل اصبهان الى رئيسهم الشكايه • وكثرت منهم الشكيه •
وهم قوم لهم حميه • وقالوا الموت على هذه الحاله • خير من الحيوة مع
هذه الاستطاله • فقال لهم رئيسهم اذا اقبل المسا • فانى اضرب الطبل
لكن لا تحت كنا • فاذا سمعتم الطبل قد دق • فالقول قد حق • فليقبض
كل منكم على نزيله • وليحكم فيه بتميز رايه وهزيله • فاتفقوا على هذا
الراى المعكوس • والامر المنكوس • فى الطالع المنحوس • وقصروا مدى

انظارهم

صنع تيمور باهل اصبهان

انظارهم السقيمه • عن قصارى هذا الامر الوخيمه • ولما تعرى العنان
من ثوب نوره • وابدل الجو قاقمه بسموره • ومضى هزيع من الليل ضرب
الرئيس الطبل فحل بالمستخلصين الويل • فقتلوهم وكانوا نحوا من ستة
آلاف • واصبحوا وقد غرسوا فى دوح العصيان اغصان الخلاف • فاثمر
لهم ذلك الحور بعد الكور • وبان لهم البوار • فاصبحوا بورا بهذا البور •
ولما سل الفجر حسامه • وحسر النهار لثامه • بلغ تيمور ذلك الصنع المشوم •
فنفخ الشيطان منه فى الخيشوم • فارتحل من فوره • واشتعل غضب غضبه
وتشل جعبة جوره • وتوجه نحو المدينه من مجرا مصراع متكالبا
مستاسدا متنمرا • فوصل اليها • واخنى عليها • وامر بالدماء ان تسفك •
وبالحرمات ان تهتك • وبالارواح ان تسلب • وبالاموال ان تنهب •
وبالعمران ان تخرب • وبالزروع ان تحرق • وبالضروع ان تخرق • وبالاطفال
ان تطرح • وبالاجساد ان تجرح • وبالاعراض ان تثلم • وبالذمم ان تسلم
ولا تسلم • وان يطوى بساط الرحمه • وينشر مسح النقمه • فلا يرحم كبير
لكبره • ولا صغير لصغره • ولا يوقر عالم لعلمه • ولا ذو ادب لفضله
وحلمه • ولا شريف لنسبه • ولا منيف لحسبه • ولا غريب لغربته •
ولا قريب لقرابته وقربته • ولا مسلم لاسلامه • ولا ذمى لذمامه •
ولا ضعيف لضعفه • ولا جاهل لركاكة رايه وسخفه • وبالجمله
فلا يبقى على احد • ممن هو داخل البلد • فاما اهل المدينه فعلموا انه
ليس للجدال مجال • فضلا عن ضراب وقتال • وان قبول الاعذار محال •
وانه ليس ينجيهم من ريب المنون مال ولا بنون • ولا يقبل منهم فى تلك
الساعه عدل • ولا تنفعهم شفاعه • فتحصنوا بحصون الاصطبار •
وتدرعوا دروع الاعتبار • وتلقوا سهام القضاء من حنايا المنايا بمجن
تسليم المراد • واستقبلوا ضربات القدر من سيوف الحتوف باعناق التفويض

والانقياد. فاطلقوا في ميادين رقابهم عنان الحسام البتار. وجعل مقابرهم
بطون الذئاب والضباع وحواصل الاطيار. ولا زالت عواصف الفناء
تحتهم من اشجار الوجود حتى حصروا اعداد القتلى وكان نحو ست مراتب
من امة يونس بن متى. فاستغاث بعض البصراء بواحد من رؤوس الامراء
وقال البقية في البقية. والرعاية في الرعية. فقال ذلك الامير
للسائل الفقير. اجمعوا بعض الاطفال عند بعض التلال فلعل ان
تلين منه عند رؤيتهم شيئا ما عسى ولعل. فامتثلوا ما به امر ووضعوا
شرذمة من الاطفال منه على الممر. ثم ركب ذلك الامير مع تيمور واخذ
به على تلك الاطفال ومر. ثم قال له انظر يا مخدوم. نظر الراحم
الى المرحوم. فقال ما هؤلاء. الطرحى الاشقياء. فقال اطفال
معصومون. وامة مرحومون محرومون. استحر القتل بوالديهم.
وحل غضب مولانا الامير على اكابرهم وذويهم. وهؤلاء يسترحمونك
بعواطف الملوكية وصغرهم. ويستشفعون اليك بذلهم وضعفهم
ويتمهم وفقرهم وكثرهم. ان ترحم ذلهم. وتبقي على من بقي لهم.
فلم يحر جوابا. ولا ابدى خطابا. ثم مال بعنان فرسه عليهم. ولم اي لم يرد
يظهر انه نظر بهم او نظر اليهم. ومالت معه تلك الجنود والعساكر.
حتى اتى على الاول منهم والاخر. فجعلهم طعمة للسنابك. ودقة تحت
اقدام اولئك. ثم جمع الاموال. واوسق الاحمال. ومال راجعا الى
سمرقند بما نال. وكم بين هذه الامور والقضايا. من دواه وبلايا.
واخبار وحكايات وتجهيز سرايا. وتولية وعزل. وابراز هزل في
صورة جد وجد في صورة هزل. وبناء وهد. وصد ورد. وتعمير
غامر وتخريب عامر. وتهان وتغاز وانحراف وتواز. ومباحثات مع
علماء. ومناظرات مع كبراء. ورفع وضعاء. ووضع شرفاء. وتمهيد قواعد

وتقريب

وتقريب اباعد. وتبعيد ادان. وبروز مراسيم الى كل قاص ودان
الى غير ذلك مما لا يكاد يحصر. ولا ينضبط بديوان ولا دفتر ۞

ذكر ضبطه طرف المغل والختا. وما صدر منه في تلك الاماكن واتى

ولما وصل الى سمرقند ارسل ابن ابنه محمد سلطان بن جهانكير مع سيف
الدين الامير. الى اقصى ما تبلغ اليه مملكته. وتنفذ فيه كلمته.
وهو وراء سيحون شرقا سوا. اخذا في نحو ممالك المغول والختا والخطا.
نحوا من مسيرة شهر. عن ممالك ما وراء النهر. فمهدوا هنالك الوهد والبقاع.
وبنوا فيه جملة من القلاع. واقصاها بلد يسمى اشباره. فبنوا فيه حصنا
حصينا معدا للنهب والغاره. وخطب من بنات الملوك ملكة اخرى.
وكانت الاولى تدعى الملكة الكبرى. والاخرى الملكة الصغرى.
فاجابه ملكهم الى ما سال. واناب الى ما طلبه منه بالاطاعة
وبذل. وارتجت منهم اقاليم المغول والخطا. وذلك لما بلغهم مما فتك
في كل طرف وبتك من بلاد الاسلام وسطا. وكان السفير في ذلك الله داد
اخا سيف الدين المذكور. وهو الذي استخلص اموال دمشق وتركها في
دار ابن مشكور. وامر تيمور ببناء مدينة على طرف سيحون من ذلك الجانب.
وعقد اليها جسرا على متن النهر بالمراسي والمراكب. وسماها شاه رخية.
وهي في اماكن رخية. وسبب تسميته ابنه شاه رخ بهذا الاسم.
ووسم هذه المدينة بهذا الوسم. انه كان على عادته. مشغولا بلعب
الشطرنج مع بعض حاشيته. وقد امر ببناء هذه المدينة على هذا الساحل.
وكانت احدى حظاياه معه وهي حامل. فرمى على خصمه شاه رخا فذل
خصمه لذلك وارتخى. وبينما خصمه قد وقع في الاين. واذا بمبشرين
جاء المخبرين احدهما يبشره بولده. والاخر يبشره بتمام عمارة البلد.
فسماهما بهذين الاسمين. ووسمهما بهذين الوسمين ۞

ذكر عود ذلك الأفعوان الى ممالك فارس وخراسان وفتكه بملوك عراق العجم واستصفائه تلك الولايات والامم

ثم عاد بعد تمهيد البلاد وتوطيد قواعد ممالك تركستان الى بلاد خراسان فاستقبله الملوك والكبرا والسلاطين والوزرا وسارعوا اليه من كل جانب ما بين راجل وراكب ملبين دعوته حذرين سطوته مغتنمين خدمته وسلموه الانجاد والاغوار والاطواد والقفار والقرى وسكانها والذرى وقطانها والقلاع العاصيه وربطوا بذيل امره كل ناصيه ممتثلي اوامره مجتنبي زواجره عاقدي نطاق عبوديته بانامل الاخلاص تابعي رايد مرضاته على نجايب الولا والاختصاص فمنهم جميع من مر ذكره من المطيعين ومن كانوا في الشواهق ممتنعين متبعين ومن جملتهم اسكندر الجلابي احد ملوك مازندران وارشيوند الفارسكوهي ذاك الاسد الغضبان صاحب الجبال والشوامخ العاصية والقلال وابرهيم القمي صاحب النجده والمعد لكل شده واطاعه السلطان ابو اسحق من سيرجان فاجتمع عنده من ملوك عراق العجم سبعة عشر نفرا ما بين سلطان وابن سلطان وابن اخي سلطان كلهم في ممالكه ملك مطاع مثل سلطان احمد اخي شاه شجاع وشاه يحيى ابن اخي شاه شجاع سوى ملوك مازندران وسوى ارشيوند وابرهيم وملوك خراسان ولما سلك السلطان ابو اسحق نمط اقاربه في الطاعة وعمل على ذلك الطرز خلف ببلده سيرجان نايبا له يقال له كودرز فاتفق في بعض الايام انه اجتمع عند تيمور هولاء الملوك العظام وكانوا عنده في خيمة له وهو بينهم وحده فاشار واحد منهم وقد امكنت الفرصه ان يقتله ويرفع عن العالم هذه الغصه فاجابه بعض وامتنع بعض وقال لمن رضي بذلك من لم يرض ان لم

تكفوا

تكفوا وعن هذا المقال تعفوا اخبرته بهذه المقاله واطلعته على هذه الحاله فامتنعوا عن هذا الراي المتين والفكر الرصين لاختلاف فهمهم ولا يزالون مختلفين وكانه طالع اخوالهم او تفرس افوالهم فاسرها في نفسه ولم يبدها لهم ثم مكث اياما وجلس للناس جلوسا عاما وقد لبس ثيابا حمرا ودعا هولاء الملوك السبعة عشر طرا ثم امر فقتلوا جميعا في ساعة واحدة صبرا ثم لما ابادهم ضبط بلادهم وجمع طريفهم وتلادهم وقتل اولادهم واحفادهم واقام في ممالكهم اولاده وامراه واحفاده واسباطه واجناده وسبب قتله هولاء الملوك وفتكه وتمزيقه ستر حجبهم وهتكه ان بلاد العجم كانت لا تخلو عن الملوك والاكابر ومن ورث الملك والسلطنه كابرا عن كابر وهي ممالك واسعه اطرافها شاسعه مدنها وافره وقراها متكاثره واوتادها راسخه وعرانين اطوادها شامخه ومخدرات قلاعها ناشزه ومضمرات مكامنها ومعاقدها غير بارزه وكواسر اكاسرها كاسره ونواشر جوارحها للظهور ناشره ونمور دعارها طامره وببور شطارها طافره وثعابين ابطالها في جداول الجدال طاهره وتماسيح اقيالها في بحار الحراب قاهره فنظر تيمور بعين بصيرته في وذيلة تأمله ومرآة فكرته فراى انه لا يزكو له ورد عارضها من شوكة عارض ولا يصفو ورد ثغر فايضها من شارب معارض ولا ينبت له في بنيان ممالكها اساس تحكم ولا ينبت له في بستان مسالكها غراس تنعم وكان قصده ابقا مبانيها واجرا اموره على ما اقتضته التورة الجنكيزخانية فيها فلم يمكنه عمل فلاحة سلطنة في بسيط ارضها وسوق انهار اوامره في جراب ممالكها طولها وعرضها الا بقلع علايق علايق انساب اكابرها وكسر قرامي اخشاب احساب اكاسرها فسعى في استيصال فرعهم واصلهم واجتهد في اهلاك حرثهم

ونسلهم • وجعل لا يتسع لهم ببزرة نطفة في ارض رحم الا قلعها • ولا يشم منهم
رايحة زهرة في كم كمين الا قطعها • وقيل انه كان في مجلس فيه اسكندر
الجلايري وكانه كان مجلس نشاط • ومقام انشراح وانبساط • فسال اسكندر
في ذلك المحضر وقال ان حكم القضا بافساد بنيتي • من تراه يتعرض
لاولادي وذريتي • فاجابه وهو في حالة الشطح • وقد خلت عليه
دماغه ووضع سراج العقل منها فوق السطح • اول من ينازع اولادك
المشايم • انا وارشيوند وابرهيم • فان نجا من مخالبي منهم احد • فانه لا
يخلص من انياب ابرهيم الاسد • وان افلت احد منهم من ذلك البند • فانه
لا يخرج له من شرك ارشيوند • وكان ارشيوند وابرهيم غايبين • فلم يتعرض
تيمور لاسكندر بضرر وشين • واراد بالابقا عليه • وتوعد مع صاحبيه •
فلما افاق اسكندر ليم على ما قال • فقال لا مفر من قضا الله ولا محال •
ولا عتب في ذلك علي • انطقني بذلك الله الذي انطق كل شي • ثم ان اسكندر
وابرهيم هربا • فقبض على ارشيوند والقاه في النازعات فصار نسيا • وهتك حريم
عمره اذ جرعه اول الرعد فاقراه اخر نوح وسبا • ثم ان اسكندر لم ير له اثر •
ولا سمع عنه والى يومنا هذا خبر • وكان كبير الهامه • طويل القامه • اذا
مشى بين الناس كان علامه • حتى قيل ان يدي ذلك القصر المشيد • كانتا (انكمش جلده)
نحوا من ثلاثة اذرع ونصف بالحديد • وابرهيم القمي استمر على انكماشه •
ثم مات على فراشه • وكان ذلك سبب ابادة الملوك وابناهم المهالك • **فصل**
ثم ان تيمور عصى عليه كودرز في قلعة سيرجان • وقال ان مخدومي
شاه منصور موجود الى الان • وكان هذا الكلام • فاشيا في الخاص والعام •
وكان كودرز يتوقع ظهوره • ويرجي على ذلك اعوامه وشهوره • فحاصر
تيمور قلعة سيرجان • فلم يلح له عليها سلطان • فوجه اليها عساكر شيراز
ويزد وابرقوه وكرمان • واضاف اليهم عساكر سجستان وذلك بعد ان

شملها

شملها العمران • وكان نايبها يدعى شاه ابا الفتح فحاصروها نحوا من عشر سنين • وهم
ما بين ظاعنين عنها وعليها مقيمين • وهي بكر لا تفتح لطالبها بابا • وعانس لا يملك خاطبها
منها خطابا • وكان تيمور ولى كرمان • شخصا يدعى ايدكو من اخوان الشيطان •
فكان هو المشار اليه • وفي العسكر هو المعول عليه • ولما تحقق كودرز من شاه
منصور وفاته • وخذله الانصار واعجزه الانتصار وفاته • وكان ابو الفتح يراسله
كل ساعه • ويتكفل له عند تيمور بالشفاعه • فاذعن للصلح • واستعمل في
ذلك ابا الفتح • ونزل مترامیا عليهم • وسلم الحصن اليهم • فحنق ايدكو عليه •
لكون عقد الصلح لم يجل على يديه • فقتله من ساعته • ولم يلتفت الى ابي الفتح
وشفاعته • فاخبر تيمور بذلك • وكان في بعض الممالك • فغضب عليه غضبا
شديدا ولكن فات التدارك • **فصل** مما يحكى عن ايدكو هذا متولي كرمان • انه
كان بها للسلطان احمد اخي شاه شجاع ولدان صغيران • احدهما يدعى سلطان مهدي
والاخر سليمان خان • وكان سليمان خان في غاية الحسن واللطافه • حاويا معاني
الملاحة والظرافه • مغتذيا بالكمال • مربى بالدلال • الفاظه رايقه • ولحاظه
راشقه • والارواح اليه شايقه • وارباب الالباب له عاشقه • حركاته
في القلوب ساكنه • ولفتاته للخلق فاتنه • كما قيل شعر

نسيم عبير في غلالة ماء • وتمثال نور في اديم هواء

وعمره اذ ذاك ستة اعوام • ولكن مفتتن به الخاص والعام • فعزم ايدكو
على اتلافهما • والحاقهما باسلافهما • ولم يكتف من تلك الذرة بانها صارت يتيمه •
ولا رق لامه التي خربت ديارها لكونها مخدرة كريمه • ولم يكن له مدافع •
ولا عنهما ممانع • فطلب من الجلادين من يعتمد في ذلك عليه • فلم تطب نفس
احد ان يمتد يده بمكروه اليه • ومضى على ذلك مدة • والخلق بسبب هذه
القضية في ضيق وشده • حتى وجدوا عبدا اسود • كانه للبلاء مرصد • وكان
الشياطين له عبده • والعفاريت جنوده وحفده • وثوب ليل القهر من سداه سواده

انتسج • واصل الشجره التى طلعها كانه رؤس الشياطين من حبة فواده نبت فنجح •
يتململ عند صدا صوته خوار الثيران • ويستحسن عند خيال صورته مشاهدة
الغيلان قلت شعر زبانية النيران تكره وجهه • وحين تراه تستعيذ جهنم •
قد نزع الله من قلبه المرحمه • وجبل فواده على المأثمه • فارغبوه فى ان يخلعهما •
ويقتلهما • وكانت عين سليمان خان رمدا • وقد سكن فى حجر دايته وتهدى •
فدخل عليه ذلك الظالم من ساعته • واغتاله وهو راقد فى حجر دايته •
وضربه فى جنبه بخنجر • انفذه من الجنب الاخر • فارتفع الضجيج والولوله •
ووقع العجيج فى الناس والزلزله • وعم المأتم امه الواله واهلها • وطفق الناس
يبكون عليها ولها • والظاهر ان هذه الامور • كانت باشارة تيمور • وعسكر
ذلك الظلوم الكفار • ماكان يخلو عن مثل هذه الشرور والاشرار • ولو كان
فاعله من غيرهم • لكن لعلة المصاحبة والمرافقة كان يسير بسيرهم •
حكايه لما ارتحل عن الشام بجنوده الغزيره • كان مع واحد منهم منها اسيره •
كشفت ايدى النوايب قناع عصمتها ولطمتها • وعلى يديها بنت لها رضيع
فطمتها • فلما قربوا الى حماه • جعلت البنت تان انين الاواه • ولما بها من
المضض المبكى • تنكد وتبكى • ومعهم جمال من بغداد • منطو على الفساد •
محنو على النكاد • مجبول على الغلاظه والقساوه • معجون من الفظاظه
والغباوه • مملو من البذا • متضلع من الاذى • لم يخلق الله تعالى فى
قلبه من الرحمة شيا فينتزع • ولم يودع لسانه لفظا من الخير فيستمع • فاخذ
تلك البنت من امها • فداوى فى وهمها • انه انما اخذها ليخفف من همها • وكانت
راكبه على جمل • ثم انقطع ساعه عن الثقل • ثم وصل ويده خاليه • وقهقهته
عاليه • فاستكشفت امها حالها • فقال مالى ومالها • فهوى عقلها وهى
فطرحت نفسها وبحثت نحوها • فاخذتها وانقلبت • واتت بها وركبت • فتناولها
منها مرة اخرى • على ان لايسوها ضرا • ثم غاب عنها ورجع • وقد صنع كما صنع •

فالقت نفسها ثانيه • وعدت اليها ثانيه • وجاءت وهى عانيه • وقطوف حتوفها منها
دانيه • فركبت واخذتها • ووضعتها على كبدها التى منها فلذتها • فاخذها
مرة ثالثه • بنية فى الفساد عابثه • وحلف لها يمينا حانثه • انه يحملها بنو
ولا يمسها بسو • فحملها ساعه • ثم تخلف عن الجماعه • ورمى بها فى بعض البطاح •
وفعل بها ما فعله اليهودى بصاحبة الاوضاح • وجاوبت الدامغه • بالام
ملاى ومن البنت فارغه • وقد سلبها سلبها • وجلب الى امها جلبها • فاطرحت
نفسها باكيه • ورامت الرجعى جاريه • فقال لها لا تتعبى كفيتك همها
فارجعى واركبى • فبكت وصاحت • وانت وناحت • ووقعت فى العنا وان كانت
استراحت • والناس على دين ملوكهم • سالكون طرايق سلوكهم •

سبب دخوله الى عراق العرب • وان كان ايذاوه لا يحتاج الى سبب

ولما خلص لتيمور جميع ممالك العجم • ودانت له الملوك والامم • وانتهت
مراسيمه الى حدود عراق العرب • غضب السلطان احمد صاحب بغداد
واضطرب • فجهز جيشا عرمرما • وجعل رئيسهم اميرا مقداما مقدما • يدعى
شتناى • فتوجه الجيش نحو الجغتاى • فبلغ تيمور خبر الجيش وخبره • فسر
بذلك قلبه وانشرح صدره • فجعل ذلك سببا لمهاوشته • وذريعة لمحاربة
ملك العراق ومناوشته • وانفذ جيشا كرارا • بل بحرا زخارا • فتلاقيا بصدق
نيه • على مدينه سلطانيه • فصدق كل منهما صاحبه الضراب • وتبدد
لبحر السنة الاسنة وسهام الحراب • واستمد بحر الجغتاى من افواج امواجه
والاصطدام • فانكسر فى قساطله ثبات جند شتناى فانهزم • ووصل فلهم الى
بغداد • وتشتتوا فى البلاد • فالبس سلطان احمد شتناى المقنعه • واشهره فى
بغداد بعد ان ضربه واوجعه • وكف تيمور عن عناده • وقفل متوجها الى بلاده ٥

سكون ذلك الزعزع الثاير • وهدو ذلك البحر المايز •
لتطمين سنه الاطراف فيحطها كما يريد ويدير بها الدواير ٥

تمت ... فعله ... مكان ... الكلب ... لضا ...

ثم ان تيمور خرج من سمرقند الى ضواحيها • وجعل يتنقل في جوانبها ونواحيها •
وبنى حواليها قصبات • سماهن باسماء كبار المدن والامهات • وقد صفت
له سمرقند وولاياتها • وممالك ما وراء النهر وجهاتها • وتركستان وما فيها
من البلاد • وما يليها من جهته يدعى خدابداد • وخوارزم التي بها فتك وسطا •
وكاشغر وهي في نحر ممالك الخطا • وبلخشان وهي ممالك على حدة • عن
ممالك سمرقند متباعدة • واقاليم خراسان • وغالب ممالك مازندران
ورستمدار وزاولستان • وطبرستان والري وغزنة واستراباد • وسلطانية وطالقان صح
وقزوين وسائر تلك البلاد • وجبال الغور المنيعة • وعراق العجم وفارس
الشامخة الرفيعة • وكل ذلك من غير منازع • ولا مجاذب ولا ممانع • وله
في كل مملكة من هذه الممالك ولد • او ولد ولد • او نائب معتمد •
انموذج مما كان يغور • ذلك الظلوم الكفور • من عساكره في بحور ويغوص
على اموره • ثم يفور بشروره • ومن جملة ذلك غوصه من ما ورا النهر وخروجه من
بلاد اللور • ثم انه مع اتساع مملكته • وانتشار هيبته وصولته • وشيوع
اراجيفه في الاقطار • وبلوغ تجاويف الاقاليم والامصار • وثقل انقاله • تجاويفه صح
وعدم اختفاء توجهه الى جهة وانتقاله • كان يجري في جسد العالم
مجرى الشيطان من ابن آدم • ويدب في البلاد • دبيب السم في الاجساد • قلت
شعر
يصوب يمنة ويصيب يسرى • وينوي جبهة والقصد ثغره
بينا يكون له في المشارق بارق فبالوقت • اذ لمع له في الغرب بوارق بوائق
وبينما نغمات طبوله وضربات اعواده تقرع في حصار العراق واصفهان
وشيرازه واذا ابرنات اوتاره وبوقات ابواقه تسمع في مخالف الروم ومقام
الرهاوي وركب الحجاز • فمن ذلك انه كان مكث في سمرقند مشغولا بانشاء
البساتين وعمارة القصور • وقد امنت منه البلاد واطمانت الثغور • فلما
انتهت اموره • وبلغ الكمال قصوره • امر بجمع جنده • الى سمرقند • ثم امرهم

ان يصنعوا لهم قلانس ابتدعها • وعلى صورة من التركيب والتضريب اخترعها •
فيلبسوها ويتبرون • وما يدرون الى اين يصيرون • ليكون ذلك لهم شعارا • وقد كان
ارصد له في كل جهة من ممالكه جشارا • ثم رحل عن سمرقند • واشاع انه
قاصد خجند • وبلاد الترك وجند • ثم انه اندمس • في دردور عسكره
وانغمس • كانه في لجة بحر انغمس • ولم يشعر احد اين عطف • ولا الى اي قصد
انخطف • ولا زال في تاويب واسآد • وجوب بلاد بعد بلاد • يسير سير
الكواكب • ويجري جري المراكب • ويطرح ما وقف وكل من نجايب الجنايب
حتى بغت من بلاد اللور • ولم يكن لاحد به شعور • وهي بلاد عامرة • خيراتها
متكاثرة • وفواكهها وافرة • واسم قلعتها بروجرد وحاكمها ملك عز الدين
العباسي • وهي وان كانت في الحضيض لكن كانت تسامي بمناعتها حصون
الجبال الرواسي • وهي مجاورة همدان • ومتاخمة عراق العرب كاذربيجان •
فاحاط بالقلعة وما حواليها • وحاصر ملكها المتولي عليها • ولما كان
صاحبها بلا عدد ولا عدد • ولا اهبة ولا مدد • وكان في صورة المتوكل
المحتسب • واتاه البلاء من حيث لا يحتسب • لم يسعه الا طلب الامان
والانقياد له والاذعان • فنزل اليه وسلمه قياده • فقبض عليه وضبط بلاده •
ثم ارسله الى سمرقند وحبسه • وضيق عليه نفسه ونفسه • ثم بعد ذلك
بمدة حلفه ورفع عنه ما نابه • وصالحه على جمل من الخيل والبغال ورده الى
بلاده واستنابه • ولما استخلص ذلك الكفور • ولايات تلك الكفور •
واصل السير الى همدان • في اقرب زمان • فوصل اليها واهلها غافلون • فجاءها
البأس بياتا او هم قائلون • فخرج اليه منها رجل شريف يقال له مجتبى • وكان
عند الملوك مصطفى • ولديهم مرتضى • فشفع فيهم فشفعه على ان يبذلوا مال الامان
ويشتروا باموالهم ما من عليهم به من الارواح والابدان • فامتثلوا امره وفعلوا •
ووزعوا ذلك فجمعوه والى خزائنه نقلوا • فدعته نفسه الخائنة • ان طرح

عليهم المال ثانيه • فخرج اليه ذلك الرجل الجليل • ووقف فى مقام الشفاعه
مقام البائس الذليل • فقبل شفاعته • ووهبه جماعته • ثم انه شد ذلك
بمكانه وجثم • حتى تلاحق به عسكره والتام • ٥

ابتدا خريب ذلك الحرب • ادربيجان وممالك عراق العرب •

ولما بلغ السلطان احمد بن الشيخ اويس • ما فعله بغنم رعايا جيرانه اللور
وهمدان ذلك الاويس • علم انه لا بد له من قصد مملكته وديارة • لانه
هو باداه بالشر وطرح على شراره طاير شراره • وان عسكره وان كان كالسيل
الهامر فانه لا مقاومة له بحره وتياره • وانه اذا جاءه امر الله بطل به عيسى
ولا مقابلة لسحرة فرعون مع عصا موسى • قلت

السيل يقلع ما يلقاه من شجر • بين الجبال ومنه الصخر ينفطر •
حتى يوافى عباب البحر تنظره • قد اضمحل فلا يبقى له اثر •

فاستعد للبلاء قبل نزوله • وتاهب له قبل حلوله • فتشمر للهزيمه • وعلم ان
ايابه سالما نصف الغنيمه • واقتصر من بسيط فقه المقاتله والمقابله
على الوجيز • وصمم على خروج من ممالك بغداد والعراق وتبريز • وقال
لنفسه النجا النجا • وجهز ما يخاف عليه صحبة ابنه السلطان طاهر الى
قلعة النجا • وارسل فى تيمور الاشعار والهجا فمن ذلك ما ترجمته فقلت

لئن كانت يدى فى الحرب شلا • فرجلى فى الهزيمة غير عرجا •

ثم قصد البلاد الشاميه • وذلك فى سنة خمس وتسعين وسبعمايه •
فى حياة الملك الظاهر ابى سعيد برقوق رحمه الله تعالى فوصل تيمور
الى تبريز ونهب بها الذليل والعزيز • ووجه الى قلعة النجا العساكر •
لانها كانت معقل السلطان احمد وبها ولده وزوجته والذخاير • وتوجه
هو الى بغداد ونهبها • ولم يخربها ولكن سلبها • وكان الوالى بالنجا
رجلا شديد الباس يدعى التون • عند السلطان احمد مامون وله اليه

ركون • ومعه جماعة من اهل النجده • واولى الباس والشده • نحو من ثلثمايه
رجل فى العده • وكان ينزل بهم التون • اذا اخذ الليل فى السكون •
ويشن الغاره على تلك العساكر والمكان المسكون • فوهن امرا العسكر •
فابلغوا تيمور هذا الخبر • فامدهم بنحو اربعين الف مقاتل مشهور • مع اربعه
امرا كبيرهم يدعى قتلغ تيمور • فوصلوا الى القلعه ولم يكن اذ ذاك
التون فيها • وكان قد خرج للغارة على من فى ضواحيها • فبينا هو راجع
واذا بالنقع ساطع • فلما اطلع طلع الخبر • قال ابن المفر • فقيل كلا
لا وزر • فعلم انه لا ملجا من الله الا اليه • فثبت جاشه وحاشيته وتوكل
عليه • وقال ان الرؤس فى مثل هذا المقام • انما يكونون تحت الاعلام •
فاحطموا نحو قلب هولاء اللئام • فاما ان تبلغوا المرام • او تموتوا على ظهر
الخيل وانتم كرام • اذ لا ينجيكم من هذا الكرب • سوى الطعن الصادق
والضرب • فتعاضدوا بهمة ونية صادقه • وعزيمة على حصول الخلاص
من الله تعالى واثقه • وقد احاطوا بهم احاطة الشبكة بالسمكه •
وصاروا فى وسطهم كالمغزل فى الفلكه • وقصدوا الراية وحامليها
ومن يليها ويذودها • فساعدهم ساعد سعد الحيان بنصرته • وحل عنهم
القبض الداخل وانكسر عقلته • فاسالوا على راياتهم ذات البياض من
الدما حمره • وفتحت لجماعتهم طريقا الى عتبة النصره • فلاح لهم فلاح
وجنح لهم نجاح • فنجوا من الشرور • وحصل لهم السرور • بعد ان قتلوا من
العسكر اميرين احدهما قتلغ تيمور • ولما وصل هذا الخبر اليه • اسودت
الدنيا فى عينيه • بل انقلب الكون والمكان عليه • ثم نهض اليها بنفسه •
وربض عليها بجرسه • واحاط بجوانبها • والقم الحرس افواه مضاربها • صفة
قلعة النجا وهذه القلعه امنع من العقاب • وارفع من السحاب • يناجى
السماك سماكها • ويباهى الافلاك استمساكها • كان الشمس فى شرفها ترس

ولكن شماتة الاعداء ... قتما والله بعد العرصم

من الابريز على بعض شرفها • وكان الثريا في انتصابها • قنديل معلق على بابها •
لا يحوم طاير الوهم عليها • فانى يصل طايش السهم اليها • ولا يتعلق بخدم خدمتها
خلخال خيال وافتكار • فضلا ان يحلق على معصم عصمتها من عساكر الاساور
سوار • وكان التون قد تربى في ترايب ترابها • واهل مكة اخبر بشعابها • فصار
كلما سجى الليل الساجم • وارصد لسراق الشياطين عيونه الرواجم • هبط
من تلك القلال • وسرى سرى طيف الخيال • ودب دبيب النجم في اللحم
والما في العود والنار في الفحم • من درب لم يتوهمه الظنون • بعون من لا
تراه العيون • بحيث لا يشعر به الحرس • ولا يبصر به العسس • ولا يزال
يتلو عليهم آيات الاغفا • وينفث بطلسمات الاستخفا • ويتقرب ويترقب
حتى يلوح له في الحي مضرب • فيقتل ويسلب • وينهب ويهرب • فيكر
سالما • ويفر غانما • فلم يزل ذلك دابهم ودابه • حتى اعجز تيمور واصحابه •
فلم ير تيمور اوفق من الارتحال • لضيق المجال • وعسر المنال • فارتحل عنها بعد
ان رتب عليها للحصار البزك • واستمر الحصار مدة طويلة والقضا يقول له
اصبر فانها لن تتحرك • قيل انها مكثت في الحصار اثنى عشرة سنة وسبب
اخذها ان التون المذكور • كان له اخ بالفسق مشهور • فحصل بينه وبين ام
السلطان طاهر • خيانة اوجبت عليهما ما يجب على العاهر • فاطلع على ذلك
طاهر بن السلطان احمد • فقبض عليهما وقتلهما سالكا في ذلك الراى
الاحمد • وكان اذ ذاك التون عن القلعة غايبا • قد خرج منها وقصد
للغارة جانبا • فلما رجع التون اغلقوا باب القلعة عليه • ورموا باخيه
من فوق السور اليه • واخبروه خبره • وعجره وبجره • فقال جزاكم الله
احسن الجزا • وجعل حظكم من الخيرات اوفر الاجزا • لو كنت عالما فعله •
او حاضرا قتله • لعاملته بما هو اهله • وفعلت به ما يجب فعله • وحل
به من الزمان دواهيه • ولا رتكم العبر فيه • ولا شهرته في خلق الله تعالى

قوله عجره وبجره اى عيوبه وامره كله كما فى القاموس

وبرتبته • ونادت عليه هذا جزا من يخون ولى نعمته • ثم طلب الدخول •
فقطعوه عن الوصول • فقال اما اخى فانه جنى فذاق ثمرة ما جناه • واما
انا فقلبي على الوفا بعهدكم من الازل والى حين وفاه • ولم ازل موالى
وليكم • ومعادى عدوكم • فان طردتموني فالى اين اذهب • وان رددتم
رغبتي فيكم ففي من ارغب • فقالوا ربما ادركتك الحمية • ولحقتك العصبية
فتذكرت اخاك • وتفكرت شدتك بعد رخاك • فنقمت وانتقمت
واعوججت بعد ما استقمت • وتكدر منك ما صفا • وناهيك قصة
الاخوين مع ذات الصفا • قلت

ويمكن وصل الحبل بعد انقطاعه • ولكنه تبقى به عقدة الربط

فانشا ايمانا واثقه • ان كلماته وعهوده صادقه • فقالوا لا تطل فما ثبت
ما لك عندنا مقيل ولا مبيت • فارجع من حيث جيت • وهذا آخر العهد
منك غضبت ام رضيت • فاخذته ذم دهره • وياكل يديه ندامة وحسره •
على انه انفذ عمره • في طاعة من لم يعرف قدره • ثم دنا فتدلى وعبس
وتولى • وشتت فرسه وماله • وفرق خيله ورجاله • ولما لم يكن له ملجا
سوى قلعة النجا • وقد خرجت من يده • والقت النار في كبده • ضرب
اخماسا لاسداس • فيمن يقصده من الناس • ثم اورى رايه الزند • ان
يقصد مدينة مرند • وكانت تحت حكم تيمور • وفيها امير تيمور فسالها •
وقصد حاكمها • لابسا لبدا • وتاركا مالا وولدا • ولما اتصل بحاكمها الخبر •
احاط به الجبن والخور • فاضطرب واقشعر • واضطرم واعتكر • واخذ الحذر •
ورام المفر • فقيل انه وحده • من غير رجال وعدة • فرجع عقله اليه •
ودخل التون عليه • فاخذ في التفتيش عن اموره • ثم قطع راسه وارسله
الى تيمور • فتحرق لذلك واشتكى • وتاسف عليه وبكى • وارسل الى قاتله
فعزله • ثم صادره وقتله • ثم ان السلطان طاهر لما احدث هذا الحدث

[illegible]

وتنجس بهذه الخبائث والخبث • لم يمكنه الاقامة فاذن بالرحيل • وامر بجماعة
قبلة التحويل • اذ نشز عنه مخدرات القلعة فعجز عن احصان تحصينها •
وعنز عن اقتضاض ابكارها وعونها • وقتل جيشه وفل • فسل مناعة منها
وانسل • فذل لتيمور صعابها • وفتح له من غير معالجة بابها • فولى بها من
يثق به من الاعوان • ووصى به لعلة المجاورة الشيخ ابرهيم حاكم شروان •
ثم ثنى عنان الفساد • الى صوب بغداد • فهرب السلطان احمد كما ذكر الى
الشام في فئة • وذلك في شوال سنة خمس وتسعين وسبعمائة • فوصل اليها
حادي عشريه يوم السبت • فكبتها وما حوالها اي كبت • ثم صدر وهو
وقبيله عن ولاية بغدان • قاصدين ديار بكر واورنجان • ۞

ذكر ما افتعله من الخديعة والمكر • في بلاد ارزنجان وديار بكر •

فوصل الى ديار بكر واستخلصها • ومن ايدي ولاتها خلصها • فعصت عليه
قلعة تكريت • فسلط عليها من عساكره كل عفريت • وذلك يوم الثلثا
رابع عشر ذي الحجة • وقد ارتجت منه البلاد اشد رجة • فحاصرها واخذها
في صفر بالامان • ونزل اليه متوليها حسن بن بولتيمور متدرع الاكفان •
وفي حضنه وعلى عاتقه اطفاله • وقد ودعه اهله وماله • واسلمته
خيله ورجاله • وذلك بعد ما عاهده ان لا يريق دمه • فارسله الى الحائط
فنقضه عليه وردمه • وقتل من بها من رجال • وسبا النسا واسر الاطفال •
وجعل يعيث ويستاصل • ويقطع في الفساد ويوصل • حتى اناخ يوم الجمعة
حادي عشرين صفر سنة ست وتسعين على الموصل • فاخربها وكسرها •
ثم الى راس عين ونهبها واسرها • ثم الى الرها تحول • ودخلها يوم الاحد غرة
شهر ربيع الاول • فزاد عيثا وفسادا • وجار فيما عاند ثمودا وعادا
وخرج من تلك البلد • ثاني عشريه يوم الاحد • ثم اختار من تسور قومه طائفة •
على ورد الدما حائمة • وعلى قتل المسلمين عاكفة • فاخذهم وانذعر •

وفي ممالك ديار بكر انغمر • ولم يزالوا بها عائثين ولاذاها قاصدين وعليها
طالمين وفيها ماردين • فقصدها بتلك العفاريت المصاليت • وواصل السير
اليها فوصلها في خمسة ايام من تكريت • ومسافة ما بينهما للمجد اثنا عشر
يوما ان لم يزد • وكان سلطانها الملك الطاهر تحقق انه لا نصير من النجا
اليه • وقدم في ثوب الطاعة عليه • فما وسعه الا التشبث بذيل ذممه •
والانتظام في سلك خدمه

ذكر ما جرى لسلطان ماردين الملك الطاهر من المحنة والبلا مع ذلك الغادر الماكر •

لكنه خاف غائلته • فجمع حاشيته
وصاغيته • وقال اني ذاهب الى هذا الرجل ومظهر له الانقياد • فان ردني
حسبما اريد فهو المراد • وان طالبني بالقلعة • فكونوا انتم على التابي والمنعة •
واياكم ان تسلموها اليه • او تعتمدوا في الكلام عليه • وان دار الامر
بين تسليم القلعة وبين اتلافي • فاحتفظوا بالقلعة واجعلوا التلافي في
تلافي • فانكم ان تسلموها اليه خرجتم من باطنكم وظاهركم • واتى بالهلاك
على اولكم واخركم • وحشرتم شعاركم ودثاركم • وعدمتم انفسكم
ودياركم • واذا كان كذلك فانا اجعل نفسي فداكم • واكفيكم
بروحي ما دهاكم • وبعض الشر اهون من بعض • وها انا احثر لكم
النبض • ثم قصد ذلك الكالح • والمفسد الطالح • بعد ما استخلف ابن
اخيه الملك الصالح • شهاب الدين احمد بن الملك السعيد • اسكندر
ابن الملك الصالح الشهيد • ونزل يوم الاربعا خامس عشر ربيع الاول
سنة ست وتسعين وسبعمائة • واجتمع به في سلحه بمكان يسمى الهلالية •
فقابله بشنعه • وقبض عليه بسرعه • وطلب منه تسليم القلعه •
فقال القلعه عند اربابها • وبيد اصحابها • وانا لا املك الا نفسي فقدمتها
اليك • وقدمت بها عليك • فلا تحملني فوق طاقتي • ولا تكلفني غير
استطاعتي • فاتي به الى القلعة وطلبها منهم فابوا • فقدمه اليهم ليضرب

عنقه او يسلموه فنبوا . فطلب منه في مقابلة الامان من الدراهم الفضة
مائة تومان كل تومان عشرون الفا . خارجة عما يتقرب به اليه زلفى .
ثم انه شدّ وثاقه . وشدّ عليه ليذهب عنه ما به من قوة كل باب وطاقة .
وشمّر للفساد ذيله . وجعل يرخي رجله ويشمر خيله . ويتفوق كاسات
فساده . ويتمرد على عباد الله وبلاده . واستمر على ذلك لا يعي ولا يفيق .
ثم امر عساكره . في جمادى الآخرة . ان يمدّوا قاصدين . ويقصدوا
ماردين . فسابقوا الطير . ولاحقوا السير . وجاروا بالنهار الانهار .
وبالليل السيل . فقطعوا فقار القفار قطع الهندي . وعملوا في تلك
الجبال والقلال بما قاله الكندي . وهو شعر

تسموت اليها بعد ما نام اهلها . سمو حباب الماء حالا على حال

فوصلوا اليها على غفلة . واخنوا عليها من غير مهلة . وذلك يوم الثلثا
ثاني عشره . وقد سلّ الصبح حسام فجره . وطار غراب الدجى عن وكره .
فصاروا اسوار معصم تلك الاسوار . واحلوا الدمار بهاتيك الديار .
فعموها رجفا . وساموها خسفا . وهدوها زحفا . ودكوها وجفا .
وتعلقوا باهداب ارجائها . وتسلقوا بالسلالم من ارضها الى سمائها .
فكان متسلقهم على الاسوار من القبلة رابية اليهود ومن الغرب التلول
ومن الشرق المنشار . فاخذوا المدينة عنوة وقسرا . وملاوها فسقا
وكفرا . وترفع اهل المدينة الى القلعة . ولم يكره احد سواهم علو المنزلة
والرفعة . واكوهدوا ملتجئين الى قوادمها وخوافيها . وذبّ عنهم من
القلعة بالسهام والمكاحل والمدافع من كان فيها . فقتلوا من ظفروا به
ذكرا وانثى صغيرا وكبيرا . ولم يرتضوا بما فيها نهبا وبمن فيها اسيرا .
فجالد بعض الناس واظهر لهم بعض جلاده . واراد تثبيته لهم ان يضم
الجهاد الى الشهاده . ولا زالت ايات القتال عليهم تتلى حتى امتلات المدينة

اكوهد الفرخ اذا ارتعد الى امه عند الزرق

من الجرحى

30

من الجرحى والقتلى . واستمر ذلك من قبل طلوع الشمس الى ان صار اليوم امس .
وحين التقى على صفحتي الكون عارضا الليل . واستوفى اولئك المطففون من ظلمهم
وتعديهم الميزان والكيل . وبادر نون الظلام . بونس الشمس بالالتقام . طرا
على تلك الحركات السكون . فتراجعوا وترك العسكر مقابل عين بون . وقد
قتل من العسكر من ما سبق العدد . واكثرهم كان من اهل البلد . فباتوا يعدون
السلاح ويثقفونه . وينتظرون الصباح ويستبطئونه . الى ان شق الليل مكتوم
جيبه . واظهر الظلام مكنون غيبه . وامر الكون وجه النهار ان يضرب على
جبين الافاق اطراف شيبه . بكروا بكور الغراب . وبرزوا الى الحراب والخراب
وعصروا اهل المدينة وحاصروها اشد حصر . وهدموها واسوارها من
الظهر فمحوا اثارها بعد العصر . ثم باؤا بالاثام . وقد انتشر كظلمهم الظلام .

ايضاح ما اخفاه من الحيلة . وصلود زند تلك الافكار الوبيلة .

ولما آب امله بالخيبة . ولم يمكنه تحصيل القلعة بالهيبة . شحذ فكراه
وجدد مكرا . وتاب عن المقابحة . وثاب الى المصالحة . فردع ذلك الخميس
في نهار الخميس . وارسل اليهم يقول . ضمن كتاب مع رسول . يعلم اهل قلعة
ماردين . والضعفا والعجزة المساكين العطاش انا قد عفونا عنهم واعطيناهم
الامان على نفوسهم ودمائهم فليأمنوا وليضاعفوا لنا الادعية . وهذه
الرسالة نقلتها كما وجدتها . فما اسنت كبده . ولا انجح قصده . لان رصدها
كانوا غير راقدين . وشياطين حرسها كانوا كهي ماردين . فارتحل ذلك
البلية . بكرة السبت الى البشيرية . وارسل الى آمد الجنود . مع امير يدعى سلطان
محمود . فتوجه بجيش طام . وحاصرها خمسة ايام . وارسل يستمد عليها .
فتوجه بنفسه اليها . واحلها الهوان . فطلبوا الامان . فامن البواب .
ففتح له الباب . فدخل من باب التل . ووضع السيف في الكل . فاباد الجميع .
وابار العاصي والمطيع . واسروا الصغار . وهتكوا استار الحرم وحرم الاستار

وادافوا الناس لباس الباس • والتجا بعض الناس الى الجامع • فقتلوا منهم نحو
الفى ساجد وراكع • ثم حرقوا الجامع ورحلوا وتركوها بلاقع • فهذاه
البلبس الى اخذ قلعه ارجيش • ثم بادر بالتحريك • وحط على قلعة اونيك •
وفيها مصر بن قرا محمد امير التركمان • فحاصرها فاخذها بالامان • ثم قتل كل
من كان فيها من الجند • وصير مصر الى سمرقند **فصل** ثم استصحب الملك
الظاهر بشوينه • ورحل سابع ذى القعده سنة ست وتسعين وسبعمايه •
وحبسه فى مدينة سلطانيه • وحبس عنده من امرايه الامير ركن الدين
وعز الدين السليمانى واسنبوغا وضيا الدين وضيق عليه بان يقطعوا عن اهله
خبره • بحيث لا يدرى احد بحره وبجره • ولما اثخنه وشد الوثاق • قصد
التوجه الى دشت قبجاق • فاجرى نحوها ما اقام من الفتنة على قدم وساق •
ومكث الملك الظاهر سنه • لا يدرى احد خبره فى يقظة ولا سنه • ثم وفدت
الملكة الكبرى الى سلطانيه • وخففت عنه ما به من ضيق وبليه • وفتحت له
فى مراسلة جماعته • وحرضته على طلب الدخول فى رضى تيمور وطاعته •
زاعمة انها ناصحة له وطالبة مصلحته • وكان ذلك من مكايد تيمور وباشارته •
ثم رجع تيمور من الدشت فى شعبان • سنة ثمان وتسعين فمكث بسلطانيه
ثلاثة عشر يوما ثم توجه الى همدان • ومكث بها الى ثالث عشر شهر رمضان •
ثم استدعى من سلطانيه الملك الظاهر • باكرام تام وانشراح صدر
وخاطر • ففكوا قيوده وقيود متعلقيه • وعظموه غاية التعظيم مع
ذويه • وتوجه اليه يوم الخميس خامس عشره • ودخل عليه يوم السبت
سابع عشره • فتلقاه بالاحترام واعتنقه • واذهب عنه دهشته وقلقه •
وقبله فى وجهه مرارا • واعتذر اليه مما فعله معه جهارا • وقال له انك
لله ولى • ورفيع القدر كابى بكر وعلى • وتحلل منه • عما صدر فى حقه عنه •
واضافه ستة ايام • وخلع عليه خلع الملوك العظام • واحله محلا

جميلا

جميلا • واعطاه عطا جزيلا • من ذلك مايه فرس وعشر بغال • وستون الف
دينار كبكيه وستة جمال • وخلعا من زركشة مكلله • وانعامات
وافرة مكمله • ولوا يخفق على راسه منصورا • وستة وخمسين منشورا •
كل منشور بتوليه بلد • وان لا ينازعه فيه احد • اول ذلك الرها الى
آخر ديار بكر • الى حدود اذربيجان وارمينيه وكل فى ذلك من الدهاء
والمكر • وان جميع حكام تلك البلاد يكونون تحت طاعته • معدودين فى
جملة خدمه وجماعته • يحملون اليه الخراج والخدم • ولا ينقلون الا
عن امره قدما عن قدم • بحيث يكون شخص كل من يجاوره بما افاء الله
عليه لظله فيا • ويبقى هو فلا يحمل الى تيمور ولا الى غيره شيا • وهذا
وان كان فى الظاهر كالاكرام • فانه فيما يؤول اليه وبال عليه
وانتقام • وفيه كما ترى ما فيه • والقاء العداوه بينه وبين مجاوريه •
وينجر ذلك الى ان يلتجى اليه • ويعول فى كل اموره عليه • ويدخل
لكثرة الاعداء تحت ضبنه • فيصل اذ ذاك الى حصنه • ثم انه شرط
عليه • انه كلما طلبه جا اليه • ثم عانقه وودعه • وامر امراه لتشيعه •
فخرج من الضيق الى السعه • ثالث عشرى شهر رمضان ليلة الجمعة سنة ثمان
وتسعين وسبعمايه • فوصل الى سلطانيه • فى عيشة رضيه • وحالة هنيه •
ثم عزم على تبريز • فى جحفل نفيس عزيز • واجتمع بامير انشاه • فزاد فى اكرامه
وعطاياه • وشيعه فى احسن هية وايمن طور • فجا على وسطان وبدليس وارزن
الى الصور • ووصل خبره الى قبايله والعشاير فابتهج الناس ودق البشاير •
فوصل يوم الجمعه حادى عشرين شوال • وخرج اهل المدينه والاكابر للاستقبال •
وسبق الناس ولى عهده الملك الصالح • فدخل المدينه بفال سعيد وامر ناجح •
وتوجه الى مدرسته حسام الدين وزار والده واموات الماضين • وعزم
على ترك التخت المنيف • والتوجه الى الحجاز الشريف • فلم يتركه الناس

خاصة وعامة • ورموا عليه وقبلوا اقدامه • فصعد الى محل كرامته •
واستقر في كرسي مملكته • وسيأتي لهذا الشان مزيد بيان • وما جرى
من الامور عند قدوم تيمور • وحلول عسكر اللئام • ماردين بعد خرابهم ممالك
الشام ذكر رجوعه من ديار بكر والعراق وتوجهه الى مهامه قبجاق ٥
ثم انه رجع من عراقي العرب والعجم • وقد ثبتت له في ممالكهما اثبت قدم •
وذلك بعد ان قدم عليه الشيخ ابرهيم • وسلمه مقاليد ما بيده من اقاليم • قدوم الشيخ ابرهيم
وتقلد طوق عبوديته • ووقف في مواقف خدمته • وانتظم في سلك
عبيده • واحله محل ولده • وسنذكر كيف تقرب اليه • ومن اي
طريق تقرب اليه • فقصد دشت قبجاق • وجد في الوخد والاعناق •
وهو ملك فسيح • يحتوي على مهامه فيح • وسلطانها توقتاميش • وهو
الذي كان في حرب تيمور امام السلاطين المخالفين كالجاليش • اذ هو اول
من بالعداوة بارزه • وفي بلاد تركستان وافقه وناجزه • ونحن في ذلك كما
من السيد بركه • وبلاد الدشت تدعى دشت قبجاق ودشت بركه •
والدشت باللغة الفارسية • اسم للبرية • وبركة المضاف اليه هو اول
سلطان اسلم ونشر بها رايات الملة الاسلامية • وانما كانوا عباد اوثان •
واهل شرك لا يعرفون الاسلام والايمان • ومنهم بقية يعبدون الاصنام
الى هذا الاوان • فتوجه الى ذلك الاقليم • من طريق الدربند الجاري
تحت حكم الشيخ ابرهيم • وهو سلطان ممالك شروان • ونسبه متصل
بالملك كسرى انوشروان • وله قاض يدعى بايزيد • يفضل على جميع اركان
دولته بالقرب اليه ويزيد • هو دستور مملكته • وقطب فلك
سلطنته • فاستشاره في امر تيمور وما يفعله • ايطيعه ام يتحصن منه •
ام يقوم يقابله • فقال له الفرار في رأيي اصوب • والتحصن في الجبال
الشواهق اوثق عندي واعجب • فقال ليس هذا براي مصيب

الاقامات تشتمل على انواع الحلاوات وغيرها من الطعوم والشرب والملبس وما يتعين ...

اخوانا وارك رعيتي ليوم عصيب • وماذا اجيب يوم القيمة رب البرية •
اذا ارعيت امورهم واضعت الرعية • ولا عزمت ان اقاتله • وبالحرب
والضرب اقابله • ولكني اتوجه اليه سريعا • واتمثل بين يديه سامعا
لامره مطيعا • فان ردني الى مكانتي • وقررني في ولايتي • فهو قصدي
وغايتي • وان آذاني او عزلني • او حبسني او قتلني • فتكفي الرعية مؤنة
القتل والنهب والاسار • فيولي اذ ذاك عليهم وعلى البلاد من يختار • ثم
امر بالاقامات فجمعت • واذن للجيوش فتفرقت وتمتعت • وللمدن
والولايات ان تتزين وتتروق • ولسكانها برا وبحرا ان تامن فتتعامل وتتانق •
وبالخطب ان تقرا فوق المنابر باسمه • وبالدنانير والدراهم ان تضرب بوسمه
ورسمه • ثم حمل التقادم والخدم • وتوجه اليه باطيب جاش واثبت
قدم • ولما وفد عليه • وتمثل بين يديه • قدم الهدايا والتحف • وانواع
الغرائب والطرف • وعادة الجغتاي في تقديمهم الخدم ان يقدموا من كل
جنس تسعة • لينالوا بذلك المهدى اليه الكرامة والرفعة • فقدم الشيخ عندهم
ابرهيم من كل جنس من اجناس ما قدمه تسعة • ومن المماليك ثمانية •
فقال له المسلمون لذلك واين تاسع المماليك فقال التاسع نفسي العانية •
فاعجب تيمور هذا الكلام • ووقع من قلبه بمكان ومقام • وقال له بل انت
ولدي • وخليفتي في هذه البلاد ومعتمدي • وخلع عليه خلعة سنية •
ورده الى مملكته مستبشرا ببلوغ الامنية • ثم فرقت تلك الاقامات
وتوزعت الفواكه والطعامات • ففضل منها امثال الجبال • عن ذلك
العسكر الذي هو كالحصا والرمال • ثم تركه وسار • الى بلاد الشمال
والتتار وسبب آخر لقصده تلك الممالك • وان كان لا يحتاج الى ذلك • ان
الامير ايدكو كان عند توقتاميش احد رؤس امراء الميسرة • والاعيان المتحدثين
في النايبات لدفعها وارباب الراي والمشورة • وقبيلته تدعى قونكرات • منكغيت او

وقبايل الترك كقبايل العرب واللغات كاللغات ، وكان ايدكو قد احس
من مخدومه تغير خاطر خاف منه على نفسه ، وكان توقتاميش شديد
الباس فخشي منه حلول باسه ، فلم يزل منه متحرزا ، وللفرار اذا راى
منه ما يقتضي ذلك مستوفزا ، وجعل يراقبه ويراقيه ، ويداريه
ويداريه ، ففي بعض ليالي السرور ، ونجوم الكاسات في افلاك الطرب
تدور ، وسلطان الخمره ، قد انفذ في اسير العقل امره ، طفح ان قال توقتاميش
لايدكو ، ونور البصيرة يخبو ويذكو ، ان لي ولك يوما ، تسومك الحتف
سوما ، ويوليك عن موائد الحيوة صوما ، ويملاء عين بقائك من سنة الفناء
نوما ، فغالطه ايدكو وباسطه ، وقال اعذ مولانا الخاقان ان
يحقد على عبد تماخان ، وان يذوي غراس هوا نشاه ، او يهوي اساس
هو بناه ، ثم اظهر التذلل والخشوع ، والتمسكن والخنوع ، وتحقق ما كان
ظنه ، واعمل في وجه الخلاص ذهنه ، واستعمل في ذلك الذكاء
والفطنه ، وعلم انه ان اهمل امره او امهله اته ، فمكث قليلا واستغفل
السلطان ، ثم انسلت من بين الحواشي والاعوان ، وخرج في الحاجه ، كانه
يريد قضا حاجه ، واتى اصطبل توقتاميش ، بجاش جيش ، ولا بطيش
وعمد الى فرس مسرجه ، منجيه منتجه ، اقيمت معده ، لكل شده ،
وقال لبعض حاشيته ، المؤتمن سره من فاشيته ، من اراد توافيني
فعند تيمور يلاقيني ، ولا نقش هذه الاسرار ، الا بعد ان تحقق اني قطعت
القفار ، ثم ركبه وسار ، فلم يشعر به الا وقد سبق ، وركب طبقا
عن طبق ، وقطع على انوال السير طول الشقق ، فلم يدركوا منه
ما اثار ، ولا لحقوا منه ولا الغبار ، فوصل الى تيمور وقبل يديه ، وعرض
حكاياته واخباره كما جرت عليه ، وقال انت تطلب البلاد الشاحطه
والاماكن الوعره الساقطه ، وتركب في ذلك الاخطار ، وتقطع قفار

القفار

القفار ، وتسلو اسفار الاسفار وهذا المغنم البارد نصب عينك ، تدركه
هنيا مريا يهنيك ولينك ، ففيم التواني والتناعس ، وعلام التقاعد والتقاعس
فانهض بعزم صميم ، فانا الملك به زعيم ، فلا قلعه تمنعك ، ولا منعه
تقلعك ، ولا قاطع يدفعك ، ولا دافع يقطعك ، ولا مقاتل يقابلك
ولا مقابل يقاتلك ، فما هو الا اوشاب واوباش ، واموال تساق
وخزاين بارجلها مواش ، ولا زال يحرضه على ذلك ويطالب ، ويفتل منه
في الذروة والغارب ، كما فعل معه عثمان قرايلوك حين جا الى تبريز
بوسواسه ، وحرضه على دخوله الشام بعد قتله السلطان برهان
الدين احمد ومحاصره سيواسه ، كما ذكر فتهيا تيمور ونوى حركه ، الى
استخلاص دشت بركه ، وكانت بلادا بالتتار خاصه ، وبانواع المواشي
وقبايل الترك غاصه ، محفوظه الاطراف ، معموره الاكناف ، فسيحه
الارجا ، صحيحه الماء والهوا ، حشمها رحاله ، وجنودها بساله ، افصح
الاتراك لهجه ، وازكاهم مهجه ، واجملهم جبهه واكملهم بهجه ،
نساهم شموس ، ورجالهم بدور ، وملوكهم رؤس واعيانهم صدور
لا زور فيهم ولا تلبيس ، ولا مكر بينهم ولا تدليس ، دابهم الترحال
على العجل ، مع امان لا يدانيه وجل ، مدنها قليله ، ومراحلها طويله
وحد بلاد الدشت من القبله بحر القلزم الظلوم الغشوم ، وبحر
مصر المنقلب اليهم من بلاد الروم ، وهذان البحران كادا يلتقيان
لولا ان جبل الجركس بينهما برزخ لا يبغيان ، ومن الشرق تخوم ممالك
خوارزم واترار وسغناق الى عبر ذلك من البلاد والافاق ، اخذا
الى تركستان والجتا ، متوغلا الى حدود الصين من ممالك المغول والخطا ،
ومن الشمال ابير سيبير ، وبرار ، وقفار ، ورمال ، كالجبال ، وكم في
ذلك من تيه ، يحير الطير والوحوش فيه ، وهو غاية لا تدرك ، ونهايه

لا تسلك . ومن الغرب تخوم بلاد الروس وبلغار . وممالك النصارى الاشرار
ويتصل بتلك التخوم ما هو جار تحت حكم ابن عثمان من ممالك الروم . وكانت
القوافل تخرج من خوارزم وتسير بالعجل وهم آمنون من غير ريث ولا وجل .
والى قريم طولا ومسيرة ذلك التخوم من ثلاثة اشهر واما عرضا فهو بحر من
الرمل امتد منه سبعة ابحر . لا يهتدى فيه الخريت . ولا يقربه من
الدعاميص كل عفريت . فكانت القافلة لا تحمل زادا ولا علیقا .
ولا يصحبون معهم دليلا ولا رفيقا . وذلك لكثرة الامم . ووفور الامن
والمأكل والمشرب من الحشم . فلا يصدرون الا عن قبيله . ولا ينزلون
الا عند من يكرم نزيله . وكانهم قيل شعر
متكئ على عكاظ كليهما . يدعو وليدهم بها عرعار
واما في هذا اليوم فليس بتلك الاماكن . من خوارزم والى قريم
من تلك الامم والحشم متحرك ولا ساكن . وليس فيها من انيس الا
اليعافير والا العيس . وتخت الدشت سراى وهي مدينة اسلامية
البنيان . بديعة الاركان . ويأتي وصفها . وكان السلطان بركه رحمه
الله لما استلم بناها . واتخذها دار الملك واصطفاها . وحمل امم
الدشت على الدخول في حمى الاسلام ودعاها . فلذلك كانت محل
كل خير وبركه . واضيفت بعد اضافتها الى قفجاق الى بركه .
انشد لي لنفسه مولانا وسيدنا الخواجا عصام الدين ابن المرحوم
مولانا وسيدنا الخواجا عبد الملك وهو من اولاد الشيخ الجليل برهان
الدين المرغيناني رحمه الله في حاجي ترخان من بلاد الدشت مرجعه من
الحجاز الشريف سنة اربع عشرة وثمانمايه . وفي يومنا هذا اعني
سنة اربعين وثمانمايه . انتهت اليه الرياسه في سمرقند وكان
وقد قاسى في درب الدشت انواع النكال شعر

قد كنت اسمع ان الخير يوجد في . صحرا يعزى الى سلطانها بركه .
بركت ناقة ترحالي بجانبها . فما رايت بها في واحد بركه .
وانشد لي ايضا لنفسه معرضا بمولانا وسيدنا وشيخنا حافظ
الدين محمد بن ناصر الدين محمد الكردري البزازي الخوارزمي تغمده الله تعالى
برحمته في الزمان والمكان المذكورين .
متى تحفظ الناس في بلدة . مصالحها في يدي حافظ .
فحافظها صار سلطانها . وسلطانها ليس بالحافظ .
ولما تشرف بركه خان بخلعة الاسلام . ورفع في اطراف الدشت للدين
الحنيفي الاعلام . استدعى العلما من الاطراف . والمشايخ من الآفاق
والاكناف . ليوقفوا الناس على معالم دينهم . ويبصروهم طرايق
توحيدهم ويقينهم . وبذل في ذلك الرغائب . وافاض على الوافدين
منهم بحار الهبات . واقام حرمة العلم والعلما . وعظم شعاير الله
تعالى وشرايع الانبيا . فكان عنده في ذلك الزمان وعند اوزبك بعده
وجاني بيك خان . مولانا قطب الدين العلامه الرازي . والشيخ سعد
الدين التفتازاني . والسيد جلال الدين شارح الحاجبيه . وغيرهم
من فضلاء الحنفيه والشافعيه . ثم من بعدهم مولانا حافظ الدين
البزازي . ومولانا احمد الجندي . رحمهم الله تعالى . فصارت سراي
بواسطة هولاء السادات . مجمع العلم ومعدن السعادات . واجتمع
فيها من العلما والفضلا . والادبا . والظرفا والنبلا . ومن كل صاحب
فضيله . وحصلة نبيله جميله . في مدة قليلة . ما لم يجتمع في سواها .
ولا قراه . سلا مصر جامع ولا قراها . وبين بنيان سراى وخرابها من
الامكنه . ثلث وستون سنه . وكانت من اعظم المدن وضعا . واكثرها
للخلق جمعا حكى ان رجلا من اعيانها هرب له رقيق . وسكن في مكان منحى

عن الطريق، وفتح له حانوتا، يتسبب فيه ويحصل له قوتا، واستمر ذلك
المهين نحوا من عشر سنين، لم يصادفه فيها مولاه، ولا اجتمع به ولا
رآه، وذلك لعظمها، وكثرة اممها، وهي على شط نهر متشعب من نهر اتل
الذي اجمع السواحون والمورخون وقطاع المناهل، انه لم يكن في الانهر
الجاريه، والمياه العذبة النامية، اكبر منه وهو ياتي من بلاد الروس
وليس له فايدة سوى اغتيال النفوس، وينصب في بحر القلزم وكذلك
جيحون وساير انهار العجم ونهر سيحون مع ان بحر القلزم محصور وعليه
بعض ممالك العجم تدور، مثل كيلان ومازندران واستراباد
وشروان واسم نهر سراي ستكلا ولا يقطع ايضا الا بالمراكب
ولا يثبت عليه قدم لراجل ولا راكب، وكم فرق يتفرق من ذلك البحر
العريض الطويل، كل فرق اعظم من الفرات والنيل،

وصول ذلك الطوفان، وخفه امم الدشت بعد كرة توقتاميش خان

فوصل تيمور الى تلك الداره، بالعساكر الجراره، بل بالبحار الزخاره،
ذوي السهام الطياره، والسيوف البتاره، والرماح الخطاره، والاسود
الهصاره، والنمورا الكراره، من كل شان الغاره، مدرك في العدو ثاره،
(من الهصر وهو الكسر)
حام حقيقته وجاره، وعرينه ووجاره، وفريسته ونجاره، ولج
من بحر الحرب غماره، مقاوم امواجه وتياره، فارسل توقتاميش الى
زعماء حشمه، وعظماء اممه، وسكان احقافه، وقطان اطرافه، ورؤوس
اسرته، وصدور ميمنته وميسرته، فاستدعاهم، والى المقابله والمقاتله
دعاهم، فاتوا في ثوب طاعته يرفلون، وهم من كل حدب ينسلون،
واجتمعوا شعوبا وقبايل، ما بين فارس وراجل، وضارب ونابل، ومقبل وقابل،
وفاتك وقاتل، بمرهف وذابل، وهم قوم بتاك النباك، وعصال النصال
لا يطيشون سهما، وهم من بني ثعل ادمى، اذا عقدوا الاوتار اصابوا

الاوتار، وان قصدوا الاوطار، وجدوا المقصد جم اوطار، ثم نهض للمصادمه،
واستعد للمفاحمه والمقاومه، بعساكر كالرمال كثره، وكالجبال كره وفره،

ذكر ما وقع من الخلاف، في عساكر توقتاميش وقت المصاف،

وحين تواقف الصفان، وتثاقف الزحفان، برز من عسكر توقتاميش احد
رؤوس الميمنه، له دم على احد الامرا فطلبه منه وفي قتله استاذنه، فقال
له لينعم بالك، وليحف سوالك،

نظم اتفاقي

لكن نرى، ما قد طرا، على الورى، وما جرى، فامهلنا، حتى اذا انفصلنا،
وعلى المراد حصلنا، اعطيتك غريمك، وناولتك خصيمك، فادرك منه
ثارك، واقض اوطارك، قال لا ولكن الساعه، والا فلا سمع لك ولا
طاعه، فقال نحن في كرب مهم، هو من مرامك اهم، وخطب مدلهم،
هو من مصابك اعم، فاصبر ولا تعجل، واطمئن ولا توجل، فما ذهب
لاحد حق، ولا يضيع مستحق، فلا تلجي الاعمى الى الجرف، ولا تكن ممن
يعبد الله على حرف، فكانك بليل الشدة وقد ادبر، وبصباح الفلاح
وقد اسفر، فالزم مكانك، ونازل اقرانك، وتقدم ولا تتاخر، واصدع
بما تومر، فانخزل ذلك الامير بجمع كثير، واتبعه كل باغ وعاق، وقبيلته كلها
واسمها آق تاق، فانطلق يروم ممالك الروم، فوصل هو وحشمه
الى ضواحي ادرنه، واستوطنوا تلك الامكنه، فاختل لذلك عسكر توقتاميش
وصارت سهام مرامه عن مراميه تطيش، ولم يبد من اللقا، وصدق الملتقى
فثبت جاشه وجيشه، وهزم وفاره طيشه، وقدم من اطلابه الابطال
ورتب الخياله والرجال، وقوى القلب والجناح، وشد النبل والصفاح،

فصل واما جيش تيمور، فانه مستغن عن هذه الامور، لان امره معلوم
ووصفه مفهوم، وسطر النصر والتمكين على جبين راياته مرقوم، ثم تدانى
الجيشان واصطدما، واصطليا بنار الحرب واضطرما، والتقى الاقران

بالاقران وامتدت الاعناق للضراب وشرعت النحور للطعان واكفهرت
الوجوه واغبرت وكثرت ذباب الضراب واهرت وتهارشت نمور الشرور
واسبطرت وتعانشت اسود الجنود وازبارت واكتست بريش النبال
الجلود فاقشعرت واهوت جباه الجباه ورؤس الرؤس في محراب الحرب
للسجود فخرت وثار الغبار وقام القتام وخاض بحار الدما كل خاص وعام
وصارت نجوم السهام في ظلام القتام لشياطين الاساطين رجوما روا اشق
ولوامع السيوف في سحاب التراب على الملوك والسلاطين نجوما صواعق ولا
زالت سلاهب المنايا تجوب وتجول وضراغم السرايا تصول وتصول ونفع
السنابك الى الجو راقيا ونجيع السوافك على الدو جاريا حتى غدت الارضون
سنا والسموات كالبحار تمانيا ثم انجلى الغبار عن ان ابهر جيش توقتاميش وتطاول هذا الاصطدام حتى بلغ نحو ثلثة ايام صح
وولى الادبار وفرت عساكره وابذعرت وانتشرت جنود تيمور في ممالك
الدشت واستقرت واستولى على قبايلها واتى على ضبط اواخرها واوايلها
واحتوى على الناطق ثمارة وعلى الصامت نجارة وجمع الغنايم وفرق
المغانم واباح النهب والاسر واذاع القهر والقسر واطفا قبايلهم واكفا
مقاولهم وغير الاوضاع وحمل ما استطاع من الاموال والاسرى والمتاع
ووصلت طراشته الى آراق وهدم سراى وسرايجوق وحاجى ترخان وتلك
الافاق وعظمت منزلة ايدكو عنده ثم قفل قاصدا سمرقند وصحب
ايدكو معه ورام منه ان يتبعه

ذكر ايدكو وما صنعه وكيف خلب تيمور وخدعه

فارسل ايدكو قاصدا الى اقاربه وجيرانه وقبايل الميسرة كلهم من اصحابه
واخدانه من غير ان يكون لتيمور بذلك شعور ان يرحلوا عن مكانهم
ويشمروا عن اوطانهم وان ينجوا اجمة عينها واماكن بينها صعبة المسالك
كثيرة المهالك وان امكنهم ان لا يقيموا في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك

فانه ان ظفر بهم تيمور بدد شملهم واباد هم كلهم فامتثلوا امار سمر به
ايدكو وارتحلوا ولم يلووا ولما علم ايدكو من جماعته انهم فوزوا
وان حشمه لتيمور اعجزوا قال له يا مولانا الامير ان لي من الاقارب والحشم
الجم الغفير وانهم عضدي وجناحي وبصلاح معاشهم صلاحي ولا امن
عليهم ان يتقوا بعدي من توقتاميش الجور والتعدي بل لا اشك انه
يفنيهم ويبيدهم عن بكرة ابيهم وحيث يمتنع عليه تجاه جنابك جانبي
ينعم لسوطوتيته من حشمي واقاربي لان سدا هذه الملاحم انا الحمته
وفي مضايق البلا ومأزق الانكسار انا اقحمته وعلى كل حال فلا يطيب
قلبي ان يساكنوه وكيف يهنا لي العيش واصدقاي يجاورون عدوي
ويجاورونه فان اقتضت الآراء المنيرة ارسال قاصد الى تلك القبايل الكثيرة
صحبة مرسوم شريف وامر عال منيف باستمالة خواطرهم وتطييب
قلوب قبايلهم وعشايرهم والامر بترحالهم وترفيه حالهم فيكونون
جميعا تحت الظل الشريف في روض عيش وريق وريف ويتخلص من هذا
الدشت الخلق الدشت ونقضي ما مضى من الاعمار ونقضي الباقي في
جنات تجري من تحتها الانهار فالراي الشريف اعلى واتباع ما يبديه بالممالك
اولى فقال له تيمور انت عذيقها المرجب وجذيلها المحكك ومع
وجودك انت من يسلك هذا المسلك فقال كل الانام عبيدك وتابع
مرادك ومريدك ومن تراه لشي اهلا كان كل حزن عليه سهلا فقال
بل انت اولى بهذا الامر وكن ضمينه اذ لا يفتي ومالك في المدينه فقال
اضف الي واحدا من الامرا ليكون لي عليهم وزرا مع مراسيم شريفه بما
تقتضيه الآراء المنيفه فاجابه وقضى مراده واضاف اليه من اراده
فقضيا ما ربهما ونجزا ونحو مطلبهما تجهزا فلما فصل ايدكو عن تيمور
استدرك فارطه وعلم ان ايدكو خلب عقله وغالطه فانفذ اليه

قاصدًا أن يكون إليه عابدًا، لأمرٍ قد سنح، ورأيٍ قد جنح، فلما قدم القاصد
عليه، وبلّغ ما أرسل به إليه، قال له وللأمير الذي معه، وقد نهى كلًّا
منهما أن يتبعه، أوصيا ما ربكما، والحقا صاحبكما، وقولا لديه وأبلغاه،
أن أمد اجتماعنا هذا منتهاه، وإني بريء منه إني أخاف الله، ولم يمكنهما
مخاشنته، ولا وسعهما في تلك المضايقة الشديدة إلا ملاينته، فودّعاه
وانصرفا، وانحرفا وما وقفا، ولما بلغ تيمور ذلك تصرف وتصرم، وتبرّح
وتبرّم، وحرق عليه الأرّم، وندم ولات حين مندم، وكاد يقتل نفسه
حنقًا عليه، وتجرّع كاسات، ويوم يعض الظالم على يديه، ولم يمكنه
التقيّد به فلم يتحرك له بحركة، وتوجه إلى ممالكه ثم إلى سمرقند
وتركه، وكان هذا آخر أمره من دشت بركة قيل إنه لم يخدع تيمور
ويدهيه، ويخلبه قولًا وفعلًا ويطغيه، سوى ايدكو المارّ ذكره اقول وبعدي
وسوى قاضي القضاة ابن خلدون المالكي الآتي حكايته، وأمره ثم ما جرى في
البين من توقتاميش وايدكو من جدال وقتال، إلى أن تغيّر أمر كل منهما وحال،
ولما انفصل تيمور بما حصل، واستقر في مملكته بعد ما وصل، واتصل
ايدكو بحاشيته، وابتهج بصاغيته وغاشيته، أخذ في التفتيش عن
أمور توقتاميش، وتحفّظ منه وتحرّز، ولما رآه انتصب وتجهّز، إذ لم
يمكنه رتق ما فتقه، ولا رقع ما خرقه، وأيضًا ما أمكنه الاستقلال
بادعاء السلطنة، إذ لو أمكن ذلك لادّعاه تيمور الذي ملك الممالك،
فنصب من جهته سلطانًا، وشيّد في دار الملك خانًا، ودعا رؤس
الميسرة ووجوه قبايلها إليه، فلبّوا دعوته وأقبلوا عليه، إذ كانوا أقوى
من غيرهم، آمنين من ضرر الجغتاي وضيرهم، فقوي بذلك سلطانه،
وعمر بقفول الجنود خانه، وثبت في دار الملك أساسه وعلت أركانه،
وأما توقتاميش فبعد أن تراجع وهله، واستقر في دماغه عقله،

الأرّم الأضراس كأنه جمع آرم يقال فلان يحرق عليك الأرّم إذا تغيظ فحكّ أضراسه بعضها ببعض صحاح

ورحل عدوّه، وحصل هدوّه، جمع عساكره، واستنجد قوته وناصره، فلا زالت
ضروب الضراب بحروب الحراب بينه وبين ايدكو قايمة، وعيون السكون
بجفون الزمان المتعامي عن صلحهما نايمة، إلى أن بلغ مصافّهم خمس عشر
مرة، يدال هذا على ذاك تارة، وذاك على هذا كرّة، فأخذ أمر قبايل الدشت
في التناقص والشتات، وبواسطة قلة المعاقل والحصون وقعوا في الانبثاث
والانبتات، لا سيما وقد نبا وشهما أسدان، وأطل عليهما نكدان، وقد كان
جلّهم ذهب مع تيمور، وأمسى وهو في أسره محصور، وفي حصره مأسور، فانفلتت
منهم طايفة لا تحصى ولا تحصر، ولا يمكن ضبطها بديوان ولا دفتر، ولجأت
إلى الروم والروس، وذلك لحظهم المشؤوم وجدّهم المعكوس، فصاروا بين
مشركين نصارى، ومسلمين أسارى، كما فعله جبلة بني غسان، واسم
هذه الطايفة قرانوغدان، فبواسطة هذه الأسباب آل عامر الدشت
إلى الخلاء والخراب، والتفرق والتباب، والانفلات والانقلاب، وصارت
بحيث لو سلكها أحد، من غير دليل ورصد، فإنه يهلك على الحقيقة، لاضاعته
في المجاز طريقه، أما صيفًا فلأن الرياح للرمال تسفي، فيخفى الطريق على
المارّة ويعفي، وأما شتاءً فلأن الثلج النازل فيها، يتراكم عليها فيغطيها،
إذ كل أرضها مجاهل، ومنازلها مذاهل، ومراحلها مهامه ومناهل،
فعلى كل تقدير سلوكها مهلك عسير وكانت الوقعة الخامسة عشر
على ايدكو فتشتّت وتشرّد، وتبدّد وتبدّد، وغرق هو ونحو من خمسمائة
رجل من أصحابه في بحر الرمل فلم يشعر به أحد، واستبدّ توقتاميش
بالمملكة، وصفا له دشت بركة، وكان مع هذا متشوّقًا لأخبار
ايدكو وأحواله، متشوّقًا لمعرفة كيفية هلاكه في رماله، ومرّ على ذلك نحو
من نصف سنة، وانقطع أثره عن الأعين وخبره عن الألسنة، وايدكو
كان قد غمّص تلك الأعقاص والأحقاف، وممن قطع بشبر أقدامه أديم

تلك النعال والأخفاف • فصار يتربص ويتبصر • ويتفكر معنى ما قلته ويتدبره •
وهو •
ارقب القصد وانتظر فرصا • وانتهز وقتها اذا ما جادت •
وامزج الصبر بالحجى فبه • ورق التوت صار ديباجا •
فلما تيقن ان توقتاميش ايسه • وتحقق ان ليث المنايا افترسه • شرع
يتجسس اخباره ويتتبع • ويستشرف آثاره ويتطلع • الى ان تحقق من الخبر •
انه في منتزه منفرد عن العسكر • فامتطى جناح الخيل • وارتدى جنوح الليل •
ووصل السير بالسرى • واستبدل السهر بالكرى • قارعا الى الهضاب •
فروع الحباب • مفرعا من الربى • افراع الندا • حتى وصل اليه وهو لا يعلم •
وانقض عليه كالقضاء المبرم • فلم يفق الا والبلايا احتوشته • واسود
المنايا انتوشته • وثعابين الرماح وافاعي السهام نهشته • فحاولهم قليلا •
وحاولهم طويلا • ثم انجدل قتيلا • وكانت هذه المرة • من الوقعات السادسة
عشرة • خاتمة التلاق • وحاكمة الفراق • فاستقر امر الدشت على
متولي ايدكو • وصار القاصي والداني والكبير والصغير الى مراسيمه يصغو •
وتفرقت اولاد توقتاميش في الآفاق • جلال الدين وكريم بيردي في
الروس وكوباك وباقي اخوته في سغناق • واستمر امر الناس على مراسيم ايدكو
يولي السلطنة من شاء • ويعزله منها اذا شاء • ويامر فلا يخالفه احد •
ويحد فلا يجاوز ذلك الحد • فممن ولاه قوتليغ تيمور خان • واخوه شادي
بك خان • ثم فولاد خان بن قوتليغ تيمور • ثم اخوه تيمور خان • وفي
ايامه تخبطت الامور • فلم يسلم لايدكو زمامه • وقال لا كيد له
ولا كرامه • انا الكبش المطاع فاني اكون مطيعا • والثور المتبوع
فكيف اصير تبيعا • فالتحم بينهما الشقاق • وتحكم من ذوي الضغينة
مخبو النفاق • وجرت شرور ومحن • وحروب واحن • وبينا ظلمات
الفتن احلنكت • ونجوم الشرور في دياجير الدشت بين الفريقين اشتبكت •

واذا ببدر الدولة الجلالية • من مشارق السلالة التوقتاميشية • بزغ
متهللا • وفرع من بلاد الروس مقبلا • وكانت هذه القضية • في شهور
سنة اربع عشرة وثمان مئة • فتعاظمت الامور • وتفاقمت الشرور •
وضعف حال ايدكو وقتل تيمور • واستمر النفاق والشقاق بين ملوك
تمالك فيطلق الى ان مات ايدكو غريقا جريحا • واخرجوه من نهر سيحون
بين الجوق والقوه طريحا • رحمه الله تعالى وله حكايات عجيبة • واخبار
ونوادر غريبة • وسهام دواه في اعدائه مصيبة • وافكار مكايد • ووقعات
مصايد • وله في اصول فقه السياسة نقود • وردود • البحث فيها يخرج عن
محصول المقصود • وكان اسمر شديد السمرة ربعة • مستمسك البدن
شجاعا مهابا ذا رفعة • جوادا حسن الابتسامة • ذا رأي مصيب وشهامة •
محبا للعلماء والفضلاء • مقربا للصلحاء والفقراء • يداعبهم بالطف عبارة •
واظرف اشارة • وكان صواما • وبالليل قواما • متعلقا باذيال الشريعة • بالنهار
وقد جعل الكتاب والسنة واقوال العلماء بينه وبين الله تعالى ذريعة •
له نحو من عشرين ولدا كل منهم ملك مطاع • وله ولايات على حدة وجنود
واتباع • وكان في جماعات الدشت اماما • نحوا من عشرين عاما • وايامه
في جبين الدهر غرة • وليالي دولته على وجه العصر طرة •

رجعنا الى ما كنا فيه • من امور تيمور ودواهيه •

ولما وصل تيمور الى اذربيجان • وابث عسكره في ممالك سلطانيه وهمذان
واستدعى الملك الظاهر سلطان ماردين واطلقه • وانعم عليه كما ذكر
واستوثقه • وولاه ما بين الشام والعراق • واحكم تلك الممالك بما وسعه
من المكر والنفاق • ولم يمكنه الاقامة بملك العجم • لما معه من الدشت
مزايم • ووجه عنان قصده • الى ممالك سمرقنده • فنفض فيها اوطابه • جمع وطب وهو سقاء اللبن
وفرغ عن ما كان ملأ به من الدشت جرابه • ثم خرج من غير توان • وقطع

جيحون بالطوفان، ووصل الى خراسان، وواصل السير الى اذربيجان، فتوجه
اليه طهرتن حاكم ارزنجان، متلقيا طوق مراسمه بجيد الاطاعة والاذعان،
واهمل امر ماردين وتناساها، ولم يتعرض لما يتعلق بها من مدنها وقراها،

ابتدا ثوران ذلك القتام، فيما يتعلق بممالك الشام ٥

ثم انه قصد الرها، ورام نهبها، فخرج اليه شخص من اعيانها، ورؤسا قطانها،
يقال له الحاج عثمان بن الكبك فصالحه واشتراها بحمل من الاموال وحملها
اليه واداها، فعند ذلك ارسل الى القاضي برهان الدين ابي العباس،
احمد الحاكم بقيصرية وتوقات وسيواس، من الرسل عدة، ومن الكتب
شدة، يبرق فيها ويرعد، ويرغي في بحرها ويزبد، ويقيم بمحاويها ويقعد،
ومن جملة فحواه، ومضمون ذلك وما حواه، ان يخطبوا باسم محمود خان
او سيورغتمش خان وباسمه، ويضربوا السكة على طرز ذلك ورسمه،
كما هو دابه، ويتحمله رسوله وكتابه، فلم يؤمن له السلطان برسول ولا
بكتاب، ولا تقيد له بجواب عن خطاب، بل قطع رؤس الرؤس من قصاده،
وعلقها في اعناق الباقين واشهرهم في بلاده، ثم جعلهم شطرين وقسمهم
بنصفين، وارسلهم الى حضرتين للسلطان الملك الظاهر ابي سعيد برقوق
منهم جزء مقسوم، والجزء الاخر الى السلطان ابي يزيد بن مراد بن اورخان بن
عثمان حاكم ممالك الروم، واخبرهما بالقضية، عن جليته، وما ورد عليه
من خطاب ذلك الممقوت، وانه جعل في ذلك جوابه السكوت، وقتل
قاصديه نكايته، ولم يزده على هذه الحكاية، وانما فعل ذلك برسله
وقصاده، استهوانا به واستعظاما لما فعله بعباد الله تعالى وبلاده،
ثم قال القاضي اعلموا اني جاركما، وديار دياركما، وانا ذرة من
غباركما، وقطرة من بحاركما، وما فعلت معه هذا مع ضعف حالي،
وقلة مالي ورجالي، وضيق دايرتي وبلادي، ورقة حاشية طريفي وتلادي،

الا اعتمادا على مظاهرتكما، واتكالا على مناصرتكما، واقامة لاعلام حرمة
دولتكما، ونشرا لرايات هيبة صولتكما، فاني جنة ثغركما، ووقاية نحركما،
وجاويش جنودكما، وجاليش بنودكما، وربية طلايعكما، وطليعة وقايعكما،
والا فمن اين لي مقاومته، واني يتيسر لي مصادمته، وقد سمعتم احواله وعرفتم
مشاهده وافعاله، فكم من جيش كسر، وقيل اسر، وملك ملك، ومليك اهلك،
وستر هتك، ونفس سفك، وحصن فتح، وفتح منح، ومال نهب، وعز سلب،
وصعب اذل، وخطب احل، وعقل ازل، وفهم اضل، وجبل هزم، واس هدم،
وسول قطع، وقصد منع، وطود قلع، وطفل فجع، وراس شدخ، وظهر فضخ،
وعقد فسخ، ونار اشب، وريح اهب، وماء اغار، ورهج اثار، وقلب شوى،
وكبد كوى، وجيد قصم، وطرف اعمى وسمع اصم، فاني لي ملاطمة سيل
العرم، ومصادمة الفيل المغتلم، فان نجدتماني وجدتماني، وان خذلتماني
خذلتماني، ويكفيكما هيبة وشهرة، وناهيكما ابهة ونصرة، ان رخذا امكما
قد امكما، من كفاكما، ما دهاكما، وان اصابني والعياذ بالله منه ضرر،
او تطاير الى مملكتي من جمرات شره شرر، ربما تعدى ذلك الفعل بواسطة
الحوادث، الى مفعول به ثان وثالث، قلت ٥

والشر كالنار يبدو حين تقدحه   شرارة فاذا بادرته خمدا
وان توانيت عن اطفايه كسلا   اورى قبايل تشوى القلب والكبدا
فلو تجمع اهل الارض كلهم   لما افادوك في اطفايه ابدا

واما اهملت خطابه، واهملت جوابه، لئن رميتما فاقتفي، وتامرا فاكتفي،
وتؤسسا فاني عليه، وتجاريا فيصل ذلك كذلك مني اليه ٥

ذكر ما اجاب به السلطان ابو يزيد بن عثمان القاضي برهان الدين ابا العباس سلطان ممالك سيواس

فاما السلطان ابو يزيد بن عثمان، فان هذا الفعل
اعجبه، ونغم هذا القول اطربه، واستحسن هذا الحكم من القاضي واستصوبه

وارسل اليه يقول ان ارتدع تيمور عنه وانتهى والا فليأتينه بجنود لا
قبل له بها فليقابله بعين قريره وليثبت له بحسن البصيره ولا يجزع من
جنوده الغزيره فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيره وان اقتضت
آراؤه السديده واحكامه السعيده توجه بنفسه اليه وقدم
بالغزاة والمجاهدين عليه ليرفع اعلامه وينفذ احكامه ويكون للسنيه
يدا وللساعد عضدا ثم ارسل كتابه وانتظر جوابه واما
الملك الظاهر فما رأيت له كتابا ولا حققت منه له جوابا والظاهر
ان جواب الملك الظاهر ابي سعيد كان شقيق جواب السلطان الغازي ابي
يزيد اذ افعالهما واقوالهما في الباطن والظاهر كانت من باب توارد
الخاطر ثم اني رأيت كتابا يتضمن خطابا وجوابا وذكر ان الخطاب من ذلك
الغادر والجواب من الملك الظاهر وكلاهما سوى آي الكتاب غير زاه
ولا زاهر اما صورة الخطاب قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اعلموا انا
جند الله مخلوقون من سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه لا نرق
لشاك ولا نرحم عبرة باك قد نزع الله الرحمة من قلوبنا فالويل كل
الويل لمن لم يمتثل امورنا فانا قد خربنا البلاد واهلكنا العباد واظهرنا
في الارض الفساد قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال خيولنا سوابق
ورماحنا خوارق ملكنا لا يرام وجارنا لا يضام فان انتم قبلتم شرطنا
واصلحتم امرنا كان لكم ما لنا وعليكم ما علينا وان انتم خالفتم وابيتم
وعلى بغيكم تماديتم فلا تلومن الا انفسكم فالحصون منا لا تمنع والعساكر
لدينا لا ترد ولا تدفع ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع لانكم اكلتم
الحرام وضيعتم الجمع فابشروا بالذلة والجزع فاليوم تجزون عذاب الهون
فقد زعمتم انا كفره فقد ثبت عندنا انكم فجره قد سلطنا عليكم الله

له الامور مقدره والاحكام مدبره كثيركم عندنا قليل وعزيزكم عندنا
ذليل وقد ملكنا الارض شرقا وغربا واخذنا منها كل سفينة غصبا
وارسلنا اليكم هذا الكتاب فاسرعوا في رد الجواب قبل ان ينكشف الغطا
ولم يبق لكم باقيه فينادي عليكم منادي الفنا هل تحس منهم من احد او تسمع
لهم ركزا وقد انصفناكم اذ راسلناكم ونثرنا جواهر هذا الكلام عليكم
والسلام وهذه صورة الجواب وقيل هو انشا الفاضل بدر الدين
ابن علا الدين بن فضل الله وما اظن لذلك صحة وهو
بسم الله الرحمن الرحيم قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من
تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على
كل شيء قدير حصل الوقوف على كتاب مجهز من الحضرة الايلخانيه
والسده العظيمه الكبيره السلطانيه قولكم انا مخلوقون من
سخطه مسلطون على من يحل عليه غضبه لا نرق لشاك ولا نرحم
عبرة باك قد نزع الله الرحمة من قلوبكم فهذا من اكبر عيوبكم
وهذا من اقبح ما وصفتم به انفسكم ويكفيكم بهذه الشهادة واعظا اذا
اتعظتم قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ففي كل كتاب ذكرتم
وبكل قبيح وصفتم وزعمتم انكم كافرون الا لعنة الله على الكافرين
من تمسك بالاصول لا يبالي بالفروع نحن المؤمنون حقا لا يصدنا عيب
ولا يداخلنا ريب القرآن علينا نزل وهو رحيم بنا لم يزل وقد عمنا بركة
تاويله وقد خصنا بفضل تحريمه وتحليله انما النار لكم خلقت
ولجلودكم اضرمت اذا السما انفطرت ومن عجب العجاب تهديد
الليوث باللتوت والسباع بالضباع والكماه بالكراع نحن خيولنا بحريه
وهممنا عليه والقناه شديدة المضارب ذكرها في المشارق والمغارب
ان قتلناكم نعم البضاعه وان قتلتمونا بيننا وبين الجنه ساعه ولا يحسبن

الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون، وقولكم قلوبنا
كالجبال، وعددنا كالرمال، فالجزار لا يبالي بكثرة الغنم، وكثير من
الحطب يكفيه قليل من الضرم، كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة
باذن الله والله مع الصابرين، الفرار الفرار لا من الرزايا بخر من المنيه،
في غاية الامنيه، ان عشنا عشنا سعدا، وان متنا متنا شهدا، الا ان حزب
الله هم الغالبون، ابعد امير المومنين وخليفه رب العالمين،
تطلبون منا طاعه، لا نسمع لكم ولا طاعه، وطلبتم ان يوضح لكم امرنا،
فهذا الكلام في نظمه تركيك، وفي سلكه تفكيك، لو كشف
لبان فعل التبيان، اكفر بعد ايمان، ام اتخذتم ربا ثان، لقد جيتم شيا ادا،
تكاد السموات ينفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا، قل لكاتبك
الذي رصع رسالته، ووصف مقالته، حصل الوقوف على كتاب
كصرير باب، او طنين ذباب، وسنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا،
وما لكم عندنا الا السيف بقوة الله تعالى ثم اني وجدت في نسخة بخامر
الدهور بتقادمه مدادها، وتبيض كر العصور على وجه الزمان من
شبيها سوادها، صورة هذا الكتاب، وهية هذا الخطاب، من انشاء
نصير الدين الطوسي على لسان هلاكو التتري، مرسلا ذلك الى سلطان
مصر، وصورة الجواب بعينه انشا من كان في ذلك العصر فصل
ولما بلغ تيمور ما فعله السلطان برهان الدين بقصاده حنق، ورنق
بجناحي الغضب وفار دم قلبه ورنق، وعض غضبا فكاد من الغيظان
يختنق، ولكن علم ان في الزوايا خبايا، وللاسلام جنودا وسرايا، وفي
عرين الدين من ليوث المسلمين بقايا، وان امامه اسودا هواصر وجوارح
كواسر، فتصبر للزمان ورجع القهقرى وتربص بهم الدوائر، ٥
ذكر توجه العساكر الشامية لدفع تلك الداهية الدهية،

ومن

مع ان ملك الامرا بالشام وهو تنم، خرج بالعساكر الى ارزنجان ورجع وهو
مغتنم، ولم يروا في ذلك ضيرا، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيرا، وعاد من جيش الاسلام كل اسد هصور، وقد اصطاد من دونكي
ما ضاهي صورته وحاجاه نورا على نور ذكر رجوع ذلك الكنود، وقصده
استخلاص بلاد الهنود ثم ان تيمور بلغه ان سلطان الهند فيروز شاه، انتقل
من زحمة الدنيا الى رحمة الله، ولم يكن له ولد يكون له خليفه، فتصدى
تيمور لان يتولى بحكم الوفاه والشغور تلك الوظيفه، ولما فات صاحب
الهند صارت الناس فوضى، ومرج بحر امر الهند وماج فجعل كل يخوض
خوضا، فعز بعض الناس وبعضهم ذلوا، ثم اتفقوا على تولية وزير اسمه
ملو، فراب من امر الناس ما انصدع، ورفع من استحق الرفع وخفض
من بغير استحقاق ارتفع، فعصى عليه اخوه سارنك خان متولي مدينة
مولتان، ووقع بينهم التخالف، وافترق ملا الهنود فرقا وطوايف،
وكان اختلافهم لتيمور احقر مساعد، واقوى عضد وساعد، قلت شعر
تشتت جمع خواطر الاحباب ، وتشتت الاعدا في اراهم ،
وحين وصل تيمور الى مولتان عصى عليه سارنك خان، فاقام يحاصرها،
ويقعد يصاجرها، وكانت عساكرها جمه، ولياليها كلياليها مدلهمه، السود ٣
حتى قيل ان مرحلة عسكرها الثقيل، كان ثمانمائة فيل، مع ان كل امير
من اطراف الهند، ورييس في اكناف السند، كان قد كفكف اذياله،
ولملم رجاله ورجاله، وضبط الخوايجه اثقاله، وربط الخوايجه اقباله،
واستمر ذلك اللدد والخصام، نحوا من ثلثي عام، الى ان استخلصها، ومن
يد خلصها فصل ولما استولى ملو واستقر امر الهند عليه، وبلغه
توجه تيمور اليه، جد واجتهد، واعد العدد والعدد، واستمد
الامداد والمدد، واهلك مالا لبدا وحسب ان لن يقدر عليه احد،

وفرق الاموال ۔ وجمع الخيل والرجال ۔ واحضر ما في مملكته من الافيال
ثم حصن مدائنه ۔ ومكن كمائنه ۔ وشيد على الافيال للمقاتلة ابراجا ۔
واحكم في تحرير المناضلة طريقه فقد فهاذ هب ومنهاجا ۔ وجد
تيمور في السير ۔ حتى كاد يسبق عتاق الطير ۔ اذ لم يكن له في ذلك الارث
من يحجبه ۔ ولا في عساكر سلطان الهند من يقربه ۔ فلما بلغ الهنود بالجنود
برزت اليه بالجنود الهنود ۔ وقدموا الفيول ۔ لتنفير الخيول ۔ وقد بنوا
على كل فيل من الاتراس برجا ۔ وعبوا في كل برج من المقاتلين من يخشى
في المضايق ويرجى ۔ بعد ما جعلوها من البركستوانات في حصار ۔ وعلقوا
عليها من القلاقل والاجراس الهائلة ما يدعو العفاريت الى الفرار ۔ وشدوا
في خراطيمها سيوفا تصلح ان يقال انها سيوف الهند ۔ تدعو الرؤس
شعلة لهبها فتح لها شاحذة فيحق ان يقال لها نار السند ۔ وهذا
خارج عما لتلك الفيلة من الانياب ۔ التي هي في الحروب كالحراب
اذ هي في اذا ما وجب عليها نصاب كامل ۔ وسهامها التي هي مصيبة
في نحو من يقابلها تقصم كل نابل وذابل ۔ وكانت تلك الافيال ۔ في
صف القتال ۔ كانها غيل باسودها ما شبه ۔ او صياصي بجنودها جاريه
او اطواد بسورها غاديه ۔ او بحار بافواج امواجها رائحة جائيه ۔
او ظلل من الغمام بصواعقها هاميه ۔ او ليالي الفراق بنوايبها السود ساريه
وخلفها من الهنود فوارس الحرب ۔ وابطال الطعن والضرب ۔ سود الاسود
وطلس الذياب ونمر الفهود ۔ بالذابل الخطي والصارم الهندي ۔ والنبل
الخلنجي ۔ مع قلب ذكي وجنان جري ۔ وعزم قوي وضرب رضي ۔

ذكر ما فعله ذلك المحتال ۔ من الخديعة في اجفال الافيال ۔

وحين اطلع تيمور على هذه الحال ۔ وتحقق ان شقة عساكر الهند نسجت على
هذا المنوال ۔ اعمل المكيدة ۔ في قلع هذه المصيدة ۔ ومرق لهم مرقة قدر

طبخها

طبخها احذر من العصيدة ۔ فبدا اولا في الاحتيال ۔ بدفع مكيدة الافيال ۔
فاستعمل الفكر الحديد ۔ في اصطناع شوكات من حديد ۔ مثلثة الاطراف
مستدعة الاوصاف ۔ كانها في شكلها الخبيث ۔ طرق القائلين بالتثليث
او وضع اصحاب الاوفاق اعدادهم المنسوبة الى الوفاق ۔ فصنعوا له من
ذلك الالوف ۔ ثم عمد الى مجال الفيول في الصفوف ۔ فنثر ذلك لها ليلا ۔
وجلب بذلك لها ولاهلها حربا ووبلا ۔ ورقم لذلك حدا ۔ ورسم ان فعل ذلك
الحد لا يتعدى ۔ ثم ركب اطلابه وابطاله ۔ ورتب اسوده واشباله ۔ وهذب
شذب في خيله ورجاله ۔ وارصد شمالا ويمينا ۔ من عسكره للعدو كمينا ۔ وحزبت
سلطان السيارة في جوانب الافاق خيله ۔ وضم جيش الظلام رجاله
الجمه وشمر للهزيمة ذيله ۔ مشى عسكره الى ذلك الحد رويدا حتى وصل
اليه ۔ ولما تراءى الجمعان نكص على عقبيه ۔ ثم نكب بالخيول ۔ عن طريق
الفيول ۔ فتصوروا ان خيوله جفلت ۔ وشمس نصرته انكسفت وكواكب
جيشه افلت ۔ فاقلعوا اقلاع الفيول ۔ فانهمرت انهمار السيول ۔ وساقوها
خلف عساكره سوقا ۔ على ذلك الشوك الملقى ۔ واتبع الفياله ۔ من الهنود
الرجاله والخياله ۔ فلما وصلت سيول الفيول من مطارح الشوك الى
المقاسم ۔ واخذ ذلك الشوك في تقبيل ايديها وارجلها وتشبثت بتلك المناسم
لعدم ص واحست قوائمها بشوكها ۔ رجعت القهقرى بل ولت الادبار عقلها ووجود
نوكها ۔ فنهنهوها ونهوها عن التولي فلم يفدها النهي والنهنهة ۔ وصارت في
التقدم الى جهة العدو كفيل ابرهة ۔ ثم لم يسعها لما احرجها الشوك في
تلك الحراز ۔ الا التولي من الزحف والفرار ۔ فحطمت الفيول الرجال والخيول
وصارت القتلى كالجبال والدماء في اوديتها سيول ۔ وخرج عليهم الكمين
من ذات الشمال وذات اليمين ۔ فابادوا اشايرهم ۔ والحقوا باولهم اخرهم ۔
وقيل ان بلاد الهند ليس فيها اباعر ۔ وان منظرها يجفل الفيل فيصير ابعد

نافو، فلم يتموز ان يهيئا خمسماية بعير جفول، وتعبا رواحلها والحمول،
قصبا محشوا بفتايل وقطن بالدهن مبلول، وان تساق امام الركبان
الى ان يترآى الجمعان، فلما تصافوا ولم يبق الا القتال، امر ان تطلق
النيران في تلك الحشايا والاحمال، وتساق الى مواجهة الافيال، فلما
احست البعران بحرارة النيران، رغت ورقصت، ونحو الفيول شخصت

وصارت كما قيل شعر

كانك من جمال بني اقيش، يقعقع بين رجليه بشن،

فلما رأت الفيلة النيران، وسمعت رغاء البعران، ونظرت الى الابل
كيف خلقت، وشاهدتها وقد غنت ورقصت وباجفانها صفقت،
الوت على عقبها ناكصه، لسايقها واهصه، ولراكبها واقصه، فحطمت
الخياله، وهشمت الرجاله، وتلا الكافرون آية النصر على اصحاب الفيل
وارسلوا عليهم من السهام طيرا ابابيل، فلم ينتفعوا بالافيال، بل افنت
الافيال غالب الخيل والرجال، ثم تراجعت عساكر الهنود، وابطال
الخياله من الجنود، وكتبوا الكتايب وبدوا البنود، ثم تراموا وتصافوا
وتصادموا وتحاقوا، وهم ما بين محوشي ومتلثم، ومبارز متنسب ومناد
بالشعار معلم، وكل في سواد اللون والحديد كقطع من الليل المظلم،
ثم بدا نوامع الشار وتزاحفوا، وبعد المراشقة بالسهام بالرماح تثاقفوا،
ثم بالسيوف تضاربوا، ثم تلاببوا وتواثبوا، ثم تراموا عن ظهور الخيل،
واعتكر في ذلك القتام النهار بالليل، ولا زالت تختلف بينهم الضربات،
وتصول فيهم الحملات، وتحمل منهم الصولات، حتى تلا لسان القضاء والقدر
ان في اختلاف الليل والنهار لآيات، ثم تناهى الاقتحام، وانفرج الازدحام
واسفرت القضية عن انهزام جيش حام، وحل بالهنود الويل، ومحا الله
آية الليل، ولما تفرقت الهنود وفلوا، وانتهى عقد عملهم في المحاربة فحلوا،

وقتلت

وقتلت سراتهم وهرب سلطانهم ملّوا، وثبت تيمور وحكمه في هند، والى الآن
كما ثبتت اوتاده في سمرقند، فجمع اثقالها، وربط افيالها، وضبط احوالها،
وما غفل عن ضبطه ما عليها وما لها، وتسلم افيالها فيالها، ثم توجه نحو
تختها وهي مدينة دهله، مصر عظيم جمع فنون الفضل واهله، معقل التجار،
ومعدن الجواهر والبهار، فتمنعت عليه بالحصار، فاحاط بذلك السواد الاعظم
من عساكره السواد الاعظم، ومن معه من الخلايق والامم، فقيل ان هذه
العساكر والخلايق مع عظمها وكثرتها، لم يقدروا ان يكتنفوها لسعة دايرتها،
وانه اخذها من احد جوانبها بالمحاصره، ومن الجانب الاخر ثلثة ايام في المحاربه
والمكاشره، لم يدر من في الجانب المحاصر لبعد المدى وكثرة الامم ما فعل الجانب
الآخر، **وصول الخبر الى ذلك العقوق، بوفاة الملكين ابي العباس احمد والملك
الظاهر برقوق،** وبينا هو قد استولى على كرسي الهند وامصاره، واحتوى
على ممالكه واقطاره، وبلغت مراسيمه اعماق انجاده وذرى انجاده،
واعماق اغواره، وانبث جيشه في ولاياتها وعرا، وظهر فسادهم في رعاياها برا
وبحرا، وفد عليه المبشر من جانب الشام، ان القاضي برهان الدين احمد
السيواسي والملك الظاهر ابا سعيد برقوق انتقلا الى دار السلام، فسر بذلك
صدره وانشرح، وكاد ان يطير الى جهة الشام من الفرح، فتجرد لسرعة امور
الهند، ونقل الى مملكته من فيها من العساكر والجند، بما اخذه من
الاثقال، ونفايس الاموال، ووزع ذلك الجمهور، وساير الجند المأسور، على
اطراف ما وراء النهر من الحدود والثغور، واقام في الهند نايبا من غير وجل،
ثم صدر عن سمرقند قاصدا الى الشام على عجل، ومعه من الهند رؤوس اجنادها
ووجوه اعيانها، وسلطان افيالها وافيال سلطانها، فتوجه قرير
العين بتلك الطوايف الطافية، في اوايل سنة اثنين وثمانماية، وانصب
بذلك الطوفان من جيحون الى خراسان، وكان قد قرر ولده لصلبه

امیرانشاه بمملکة تبریز وتلك الدیار، والسلطان احمد قد رجع الى بغداد
وهو مستوفز للفرار، وسبب حركته الى بلاد الشام، وان كان في اهلاك
الحرث والنسل مالك الالتزام، ما فعله القاضي برهان الدين حاكم سيواس
بقصاده الاغنام، لكنه اراد ان يتمم مقصده، ويغطي عن الناس مصدره
ومورده، قلت بديها شعر

وانى يختفي للشمس ضوء، عن الابصار في صحو النهار

وكيف يسترد فم المخنى، خياشيم الورى في يوم حار

وانى يختفي للطبل صوت، عن الاسماع في وقت النقار

فان قصده كان بعيد المدد، طويل الامد، محتاجا الى اعداد اهبة السلوك
وتحسنا ان يضاهي غزاة تبوك، واظهر سببا اظرفيه، ما رامه من مكره
ودواهيه، واشاع ذلك واذاع، فامتلأت منه القلوب والاسماع،

معنى كتاب وفد وهو في الهند عليه، زعموا ان ولده اميرانشاه ارسل اليه

معنى كتاب وفد اليه

وذلك ان ابنه اميرانشاه المذكور راسله، وانهى اليه يقول على ما قيل في بعض
ما قاوله وحاوله، انك قد عجزت لكبر سنك، وشمول الضعف بدنك
ووهنك، عن اقامة شعار الرياسة، والقيام باعباء الايالة والسياسة،
والاولى بحالك ان كنت من المتقين، ان تقعد في زاوية مسجد وتعبد ربك
حتى ياتيك اليقين، وقدم في اولادك واحفادك، من يكفيك امر عينك
واجنادك، ويقوم بحفظ مملكتك وبلادك، واني لك بلاد وممالك، وانت
عن قريب هالك، قلت، قميص من القطن من حله، وشربة ماء قراح وقوت

ينال به المرء ما يرتجى، وهذا كثير على من يموت

فان كانت لك عين باصره، وبصيرة في نقد الاشياء ماهره، فاترك الدنيا
واشتغل بعمل الآخرة، ولو ملكت ملك شداد، ورجع اليك اقتدار
العمالقة وعاد، وساعدك النصر والعون حتى تبلغ مقام هامان وفرعون

ورفع

ورفع اليك خراج الربع المسكون، حتى تفوق في جمع المال قارون، وصرت
في خراب البلاد كبختنصر، الذي طوّل الله تعالى له فقصر، وبالجملة فلو بلغ
سلطانك الاقطار، وقضيت من دنياك غاية الاوطار، وصار عمرك فيها اطول
الاعمار، وخدامك فيها ملوكها الاغمار، فقصر جندك قيصر، وكسر كسرى
فانكسر، وتبعك تبع والنجاشي، والملوك والاقيال من غير تحاشي، وفغر
لك فغفور بالثناء فاه، واختبت على الخان وخاقان فوجه كل في رفعة
دستك شاه، واذعن لك فرعون مصر وسلطانها، وجبى على يدك جيبو ايران
الدنيا وتورانها، وآل امرك الى ان دان لك سكان الاقاليم وقطانها،
البس قصارى تطاول قصورك الى القصور، ونهاية كمالك النقص
وحياتك الموت وسكناك القبور، قلت شعر

فعش ما شئت في الدنيا وادرك، بها ما شئت من صيت وصوت

فخيط العيش موصول بقطع، وحبل العمر معقود بموت

واين انت من نوح وطول عمره، ونياحته على قومه وحسن عبوديته وشكره
ولقمان ووعظه ولده، وتربيته لطول الحقوق لبده، وداود في ملكه
الفسيح، مع قيامه باوامر الله تعالى وكثرة الذكر والتسبيح، وسليمان بعده
وحكمه على الانس والجن والطير والوحش والريح، وذي القرنين الذي ملك
المشرقين وبلغ المغربين، وبنى السد بين الصدفين، ودوخ البلاد
وملك العباد، واين محلك من سيد الانبياء، وخاتم الرسل والاصفيا،
المرسل رحمة للعالمين، الكائن نبيا وآدم بين الماء والطين، محمد المصطفى
واحمد المجتبى الذي زويت له مشارق الارض ومغاربها، وتمثل بين يديه
شاهدها وغائبها، وفتحت له خزائنها، وعرض عليه ظاهرها وكامنها
وكانت جنوده الملائكة الكرام، وامن به الانس والجن والطير والوحش
والهوام، واتاه الله الكريم المتعال، بان ارسل لطاعته ملك الجبال،

وكان حامل راية نصره نسيم الصبا باليمين والشمال • فملك الجبابرة بالهيبة
والقهر • وكانت الاكاسرة والقياصرة تهابه من مسيرة شهر • وايد بنصره
وبالمؤمنين من المهاجرين والانصار • وتولى نصره اذ اخرجه الذين كفروا
ثاني اثنين اذ هما في الغار • وبلغ ركابه الشريف ان الله سبحانه به اسرى
في بعض ليلة من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى • وكان مركوبه الشريف
البراق • ثم عرج به الى السبع الطباق • وقرن اسمه الكريم مع اسمه •
وتعبد عباده بما شرعه الى يوم القيمة من غير تغيير لحده ورسمه • وخلق
لاجله الكائنات • وانار بوجهه الموجودات • ولم يخلق في الكون
اشرف منه ولا افخر • وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر • واظهر من
معجزاته ان اشبع الجم الغفير • من القرص الشعير • وسقى الكثير من
الرعال • مما نبع من بين اصابعه من الماء الزلال • وانشق له القمر •
ولبت دعوته الشجر • وامن به الضب وسلم عليه الحجر • وهل تحصى
معجزاته • او تحصر كراماته • وناهيك بمعجزته المؤبدة • وكرامته
المؤبدة • المخلدة على مر الزمان • الباقية ما دار الحدثان • الساكنة
ما تحرك الملوان • وهو القرآن المجيد • الذي لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد • وهذه منازله في الدنيا • غير ما
ادخره له في العقبى • وبشره بقوله وللآخرة خير لك من الاولى •
ولسوف يعطيك ربك فترضى • هذا وان الله تعالى اخذ ميثاق النبيين
بالايمان به ونصره • فلو ادركوه ما وسعهم الا اتباعه وامتثال امره •
فهو دعوة ابرهيم الخليل • ومتوسل موسى والعلماء من بني اسرائيل •
والمبشر بقدومه على لسان عيسى في الانجيل • وحامل لواء احمد ربه يوم
لقائه • فادم ومن دونه تحت لوائه • وهو صاحب الحوض المورود •
والمخاطب من ربه في موقف الشفاعة والمقام المحمود • بمعنى ما قلت

مفوقا مقتبسا • قل يسمع اشفع تشفع سل تنل تجد تفويف خلعة عز
واقتبس كرمي • فانظر الى هؤلاء السادة • معادن الخير ومفاتيح
السعادة • هل رغبوا في الدنيا او اعتمدوا عليها • او نظروا اليها بعين
الاحتقار والاعتبار بها • او هل كان نظرهم غير التعظيم لامر الله •
والشفقة على خلق الله • وناهيك بالخلفاء الراشدين • واعظم بالعمرين
اللذين كانا في هذه الامة بمنزلة القمرين • وهلم جرا بالخلفاء العادلين
والملوك الكاملين • والسلاطين الفاضلين • الذين تولوا بالعدل
فرعوا حقوق الله تعالى في عباده • وحموا عباد الله تعالى عن الظلم
في بلاده • واسسوا قواعد الخير • وساروا في نهج العدل والانصاف احسن
سير • فمضوا على ذلك وبقيت اثارهم • واحيت بعد موتهم ايامهم
اخبارهم • فمضى على ذلك مثل الاولين • وبقي لهم لسان صدق في
الآخرين • اذ صنعوا بموجب ما سمعوا • شعر

فكن حديثا حسنا ذكره • فانما الناس احاديث

وانت وان كنت تسلطت على الخلق • فقد عدلت ايضا ولكن عن
الحق • ورعيت ولكن اموالهم وزروعهم • وحميت ولكن بالنار قلوبهم
وضلوعهم • واسست ولكن قواعد الفتن • وشرعت ولكن على سنن اماتة
السنن • ومع هذا فلو عرجت الى السبع الشداد • ما بلغت منزلة فرعون
وشداد • ولو رفعت قصورك على شوامخ الاطواد • ما ضاهت ارم ذات
العماد • التي لم يخلق مثلها في البلاد • فانظر الى من نهى وامر • ثم مضى وغبر •
ولا تكن ممن طغى وتجبر • وتولى وكفر • واقنع بهذا الخطاب • عن الجواب •
واعط القوس باريها • وانزل الدار بانيها • وتول الله ورسوله والذين آمنوا
والامانة ممن اذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها • فاني اذ ذاك اخشى عليك
واضرب على يديك • وامنعك من السعي في الفساد بان اسوي بين رجليك •

مع قلة آداب كثيرة، وعبارات دنوبها كبيرة فلما وقف تيمور على هذا الكتاب
وجه الى تبريز عنان الركاب، وكان عند اميرانشاه من المعتدين جماعة
سعوا في الارض مفسدين، منهم قطب المواصيلي اعجوبة الزمان الدوار،
واستاد علم الموسيقا والادوار، اذا استنطق اليراعة، اسكت اهل
البراعة، واذا وضع الناي بفيه، سحق عودا سحق وابيه، وان اخذ في
الاغاني اغنى عن الغواني، تقول النفس لنفسه الرخيم خفف عني ابني
فتشير براعته بالاصبع وتقول على عيني، ثم ينفخ فيها الروح، فيشفي كل قلب
مجروح، ويداوي كل فواد مقروح، فان اقامت قامتها الرشيقة راقصة
في سماعها، يحني الجنك ظهره خاضعا لطيب استماعها، وان فتحت فاها
لتقرى استماع القلوب لحانه، يمل العود عنقه مصغيا اليها عاركا
بانامل الادب آذانه قيل انه كان يؤدي جميع الانغام الفروع والمركبات
والشعب والاصول، من كل ثقب من ثقب الموصول، وله مصنفات
في اوراد المقامات، وجرى بينه وبين الاستاد عبد القادر المراغي
مباحثات، وكان اميرانشاه به مغرما، بعد صحبته والعشرة معه
مغنما، وكان تيمور لا يعجبه العجب، ولا يستهويه اللهو والطرب
فقال ان القطب افسد عقل اميرانشاه، كما افسد عبد القادر احمد بن
الشيخ اويس واطغاه، فوصل ذلك الطاغ سابع عشر شهر ربيع الاول
سنة اثنين وثمانماية الى قراباغ، فاناخ بها ركابه، واراح بها دوابه،
وضبط ممالك اذربيجان، وقتل اولئك المفسدين واهل العدوان، ولم
يتعرض لاميرانشاه، لانه ولده وهو انشاه، وبينهما امور متشابهات
لا يعلم تاويلها الا الله، ثم توجه بذلك الخميس ثاني جمادى الاخرة يوم
الخميس، واخذ مدينة تفليس، وقصد بلاد الكرج، وهدم ما استولى
عليه من قلعة وبرج، وقلعهم الى الصياصي، والقلاع العواصي، وقتل

من ظفر

من ظفر به من طايع وعاص، وجزهم ما بين رؤوس ونواص، ثم ثنى عنان العناد،
وحرش البغاة على بغداد، فهرب السلطان احمد من ذلك اللجب، الى قرا
يوسف في ثامن عشر شهر رجب، فتمكن تيمور زعازعه، وطمن بذلك مراقبه
ومنازعه، وتمهل في السير، واستعمل في نحوه مع مناظريه مباحث
سوى وغير، وصار يجازر ويحاول، وينشد وهو يتغافل شعر

امونه عن سعدى بعلوى وانتم، مرادي فلا سعدى اريد ولا علوى،

فتراجع السلطان احمد وقرا يوسف الى مدينة السلام، متصورين انه لم
يبرح من بلاد الكرج اللئام، فلما تحققا منه الخروج، وكانا حققا انه اذا
عرج على شيء فما يعوج، اطارا طاير هما نحو الروم، وتركا ديارهما ينعق
فيها الغراب والبوم، فتوجه ذلك القشعمان الى مصيف التركمان
فاغمد السيف، وكف عن الحيف، وقضى به الصيف ٥

ذكر ما وقع من الفتن والبدع، وما نشأ للشرور من حشام، بعد موت
سلطاني سيواس والشام، وكان اذ ذاك وقد تخبط امر الناس، ووقع
الاضطراب ببلاد مصر والشام والى سيواس، اما مصر والشام فلموت
سلطانها، واما سيواس فلقتل برهانها، وكان موتهما متقارب الزمان
كموت قرا يوسف والملك المؤيد ابي النصر شيخ وابي الفتح غياث الدين محمد
ابن عثمان، فان مدى ما بين موت هؤلاء الملوك العظام، كان نحوا من
نصف عام، وكذا كان ما بين موت ذينك السلطانين، ذكر نبذ

من امور القاضي وكيفية استيلائه على سيواس وتلك الاراضي،

وسبب قتل القاضي برهان الدين مخالفة وقعت بينه وبين عثمان قرا الملوك
زائر المعتدين، شيد ادبياتها، اذا اتى مكانها، وهذا السلطان ابوه
كان قاضيا عند السلطان ارتنا حاكم قيصرية وبعض ممالك قرمان
وكان بين الامراء والوزراء ذا مكانة ومكان، وكان ابنه برهان الدين احمد

ذكر نبذ من امور ا

المذكور فی عنفوان شبابه • من طلبة العلم واصحابه • والمجتهدین فی تحصیله
واکتسابه • فتوجه الی مصر لاقتناء العلوم • وضبطها من طریق المنطوق
والمفهوم • وکان ذا فطنة وقاده • وقریحة نقاده • ومقلة غیر رقاده •
فحصل من العلوم عده • فی اذنی مده • فبیناهو فی مصر یسیر • واذاهو بفقیر
جالس علی الطریق کسیر • فناوله شیا یسد به خلته • ویجبر به فقره
وکسرته • فکاشفه ذلك الفقیر بلفظ معلوم • وکشف له عن السر المکتوم
وقال له لاتقعد فی هذه الدیار فانك سلطان الروم • فصدع هذا الکلام
قلبه • فاخذ فی اعداد الاهبه • وقطع الاعلاق • ودخل الطریق صحبة
الرفاق • ولما وصل الی سیواس ابتهج به واله واعیان الناس • وشید له
بین الخلق اشد بنیان واشد اساس • وشرع فی القاء الدروس • ومصاحبة
الاعیان والروس • وکان ذا همة ابیه • وراحة سخیه • ونفس زکیه •
وخصایل رضیه • وشمایل مرضیه • وتحریر شاف • وتقریر واف • یحقق
کلام العلما • ویدقق النظر فی مقالات الفضلا • وله مصنفات فی
المعقول • ولطایف فی المنقول • ینظم الشعر الرقیق ویعطی علیه العطاء
الجلیل • ویجید اللفظ الرقیق ویثیب علیه الثواب الجزیل • وهو فی ذلك
یتزیا بزی الاجناد • ویسلك طریقة الامرا من الرکوب والاصطیاد • ویلازم
ابواب السلطان • ویتخذ الخدم والاعوان • فمات السلطان عن ولد صغیر
فاجلسوه علی السریر • وکان عنده من اعیان الامرا • وروس الوزرا • ناس منهم
غضنفر بن مظفر • وفریدون وابن المؤید وجی کلدی وحاجی ابرهیم وغیرهم
ومن اکبرهم ابو القاضی برهان الدین فصار هولاء الامرا والروس من الوزرا
والکبرا • یدبرون مصالح الرعیه • ولایفصلون الا باتفاق مایقع من قضیه •
فمات ابو القاضی برهان الدین وتولی ولده مکانه • وفاق بالعلم وحسن
السیاسة اباه واقرانه • ففرق ولایات ذلك الاقلیم • علی ابن المؤید وجی کلدی

القاضی
الدین

وحاجی ابرهیم • فبقی حوالی السلطان محمد • فریدون وغضنفر وبرهان الدین
احمد • ثم توفی السلطان محمد • عن غیر ولد • فبقیت الولایة بین الثلاثه •
علی سبیل الاشتراك وراثه • وقلما اتفق ضرتان علی زوج واحد وایتلفتا •
ولو کان فیهما الهة الا الله لفسدتا • ومایة فقیر • یلتفون فی حصیر •
وملکان لایسعهما اقلیم کبیر • فاراد برهان الدین الاستبداد بالملك
والاستقلال • فنصب لشریکیه اشراك الاحتیال • اذ الملك عقیم •
فرصد لذلك الطالع المستقیم • ونظر نظرة فی النجوم فقال انی سقیم •
فرای شریکاه ان العیادة عباده • فطلبا بعیادته الحسنی ورام هو الزیاده •
فعاداه وقد عاداهما • وماراعاه ولکن راعهما وماراعاهما • فدخلا علیه
وقد ارصد لهما رصدا • واعد لهما من الرجال المعدة عددا • وقتلهما
وقد حصلا فی قبضة الاشراك • وخلص توحید السلطنة الاحمدیة عن
الاشراك • فقوی بالتوحید سلطانه • واضاء للدین حجته وبرهانه •
ولکن ناواه انداده • وعصی علیه من النواب اکفاوه واضداده • واظهر
کامن العداوه اعداوه وحساده • وقالوا هذه مرتبة لم ینلها اباوه
ولااجداده • ونحن کلنا سواسیة اذا انتمینا • فانی یکون له الملك علینا •
وحسد الریاسة هو الغل القمل • وتحاسد الاکفاء جرح لایندمل •
فمنهم شیخ نجیب صاحب توقات القاسیه • ومنهم جی کلدی وکان نایب
اماسیه • فلما استقل بالملك تلقب بالسلطان • وکان قد استولی اذ
ذاك السلطان علاء الدین علی ممالك قرمان • فقال السلطان برهان
الدین ان رواه التواریخ حدثتنا واسمعتنا • وکتب السیر انباتنا واخبرتنا •
ان ماحوالینا من الممالك متعلق بنا من سلطاننا وارثنا • ثم شرع فی
استخلاص ماکان متعلقا بسلطانه • وجعل یشن الغارات علی من یتمادی
فی عصیانه • فقلع قلعة توقات من الشیخ نجیب قسرا • واستصحبه معه

طيبة وقهرا. وانحازت تتار الروم اليه وهم الجم الغفير. وعثمان الملقب بقرايلوك قال له انا تحت اوامرك امشى وفي قيد طاعتك اسير. وكان قرايلوك من جملة خدمه. ومن حساب تراكمته وحشمه. وكان يرحل هو ومن معه من الناس شتا وصيفا بضواحى سيواس.

ذكر محو قرايلوك عثمان آثار برهان الدين السلطان بسبب ما اضمره من العدوان واظهر حالة العصيان وقبض عليه تلاعب به الدهر وخان

ثم انه وقع بين قرايلوك وبين السلطان منافره. ادت الى المشاجره. وانتهت الى المراجحه والمناقره. فنقض العهود والذمم. وامتنع من حمل التقادم والخدم. وتمنع في الاماكن العاصيه بمن معه من التراكمه والحشم. فلم يكترث به السلطان لانه كان اقل الاعوان وجعل يتوجه تارة الى اماسيه واخرى الى ارزنجان. وكان بالقرب من سيواس مصيف. منظره ظريف. وترابه نظيف. وماؤه خفيف. وهواؤه لطيف. كان الخلد خلع على اكناف رياضه سندسه الاخضر. والفردوس فجر في خلال اشجاره من نهر الكوثر. على حدايقه من وصاف الجنات شبه. وفي ربوة جهته للابصار دهشات وللبصاير نزه. قلت

عليه شقيق قد زها وكانه ... صحون عقيق اترعت بالعنابر

فقصد قرايلوك. ورام في طريقه السلوك. فمر على سيواس وبها القاضي ابو العباس فجاز بركابه. ولم يعبا به. فالتهب تموز قيظه. وكاد يتميز من غيظه. وقال بلغ من هذا العو ان يلج برج الاسد. او يقدم قدم اقدامه وانا حل بهذا البلد. ثم امر جماعته بالركوب. وقصد عليه الوثوب. واستفزه الغضب والطيش ان ركب وسبق الجيش فقال له بعض من معه من الجماعه. لو تلبث مولانا السلطان ساعه. حتى يتلاحق العسكر كان احزم واوفق واجدر. وان كان حزمة مولانا السلطان فيها كفايه ولها ايد. لكن قرايلوك ذو دها وكيد. فلم يلتفت السلطان الى هذا الكلام. ولم يزل هاجما وراه حتى هجم الظلام. فكر عليه قرايلوك بجماعته. فقبض عليه باليد من ساعته. ولم يدر بحالة العسكر. وتفرق امره وحند شغر بغر.

ذكر ما كان نواه قرايلوك من الراى المصيب. ورجعه عنه لسوء طوية شيخ نجيب.

ثم ان قرايلوك عزم ان يجدد معه العهد والميثاق. ويقلع غراس الخلاف ويوسس بنيان الصداقة والوفاق. ويرده الى مكانه. ويصير كما كان اولا من انصاره واعوانه. ويعلم بذلك السلطان انه له ناصح. فلا يسمع فيه كلام واش وكاشح. واذا بشيخ نجيب الذي كان متولى قلعة توقات. وحاصره السلطان وضيق عليه مسالك الطرقات. ثم قهره وغلبه. واخذ قلعته وبالكراهة استصحبه. وجد فرصة فانتهزها. وكان في قلبه كامن سخيمة فابرزها. فجا الى قرايلوك. ووقف في خدمته كالمملوك. وقال اعبدعا لم عقلك ان يزل. ودليل فهمك ان يضل. ومصيب رايك ان يصاب. وجميل فكرك ان يعاب. قد امكن الله من العدو. وانى لك مع هذا سكون وهدو. قلت

شعر

ما الدهر الا ساعة وتنقضى ... والمرء فيها حازم او نادم

فلئن ابقيت عليه لا يبقى عليك. ولئن نظرت اليه بعين الرحمة والله لا ينظر اليك. فانه رجل غني بانواع المكر واصناف الخديعه عنى عسر القياد وابيك لا ينجع فيه الخير وانى وهيهات والعياذ بالله مكانه منك. اكان يرق لك او يصفح عنك. هيهات هذا والله محال. فقد وقع لك مجال. فما كل اوان يسمح بالمراد الزمان. والدهر فرص واكثره غصص. فاياك ان تفوت الفرصه. فتقع في غصة واى غصه. ولا ينفعك الندم. اذا زلت بك القدم. وتفكر فيما اقول. واستنبط دليل هذه المسئلة من المعقول. واستبق شرفك الرفيع باراقة دمه.

وصن استار حرمك بابتذال حرمه • ونذكر با امير امور قابوس بن وشمكير •
ولازال ذلك الشيطان يحسن له الراي في قتل السلطان • ويقول هذا
الراي انفع لك وعليك اعوذ • كما فعل بسطام امير الكرد بقرا يوسف لما
قبض على السلطان احمد • فرجع قرا يلوك عن رايه لما خدعه ودهاه •
فقتل السلطان من غير امهال ولا توقف رحمه الله • وكان السلطان
رحمه الله كما ذكر اولا • عالما فاضلا كريما متفضلا • محققا في التقرير
مدققا في التحرير • قريبا من الناس مع كونه شديد الباس • رقيق
الحاشية اديبا • شاعرا ظريفا لبيبا اريبا • جوادا مقداما • قرما هماما •
نهاب الدنيا وهابها • يهب الالوف ولن يهابها • يحب العلما ويجالسهم •
ويدني الفقرا ويكابيتهم • قد جعل يوم الاثنين والخميس والجمعه للعلماء
وحفاظ القرآن خاصه • لا يدخل عليه معهم غيرهم من تلك الامم
الخاصه • وقد اقلع قبل وفاته عن جميع ما كان عليه • وتاب الى الله كان صح
تعالى ورجع اليه • وله مصنفات منها الترجيح على التلويح • وكان
عنده نديم للفضل حريز • بغدادي الاصل يدعى عبد العزيز • وكان
اعجوبة الزمان • وفي لطايف النثر والنظم فارسيا وعربيا اطروفة
الدوران • سرقه من بغداد من السلطان احمد بن الشيخ اويس • وكان
عنده راس ندمايه وعين اهل الفضل والكيس • والقاضي كان مربي
الفضلا • متطلبا من كل جهة الادبا والشعرا • وكان اهل الفضل
والادب يفدون عليه من كل فج • حتى صار مقامه كعبة الحاج لا كعبة
الحج وصورة سرقته له انه لما سمع باوصافه احبه • فاراد قربه •
فالتمسه من مخدومه • فلم تسمح نفس السلطان احمد بمفارقة نديمه •
ثم اختشى من القاضي رغبه • وخاف لشدة رهبه هربه • فوصى به
وحرج عليه • واقام له معقبات يحفظونه من خلفه ومن بين يديه •

فارسل اليه القاضي رسولا ذكيا • فناداه نداء خفيا • واجزل له العطيه •
ووعده مواعيد سنيه • وفرق ما بين السلطانين من الحسن والقبح • كفرق ما
بين البحرين العذب والملح • والمليحين المساء والصبح • فلبى دعوته بالقبول •
وواعد للخروج بعض القفول • ثم خرج ولهيب الحر قد وقد • والسلطان ن
احمد عند الحريم قد رقد • ووضع ثيابه على ساحل دجله • ووجه الى
داخل النهر في الطين رجله • ثم غاص في الماء وتاخر • وخرج من مكان
اخر • ولحق برفقايه • واختفى بينهم اختفا اليربوع في نافقايه • فطلبه
السلطان احمد • ففتشوا عليه فلم يوجد • فبالغوا في طلابه • الى ان
وقفوا على ثيابه • وراوا آثار رجليه في الطين • فلم يشكوا ان الموج
اختطفه فكان من المغرقين • فكفوا قدم السعي عن طلبه • ولم يصفوا
على احد بسببه • ثم بعد ايام يسيره • اخرج غريق بغداد راسه بسبوا ت
عند القاضي برهان الدين من تحت الحصيره • فغرقه في اجر نواله • واسبغ
عليه ذيل كرمه وافضاله • فصار عنده مقدما • ولديه مبجلا معظما •
الف له تاريخا بديعا • سلك فيه منهجا رفيعا • وانتهج منهجا منيعا •
ذكر فيه من بدو امره الى قرب وفاته • مع موافقته ووقايعه ووصا فاته
وشحه بظريف كناياته • ولطيف استعاراته • وفصيح لغاته •
وبليغ كلماته • ورشيق اشاراته • ودقيق عباراته • مدفيه عنان اللسان ن
وهو موجود في ممالك قرمان • في اربع مجلدات ذكر ذلك من غاص
بحره • واستخرج دره • ووقف على تاريخ العتبي في اليمين السلطان
محمود بن سبكتكين • وان هذا احسن من ذلك اسلوبا • واغزر يعبوبا
واعذب شوبوبا • مع اني لم اقف عليهما • ولا وصلت لقصر الباع
اليهما • ثم ان الشيخ عبد العزيز هذا بعد لهيب هذه النايره • انتقل
الى القاهره • ولم يبرح على الابراح • ومعاقرة راح الاتراح • حتى خامره

نشاة الوجد فصاح . وتردى من سطح عال فطاح . ومات منكسرًا
مبتة صاحب الصحاح . والله اعلم ۞ ذكر ما وقع من الفساد
في الدنيا والدين بعد قتل قرايلوك السلطان برهان الدين
ولما قتل السلطان برهان الدين لم يكن في اولاده من يصلح للرياسه .
وتنفيذ احكام السلطنه والسياسه . فرجع قرايلوك الى سيواس
ودعا الى نفسه الناس . فلم يجيبوه . ولعنوه وسبّوه . فاخذ يحاصرهم
ويناكدهم . ويضيق عليهم ويعاندهم . فاستمدوا عليه التتار
فامدّوهم . واتت طايفة منهم فنجدوهم . فكسرهم قرايلوك ففروا .
واستنجدوا طوايفهم وكرّوا . واقبلوا بالقض والقضيض وملاوا
اليفاع والحضيض . فلم يكن لقرايلوك في جنّة قتالهم طوق . فدخل فيهم
من تحت وجاهم من فوق . وتوجه الى تيمور . وكان يحرجسه في
اذربيجان تيمور . فقبل يديه . وانتمى اليه . وجعل يناديه الى هذه
البلاد ويدعو . كما فعله معه الامير ايدكو . فحك له في الدبر . فلحاجة
احاية من ضصصا بامره . مشاورة الناس من اهل سيواس انى يسلكون
ومن يملكون ثم ان اهل سيواس . والاعيان من روسايها والاكياس
تشاوروا فيمن يملكون قيادهم . والى من يسلمون بلادهم . لسلطان
مصر ام لابن قرمان . ام للسلطان الغازي ابي يزيد بن عثمان ثم اتفق
رايهم السديد . على المرحوم ايلدرم ابي يزيد . فارسلوا اليه قاصدًا .
واستنهضوه اليهم وافدا . فتوجه من ساعته اليهم . وقدم بالعساكر
والجنود عليهم . ومهّد القواعد والاركان . وولى عليهم اكبر اولاده
امير سليمان . واضاف اليه خمسة انفار . من امرايه الكبار .
يعقوب بن اورانيس وحمزة بن بجار . ونوح علي ومصطفى ودوادار .
واستمال خواطر الاعيان . وتوجه الى ارزنجان . فهرب منها طهرتن المذكور .

ابو مرة ابليس ...

وقصد في

٥٠

50

وقصد في انهزامه تيمور . فاستولى ابن عثمان على مدينة ارزنجان واخذ
اموال طهرتن ودخاير وحرمه . ومكن منهن سواسه وغلمانه وخدمه .
ورجع بالاموال والحمول . واشتغل بمحاصرة اسطنبول فصل فتنه
قرايلوك وطهرتن من تيمور نايم الفتن . وان كان المتحرك منه في الفساد
ماسكن حتى توجه الى هذه البلاد . وعم فساده البلاد والعباد .
فوصلوا الى ارزنجان وارددين ثم ارتحلوا ونزلوا مفسدين ماردين
فعصى عليه الملك الظاهر . لما كان قاساه اولا من طلعة ذلك الغادر .
فندم على اطلاقه اول مره . كما سيندم يوم القيامه ولم تنفعه الندامه
والحسره . وكان ذلك في سنة اثنين وثمان مائه . والخلف قد وقع بين
العساكر الشاميه والمصريه وانحاز الى كل فيه . وتفرقت اراوهم
ايادي سبا . ومال هوا كل منهم الى دبور وشمال وصبا . واهملوا
امور الرعايا . وغفلوا عن حلول الرزايا . قلت شعر

من يهمل الاعدا ويامن كيدهم . مثل النوم وراه مستيقظ

وقلت شعر

واللص ليس له دليل سائر . نحو الذي يبغي كنوم الحارس

ثم قتل تيم ملك الامرا بالشام . ورووس الامرا واعيان الاعلام . في شهر رمضن
من العام المذكور . وبيان هذه الامور . في كتب التواريخ مسطور . قلت

واذا العرين تصرعت اسادة . عوت الثعالب فيه امنة الردى

ذكر قصد ذلك الغدار . سيواس وما يليها من هذه الديار .

ثم ان تيمور وجه عنان الباس نحو مدينة سيواس . وبها كما ذكر امير
سليمان ابن ابي يزيد مراد بن اورخان بن عثمان . فارسل يخبر اباه بهذا
الامر المهول . ويستنجده وهو اذ ذاك محاصر اسطنبول . فلم يطق ان
يمد اليه يدا . لاحتياجه الى المدد ولبعد المدى . فاستحضر من

استو...
على ارزنجا...
بحريم ...

جنده أهل المنعه، وحصن المدينه والقلعه، واستعد للقتال واستمد
للحصار، وفرق رؤس امرايه على ابدان الاسوار، وجهز تيمور من جيشه العيون
ليتحققوا ما هو عنده مظنون، ولما كشف جيوشه لامير سلمان زينها فر
لما ان راى عينها، فعزم على التوجه الى ابيه، واشترط مع امرايه وذويه
انهم يحفظون له البلد، ريثما يجهز لهم العدد والعدد، فلم يتبعهم الا
الموافقه، والتخلف وعدم المرافقه، فرام لنفسه الخلاص، ولات حين
خلاص، فوصل اليها تيمور بتلك السيول الهاميه، سابع عشر ذى الحجه
سنة اثنين وثمانمايه، ولما حلت بسيواس رجله المشومه، قال انا
فاتحوا هذه المدينه فى ثمانيه عشر يوما، ثم اقام فى محاصرتها علامات
الحشر، وفتحها فى اليوم الثامن عشر، بعد ما عثى فيها وعاث، وذلك يوم
يوم الجمعه خامس المحرم سنة ثلاث، وبعد ان حلف للمقاتله ان لا يريق
دمهم، وانه يرعى ذممهم، ويحفظ حريمهم وحرمهم، ولما فرغت المقاتله
واستمكن من المقاتله، ربطهم فى الرباق سربا، وحفر لهم فى الارض سربا
والقاهم احيا فى تلك الاخاديد، كما القى فى قليب بدر الصناديد، وعدد — دفنوا احيا
من القى فى تلك الحفر، كان ثلاثة آلاف نفر، ثم اطلق عنان النهاب، واتبع
النهب الاسر والخراب، وكانت هذه المدينه من اظرف الامصار، فى احسن
الاقطار، ذات عماير مكينه، واماكن حصينه، ومآثر مشهوده، ومشاهد
للخير معهوده، ماؤها رايق، وهواؤها للامزجه موافق، وسكانها من
احشم الخلايق، يتعاطون التوقير والاحتشام، ويتعاطون اسباب التكلف
والاحترام، وهى متاخمة ثلاثة تخوم، الشام واذربيجان والروم،
واما الآن فقد حلت بها الغير، وتفرق اهلها شذر مذر، وانمحت مراسم
نقوشها، فهى خاوية على عروشها،

ذكر انسجام صواعق ذلك البلاء الطام، من غمام الغرام، على فرق ممالك الشام،

ولما استشفى سيواس لحما ونقيا، واستوفاها حصدا ورعيا، فوق سهام
الانتقام، الى نحر ممالك الشام، بجنود ان قيل كالجراد المنتشر،
فالجراد كان من اعوانها، او كالسيل المنهمر فسيل الدما جار من فرندها
وخرصانها، او كالفراش المبثوث فالفراش يحترق عند تطاير شهامها،
او كالقطر الهامى فالديم تضمحل عند انعقاد قتامها، رجال توران،
وابطال ايران، ونمور تركستان، وببور بلخشان، وصقور الدشت
والخطا، ونسور المغول، وكواسر الجتا، وافاعى خجند، وثعابين اندكان،
وهوام خوارزم، وجوارح جرجان، وعقبان صغانيان، وضوارى
حصار شادمان، وفوارس فارس، واسود خراسان، وضباع الجبل،
ولیوث مازندران، وسباع الجبال، وتماسيح رستمدار وطالقان،
واصل قبايل خوز، وديدان كرمان، وطلس ارباب طيالسة اصفهان،
وذياب الرى، وغزنى، وهمدان، وافيال الهند والسند، وملتان، وكباش
ولايات اللور، وثيران شواهق الغور، وعقارب شهرزور، وجرارات
عسكر مكرم، وجندى سابور، شعر

قوم اذا الشر ابدى ناجذيه لهم، طاروا اليه زرافات ووحدانا،

مع ما اضيف اليهم من عساير الخدم، وفراعل التراكمة والاوباش والحشم،
وكلاب النهاب من رعاع العرب وهمج العجم، وحثالة عباد الاوثان،
والخاس مجوس الامم، ما لا يكتنفه ديوان، ولا تحيط به دفتر حسبان،
وبالجمله فانه الدجال ومعه ياجوج وماجوج، والرياح العقيمه
الهوج، فتوجه والنصر قايده، والسعد رايده، والقضا موافقه
والقدر مساعده، ومشية الله تعالى سابقته، وارادة الله عز وجل
فى تدمير العباد والبلاد سايقته، فبلغ خبره البلاد الشاميه،
واتصل ذلك بالديار المصريه، فورد مرسوم شريف الى نايب الشام،

وسایر النواب والحکام، وغزاة الدین وکماة الاسلام، ان یتوجهوا الی
حلب، ویقیموا علیه الجلب، ویجتهدوا فی دفعه، ویبغوا ویبنوا علی
منعه، فتجهز نایب الشام سیدی سودون مع النواب والعسکر، ووصلوا
الی حلب سنة ثلاث وثمان مئة فی شهر صفر، ووصل تیمور الی بهسنا،
فنهب ضواحیها ولم یبق بها شیا، وحاصر قلعتها ثلاثة وعشرین لیله
فاخذها ولکن کف عنها للطیفه ربانیة شوره وویله، ثم اوطا
مطیه، مدینة ملطیه، فاباده، ودک اطوادها، ثم حل کعبه
المشوم، بقلعة الروم، وکان نایبها الناصری محمد بن موسی بن شهری
وسیذکر ما جری له معه مشبعا، وکیف اجتهد فی مجاهدته
وسعی، فاقام بها یوما، فلم یتیح روما، فلم یحتفل لها بحصار وهیاج،
وقال هی اهون علی من تبالة علی الحجاج، وذلک انه لما راها من بعید
قال فیها ما قال الذی لم یصل الی العنقود، والحق انه لما راها، قال ان
الله لما بناها، ادخرها لنفسه واصطفاها، ثم انجاب، ذلک السحاب
الی عین تاب، وکان نایبها ارکماس، رجلا شدید الباس، فحصنها واستعد
وباشر القتال بنفسه واشتد، ثم خرج فهرب الی حلب فلم یرسل
وراه الطلب ذکر ما ارسل من کتاب وشنیع خطاب الی النواب
بحلب وهو فی عین تاب ثم ارسل الی النواب قاصده وهو فی عین تاب،
وصحبته مرسوم، بانواع التفخیم موسوم، وباصناف التهویل مرقوم،
ومن جملته ان یطیعوا اوامره، ویکفوا عن القتال والمکاسره، ویخطبوا
باسم محمود خان، وباسم الامیر الکبیر تیمور کورکان، ویرسلوا الیه
اطلامیش الذی کان عنده فخان، او اقتنصه وارسله الی مصر الزمان،
واطلامیش هذا زوج بنت اخت تیمور، وکان جا الی الشام قبل وقوع
هذه الشرور، وفیما بین ذلک امور، کان لها بطون فصار لها ظهور،

وکان

وکان اولا فی مصر محبوسا، فی ضر وبوسا، ثم صار معززا مکرما، معظما
مقدما، وکان تیمور له متطلبا، وجعل ذلک حجة للمعاداة وسببا، ثم
شرع یقول، وهو یجول، فی میدان هذه الرسالة ویصول، انه هو اولی
بسیاسة الانام، وان من نصبه هو الخلیفة والامام، وانه ینبغی ان یکون
هو المتبوع المطاع، وما سواه من ملوک الارض له خدام واتباع، وانی لغیر
ذریة الریاسه، وکیف تعرف الجراکسة طرق السیاسه، مع کثیر
من التهویل، والحشو والتطویل، وکان یعلم ان اجابتهم سواله محال، وانه
طلب منهم ما لا ینال، ولکن قصد بذلک قرع باب الجدال، وترکیب
الحجة علیهم فی فتح حران القتال، فلم یجیبوه بالمقال، ولکنهم قضوا
مراده بالفعال، ولم یلتفت سیدی سودون لما یقول، وضرب علی روس
الاشهاد عنق الرسول، واستعدوا للمبارزه، واستمدوا للمناجزه،
ذکر ما تما لا علیه النواب، وهم فی حلب وتیمور فی عین تاب ٥
ثم ان النواب والامرا، ورووس الاجناد والکبرا، تشاوروا کیف یکافحونه،
وفی ای میدان یناطحونه، فقال بعضهم الرای الاشد، ان نحصن البلد،
ونکون علی اسوارها کالرصد، نحرس بروج افلاکها، حراسة السماء باملاکها،
فان راینا حوالیها من شیاطین العدو احدا، ارسلنا علیه من رجوم السهام
ونجوم المکاحل شهابا رصدا، وقال اخر هذا عین الحصر، وعلامة العجز
والکسر، بل نخلو حوالیها، ونمنع العدو ان یصل الیها، ویکون ذلک افسح للمجال
واشرح للجدال، ثم ذکر کل من اولیک، ما عن له فی ذلک، وخلطوا غث
القول بسمینه، وشافوا هجان الرای مع هجینه، فقال الملک المؤید
شیخ الخاصکی وکان ذا رای مسدد، وهو اذ ذاک نایب طرابلس یا معشر
الاصحاب، واسود الحراب، وفوارس الضراب، اعلموا ان امرکم خطر
وعدوکم داء عسر، داهیة دهیا، ومعضلة عضلا، جنده ثقیل،

وفكر وبيل • ومصابه عريض طويل • فخذوا حذركم • واعملوا في دفعه بحسن
الحيلة فكركم • فان صايب الافكار • يفعل ما لا يفعله الصارم البتار • ان هذا
لبحر ما يحمله بر • وجيشه عددا كالقطر والذر • وهو وان كان كالوابل الصيب •
لكنه اعمى لانه في بلادنا غريب • فعندي الراي الصايب ان نحصن المدينة من
كل جانب • ونكون خارجها مجتمعين في جانب واحد • وكلنا له مراقب مراصد
ثم نحفر حولنا خنادق • ونجعل اسوارها البيارق والبوارق • ونطير الى الآفاق
اجنحة البطايق • الى الاعراب والاكراد • والتراكمة وعشاير البلاد •
فيتسلطوا عليه من الجوانب • ويثب عليه كل راجل وراكب • ونصير ما بين
قاتل وناهب • وخاطف وسالب • فان اقام واني له ذلك ففي شر مقام • وان
تقدم الينا صافحناه بسواعد الاسنة واكف الدرق وانامل السهام • وان
رجع وهو المرام رجع بخيبه • واقيمت لنا عند سلطاننا الحرمة والهيبة •
وان كان بسلطانه علينا عرج • فلنا بحمد الله سلطان وفي سلطاننا فرج •
واقل الاشيا ان نماده ونجتر زمن جنده • فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من
عنده • وهذا الراي الاسد • كان راي شاه منصور الاسد • فقال بعينه
تمرداش وهو نايب المدينة • ما هذه الاراء مكينة • ولا هذه الافكار رصينة •
بل المناضلة خير من المطاولة • والمناجزة في هذا الموطن قبل المحاجزة •
ومقام المنازلة • لا يجدي فيه المغازلة • ولكل مقام مقال • ولكل
مجال جدال • وهذا طير في قفص • وصيد مقتنص • فاغتنموا فيه الفرص
وناوشوه الحرب • وسابقوه بالطعن والضرب • لئلا يتوهم منا الخور • ويتنشى
من ركود ريحنا عرف الظفر • فاجمعوا امركم واعجلوا • ولا تنازعوا فتفشلوا •
وانهضوا وثابروا • واصبروا وصابروا • فانتم بحمد الله اهل النجدة • واولوا الباس
والشدة • وكل منكم في فقه المناضلة مغن ومختار • وعلمه في افاضة دماء
الاعدا منار • وله في ذلك كفاية وهداية • ونهاية غيره له بداية • وهو مجمع

الاسلام

الاسلام كنز واف • وجامع كاف • ووقاية • تنحو الاسنة سيوفكم الى
تكليم الرؤس فهي في لفظها كافية شافية • وتصرف اسنتكم اسنانها
في مضاعفة كل ذي فعل معتل فهي في تصريف عللها شافية كافية •
فان كسرناه فزنا بالمنال • وكفى الله المومنين القتال • وتلك من الله
تعالى معونة • وقد كفينا عساكر المصريين المؤونة • وكان ذلك اعلى لحرمتنا
واقوى في ورود النصر لشوكتنا • واذكى لزند نصرنا وازكى • وابكى لعين
التحية وانكى • وان كانت والعياذ بالله الاخرى • فلا علينا اذ بذلنا مجهودا
واقمنا عذرا • ونخلو ومنا مدرك ثارنا • ويحيي آثارنا • فتوكلوا على الله
العزيز الجبار • واستعدوا لملاقاة هولاء الاشرار • واذا لقيتموهم زحفا
فلا تولوهم الادبار • ولا زال تمرداش يحسن لهم هذا الراي اللاش حتى
اجمعوا عليه • واتفقوا على الخروج اليه • لانه كان صاحب البلد • وعلى
كلامه المعتمد • وكان تمرداش قد خالف الجمهور • ووافق في الباطن
تيمور • وهذه كانت عادته • وعلى المراوغة جبلت طينته • فانه كان
كالشاة العايرة • والمراة الحايرة العايرة • اذا التقى عسكران فلا يكاد
يثبت في احدهما بل يعير الى هذا مرة والى هذا اخرى • مع انه كان صورة
بلا معنى ولفظا بلا نحوى • فاعتمد تيمور عليه • وفوض الامور اليه •
وكذلك عساكر الشام • وجنود الاسلام • ثم حصنوا المدينة واوصدوا
ابوابها • وصففوا اسوارها ورحابها • ووكلوا بكل حارة ومحلة اصحابها •
وفتحوا الابواب التي تقابل ملتقاه • وهي باب النصر وباب الفرج وباب القناه •

ذكر ما صبه من صواعق البيض واليلب • على العساكر الشامية عند وصوله الى حلب •

ثم ان تيمور ثقل الركاب • فوصل في سبعة ايام الى حلب
من عين تاب • فحل بذلك الخميس تاسع شهر ربيع الاول يوم الخميس • وبرز
من ذلك العسكر • طايفة نحو من الفي نفر • فتقدم لهم من الاسود الشامية

نحو من ثلثمائة ، فقتلوهم بالصفاح ، وشلوهم بالرماح ، فبددوهم وطردوهم ،
وخددوهم ، وشردوهم ، ثم اصبحوا يوم الجمعة ، فبرز من عسكره نحو من
خمسة آلاف ، الى مصاف النقاف ، فتقدم لهم طايفة اخرى ،
ارسالا وتترا ، فالتحم منهم النطاح ، واشتبكت بين الطايفتين انامل الرماح ،
فازدحموا واقتحموا ، واشتدوا والتحموا ، ولا زالت اقلام الخط في الواح
الصدور تخط ، والعضب الصمصام لرؤس تلك الاقلام بالاعلام تقط ،
ومشاريط النبال لدماميل الدماء تبط ، والارض من اثقال حبال القتال
تاط ، حتى سجى ليلا الظلام والقتام واغطشا ، فتراجعوا وقد اعطى الله
النصر لمن يشا ، واجرى من دما العدو مع قويق نهران ، وفقد من العساكر
الاسلامية نفران ، ثم اصبحوا يوم السبت حادى عشر ، وقد تعبت
الجنود الشامية ، والعساكر السلطانية ، بالعدة البالغة ، والاهبة
السابغة ، والخيول المسومة ، والاعلام المعلمة ، ولم يحوز اولئك
الصناديد ، سوى شمة من النصر والتاييد ، وبخواقصد ، وقصدوا
رده وصده ، واقبلت عساكره ، والسعد الميمون طايره ، والقضا موازره ،
والقدر مظاهره ، بالجنود المذكورة ، والجيوش المعهودة المنصورة ،
تؤمهم الاقبال ، واتيان القتال ، واذا به قد اضمر لهم الويل ، وعبى
عساكره تحت جنح الليل ، وشهم فيهم ، وارسل عليهم عزاليهم ، وقابلهم
بمقدمتهم وشغلهم باوايلهم ، واحاط الباقون بهم فاتوهم من بين ايديهم
ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم ، فمشى عليهم مشي الموسى على الشعر ،
وسعى سعي الدبا على الزرع الاخضر ، وكان هذا الجولان على قرية حيلان ،
ولما اهتمش امر الناس وهاش ، وجاشت الهوشة والاستحاش ، وتهارشت
الاسود واستطحت الكباش ، فرت الميمنة وكان راسها تمرداش ، فانكسر
العسكر وطاش ، واخذ الابطال من الدهشة الارتعاش ، وغلبهم الحيرة

والانهار ،

والانبهار ، فلم يلبثوا ولا ساعة من نهار ، ثم ولوا الدبر ، وصارت لاقلام رماحه
ظهورهم الزبر ، واستمروا امامهم يتواثبون ، وعسكره وراهم يتخاطبون ،
بمعنى ما قلت شعر جعلنا ظهور القوم في الحرب اوجها ، رقمنا بها ثغرا وعينا وحاجبا ،
فقصدوا المدينة من الباب المفتوح ، وهم ما بين مسوم ومجروح ، والسيوف
تشغبهم ، والرماح تدقهم ، وقد سالت بدمايهم الاباطح ، وتمرمن اثار لحمهم
كل كاسر وجارح ، فوصلوا الى باب المدينة وانكرسوا ، وهجموا فيه يدا
واحدة وتكردسوا ، ولا زال يدوس بعضهم بعضا ، حتى صارت العتبة
العليا من الباب ارضا ، فاشتدت الابواب بالقتلى ، ولم يمكن الدخول منها
اصلا ، فتشتتوا في البلاد ، وتفرقوا في المهامه والاطواد ، وكسر باب
انطاكية المماليك الاغنام ، وخرجوا منه قاصدين بلاد الشام ، فوصل
فلهم الى دمشق في ابشع صورة ، وحكوا في كيفية هذه الواقعة اشنع
سيرة ، وصعد النواب الى قلعة حلب وتحصنوا ، فضاقت عليهم الارض
بما رحبت فاستامنوا ، ونزلوا بواسطة دمرداش اليه ، وقد غسل كل
منهم من الحيوة يديه ، ثم انه مشى على هينته ، مع وقاره ورزانته وسكينته ،
ودخل حلب ، ونال منها ما طلب ، وفاز بالروح والسلب ، ولما نزل
النواب اليه ، قبض على شيخ سودون وشيخ الخاصكي وامام دمرداش فخلع
عليه ، وقبض على التونبغا العثماني نايب صفد ، وعلى عمر بن الطحان نايب
غزه وجعل الكل في صفد ، وشرع في استخلاص الاموال ، وضبط الاثقال
والانفال ، وقد ملات القلوب هواجس هيبته ، وانتشر في الآفاق شرار
صولته ، ثم انه لم يكتف بما ازهقه من النفوس ، حتى بنى المبادين من
الرؤس ، وسبب ذلك ان ذا قرابة البريدي الذي ارسله الى حلب ، وضرب
نايب الشام عنقه وسلبه السلب ، ذكر تيمور بقضيته ، واراد القود من
اهل حلب لذي قرابته ، فاجاب سواله ومكنه ، فيمن يختار منهم ان يفعل فيه

ما نقل من تاريخ ابن الشحنه الى ركبت في ديوان لذلك ومائه نفس

ما استحسنه، فقتل طايفه منهم وبنى من روسهم كذا وكذا منذنه، ٥
زيادة ايضاح لهذه المحنه، مما نقلته من تاريخ ابن الشحنه،
قال اخبرني الحافظ الخوارزمي ان من كتب في الديوان من عساكر تيمور ثمان مايه
الف نفس، ومنه ان تيمور قصد قلعة المسلمين وكان نايبها الناصري محمد
ابن موسى بن شهرى وانه عصى عليه وكان يخرج للغارات ثم قال ما
نصه بحروفه وكان قد بدع بجمايع تمرلنك وطراشته مدة اقامته على
بهسنا وقتل منهم جماعه وارسل روسهم الى حلب وكثر يوما ناجهز اليه
اقبح كثرة حتى رمى غالب جماعته بانفسهم الى الفراة وجهز تمرلنك كتابه
الى المشار اليه، ونصه يقول فيه اني خرجت من اقصى بلاد سمرقند ولم
يقف احد امامي وساير ملوك البلاد حضروا الي وانت سلطت على جمايعي
من يشوش عليهم ويقتل من ظفر به منهم والآن فقد مشينا عليك بعساكرنا
فان اشفقت على نفسك ورعيتك فاحضر الينا لترى من الرحمه والشفقه
ما لا مزيد عليه والا ارلنا عليك وخربنا بلدك وقد قال الله تعالى
ان الملوك اذا دخلوا قريه افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك
يفعلون، فاستعد لما يحيط بك ان ابيت الحضور فامسك المشار اليه
الرسول وحبسه ولم يلتفت الى كتاب تمرلنك فمشى اليه اوايل عسكره
فبرز اليهم المشار اليه وقاتلهم وكسرهم وفي اليوم الثاني حضر تمرلنك
ونزل على قلعة المسلمين فبرز اليه المشار اليه وقاتله قتالا شديدا
وكانت وقعة عظيمة راى فيها منه تمرلنك شدة حزم ورجع عن محاربته
واخذ في مخادعته وملاطفته وطلب منه الصلح وان يرسل اليه خيلا
ومالا لاجل حرمته فلم ينخدع معه وتنازل معه الى ان طلب منه جاما فلم
يعطه وعاد خايبا واخذ المشار اليه في اواخره قتلا ونهبا واسرا كل ذلك
وباب قلعته مفتوح لم يغلقه يوما وانشد فيه لسان الحال شعر

هذا الامير الذي صحت مناقبه، ليث الوغا عمت الدنيا مفاخره
ولى تمرلنك مكسورا اوايله، منه مرارا ومذعورا اواخره

منازلة تمرلنك حلب

وكان حصول تلك السعاده للمشار اليه دون غيره من الملوك واصحاب
الحصون لما كان فيه من العلم والديانه والاخلاص والصيانه ولكونه من
السلاله الطاهرة العمريه رضي الله عنها ولما كان يوم الخميس تاسع ربيع
الاول نازل تمرلنك حلب وكان نايبها المقر السيفي تمرداش وقد حضرت اليه
عساكر المملكة الشاميه عسكر دمشق مع نايبها سيدي سودون وعسكر
طرابلس مع نايبها المقر السيفي شيخ الخاصكي وعسكر حماه مع نايبها المقر
السيفي دقماق وعسكر صفد وغزه فاختلفت آراوهم فمن قايل ادخلوا
المدينه وقاتلوا من الاسوار وقايل اخرجوا ظاهر البلد بالخيام فلما راى
المقر السيفي تمرداش اختلافهم اذن لاهل حلب في اخلايها والتوجه حيث
شاوا وكان نعم الراي فلم يوافقوا على ذلك وضربوا اخيامهم ظاهر البلد
تلقا العدو وحضر قاصد تمرلنك فقتله نايب دمشق قبل ان يسمع
كلامه ويوم الجمعه حصل بين الاطارف تناوش يسير فلما كان يوم
السبت حادي عشر ربيع الاول زحف تمرلنك بجيوشه وفيلته فولى
المسلمون نحو المدينه وازدحموا في الابواب ومات منهم خلق عظيم
والعدو وراهم يقتل وياسر واخذ تمرلنك حلب عنوه بالسيف وصعد
نواب المملكه وخواص الناس الى القلعه وكان اهل حلب قد جعلوا غالب
اموالهم فيها وفي يوم الثلاثا تاسع عشر شهر ربيع الاول اخذ القلعه بالامان
والايمان التي ليس معها ايمان وفي ثاني يوم صعد اليها واخر النهار طلب
علماءها وقضاتها فحضرنا اليه فاوقفنا ساعه ثم امر بجلوسنا وطلب من
معه من اهل العلم فقال لاميرهم عندك وهو المولى عبد الجبار ابن العلامه
نعمان الدين الحنفي والده من العلما المشهورين بسمرقند فقل لهم اني سايلهم

علماء سمر

عن مسئلة سالت عنها سمرقند وبخارا وهرات وساير البلاد التى افتتحتها فلم
يفصحوا بجواب فلا تكونوا مثلهم ولا يجاوبنى الا اعلمكم وافضلكم وليعرف
ما يتكلم فانى خالطت العلما ولى بهم اختصاص والفه ولى فى العلم طلب
قديم وكان بلغنا عنه انه يتعنت العلما فى الاسوله ويجعل ذلك سببا
لقتلهم او تعذيبهم. فقال القاضى شرف الدين موسى الانصارى الشافعى
عنى هذا شيخنا ومدرس هذه البلاد ومفتيها سلوه وبالله المستعان
فقال لى عبد الجبار سلطانا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن
الشهيد قتيلنا ام قتيلكم فوجم الجميع وقلنا فى انفسنا هذا الذى بلغنا
عنه من التعنت وسكت القوم ففتح الله على بجواب سريع بديع وقلت هذا
سوال سيل عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا
مجيب بما اجاب به سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى صاحبى
شرف الدين موسى الانصارى بعد ان انقضت الحادثه والله العظيم لما
قلت هذا سوال سيل عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب
عنه وانا محدث زمانى هذا عالمنا قد اختل عقله وهو معذور فان هذا
سوال لا يمكن الجواب عنه فى هذا المقام ووقع فى نفس عبد الجبار مثل ذلك
والقى تمرلنك الى سمعه وبصره وقال لعبد الجبار يسخر من كلامى كيف
سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا وكيف اجاب قلت جا
اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الرجل
يقاتل حمية ويقاتل شجاعة ويقاتل ليرى مكانه فاينا فى سبيل الله فقال
صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو الشهيد فقال (لفظ الحديث)
تمرلنك خوب وقال عبد الجبار ما احسن ما قلت وانفتح باب الموانسه
وقال انى رجل نصف ادمى وقد اخذت بلاد كذا وكذا وعدد ساير ممالك
العجم والعراق والهند وساير بلاد التتار فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك

خوب يعنى مليح بالفارسية

فهو فى سبيل الله وكان ذكره بالمعنى للاجل الضرورة والمناسبة كلامه

عن هذه الامه ولا تقتل احدا فقال والله انى لم اقتل احدا قصدا وانما انتم
قتلتم انفسكم فى الابواب والله لا اقتل منكم احدا وانتم امنون على انفسكم
واموالكم وتكررت الاسوله منه والاجوبه منا فطمع كل من الفقها
الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه فى المدرسه والقاضى شرف
الدين ينهاهم ويقول لهم بالله اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فانه يعرف ما يقول
وكان اخر ما سال عنه ما تقولون فى على ومعويه ويزيد فاسر الى القاضى
شرف الدين وكان الى جانبى ان اعرف كيف تجاوبه فانه شيعى فلم افرغ
من سماع كلامه الا وقد قال القاضى علم الدين القفصى المالكى كلاما معناه
ان الكل مجتهدون فغضب لذلك غضبا شديدا وقال على على الحق
ومعويه ظالم ويزيد فاسق وانتم حلبيون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون
قتلوا الحسين فاخذت فى ملاطفته والاعتذار عن المالكى بانه اجاب بشى
وجده فى كتاب لا يعرف معناه. فعادا الى دون ما كان عليه من البسط
واخذ عبد الجبار يسالنى فقال عنى هذا عالم مليح وعن شرف الدين وهذا
رجل فصيح فسالنى تمرلنك عن عمرى فقلت مولدى سنه تسع واربعين
وسبعمايه وقد بلغت الان اربعا وخمسين سنه فقال للقاضى شرف
الدين وانت كم عمرك فقال انا اكبر منه بسنه فقال تمرلنك انتم فى عمر
اولادى انا عمرى اليوم بلغ خمسا وسبعين سنه وحضرت صلاة المغرب
واقيمت الصلاه وامنا عبد الجبار وصلى تمرلنك الى جانبى قايما يركع ويسجد
ثم تفرقنا وفى اليوم الثانى غدر بكل من فى القلعه واخذ جميع ما كان
فيها من الاموال والاقمشه والامتعه ما لا يحصى اخبرنى بعض كتابه انه
لم يكن اخذ من مدينة قط ما اخذ من هذه القلعه وعوقب غالب المسلمين
بانواع من العقوبه وحبسوا بالقلعه ما بين مقيد ومن يجر ومن سم عليه
ونزل تمرلنك من القلعه واقام بدار النيابه وصنع وليمة على زى المغل ووقف

عمر تمرلنك بذكره

سایر الملوك والنوامین فی خدمته وادار علیهم کوس الخمر والمسلمون فی عقاب
وعذاب وسبی وقتل واسر وجوامعهم ومدارسهم وبیوتهم فی هدم وحرق
وتخریب ونبش الی اخر شهر ربیع الاول طلبنی ورفیقی القاضی شرف الدین
واعاد السوال عن علی ومعویه فقلت له لا شك ان الحق کان مع علی ولیس
معویه من الخلفا، فانه صح عن رسول الله صلی الله علیه وسلم انه قال
الخلافة بعدی ثلثون سنه وقد تمت بعلی فقال تمرلنك قل علی علی الحق ومعویه
ظالم قلت قال صاحب الهدایه یجوز تقلد القضا من ولاة الجور فان کثیرا
من الصحابه والتابعین تقلدوا القضا من معویه وکان الحق مع علی فی نوبته
فانسر لذلك وطلب الامرا الذین عینهم للاقامه بحلب وقال ان هذین الرجلین
نزول عندکم بحلب فاحسنوا الیهما والی لزامهما واصحابهما ومن ینضم
الیهما ولا تمکنوا احدا من اذیتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما فی
القلعه بل اجعلوا اقامتهما فی المدرسه یعنی السلطانیه التی تجاه القلعه
ففعلوا ما اوصاهم به الا انهم لم ینزلونا من القلعه وقال لنا الذی ولی
الحکم منهم بحلب وکان یدعی الامیر موسی بن حاجی طغای انی اخاف علیکما
والذی فهمته من یاساق تمرلنك انه اذا امر بسوء فعل بسرعة ولا یحید عنه
واذا امر بخیر فالامر فیه لمن ولیه وفی اول یوم من ربیع الاخر برز الی ظاهر
البلد متوجها نحو دمشق وثانی یوم ارسل یطلب علماء البلد فرحنا والمسلمون
فی امر مریج وقطع روس فقلنا ما الخبر فقیل ان تمرلنك یطلب من عسکره روسا
من المسلمین علی عادته التی کان یفعلها فی البلاد التی اخذها فلما وصلنا
الیه جانا شخص من علمایه یقال له المولی عمر فسا لناه عن طلبنا فقال
یرید ان ینتفعکم فی قتل نایب دمشق الذی قتل رسوله فقلت هذه روس
المسلمین تقطع وتحضر الیه بغیر استفتنا، وهو حلف ان لا یقتل احدا صبرا فعاد
الیه ونحن ننظره وبین یدیه لحم سلیق فی طبق یاکل منه فتکلم معه یسیرا

ثم جا، الینا شخص بشی من ذلك اللحم فلم نفرغ من اکله الا وزعجة قایمة وتمر
لنك صوته عال وساق شخص هکذا واخر هکذا وجانا امیر یعتذر ویقول
ان سلطاننا لم یامر باحضار روس المسلمین وانما امر بقطع روس القتلی وان یجعل
منها قبة اقامة لحرمته علی جاری عادته ففهموا عنه غیر ما اراد وانه قد
اطلقکم فامضوا حیث شیتم ورکب تمرلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق
فعدنا الی القلعه ورانا المصلحه فی الاقامة بها واخذ الامیر موسی احسن
الله الیه فی الاحسان الینا وقبول شفاعتنا وتفقد احوال الناس مدة اقامته
بحلب وقلعتها وتجینا الاخبار ان سلطان المسلمین الملك الناصر فرج قد نزل
الی دمشق وانه کسر تمرلنك ومرة یجی بالعکس الی ان انجلت القضیه عن
توجه السلطان الی مصر بعد ان قاتل مع تمرلنك قتالا عظیما اشرف تمر
لنك منه علی الکسر والهزیمه وانما حصل من بعض امرایه خیانه کان
ذلك سبب توجهه اخذا بالحزم ودخل تمرلنك الی دمشق ونهبها وحرقها
وفعل فیها فوق ما فعل بحلب ولم یدخل طرابلس بل احضر له منها مالا ولا
جاوز فلسطین وعاد نحو حلب راجعا طالبا بلاده ولما کان سابع
عشر شعبان من السنة المذکوره وصل تمرلنك عایدا من الشام الی الجبول
شرقی حلب ولم یدخلها بل امر المقیمین بها من جهته بتخریبها واحراق المدینه
ففعلوا وطلبنی الامیر عز الدین وکان من اکبر امرایه وقال ان الامیر رسم
باطلاقك واطلاق من معك واطلب من شیت وکثیر لا روح معکم الی
مشهد الحسین واقیم عندکم حتی لا یبقی من عساکرنا احد وکان القاضی شرف
الدین لا یفارقنی فطلبنا باقی القضاه واجتمع معنا نحو من الفی مسلم وتوجهنا
الی مشهد الحسین صحبة المشار الیه واقمنا ننظر الی النار وهی تضرم فی ارجایها
وبعد ثلاثة ایام لم یبق بها احد فنزلنا الیها فلم نر بها احدا فاستوحشنا وما
قدرنا علی الاقامة بها من النتن والوحشه ولم نقدر علی السلوك فی الطرقات

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر

وكانت نواب بلاد الشام معه ماسورين وانقلبوا اولا باول ومات سودون بالبطن معه في قبة يلبغا واستقر في نيابة دمشق تكرى بردي والله تعالى اعلم هذا ما نقلته من كلام ابن الشحنة كما وجدته

ذكر ورود هذا الخبر الذي اقلق ووصول اسنبغا الدوادار وعبد القصار الى جلق

فورد من حلب اسنبغا الدوادار والفيح الماهر المدعو بمبارك وبعده القصار وقالا معاشر المسلمين الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين من يقتدر على جدا فليطلب لنفسه طريق النجا ومن اطاق ان يشمر ذيله فلا يبيتن في دمشق ليله ولا يغالط نفسه بالمداهنه فليس الخبر كالمعاينه فتفرقت الآرا واختلفت الاهوا وماج امر الناس موجا وتفرقوا كما هو داهم فوجا فوجا فبعض الناس انتصح وجهز امره وانتزح وبعضهم كابر واصر وكثر ابابه لاسنبغا وعبد القصار واهتر وارادوا رجم هذين الناصحين وان يسقوهما كاس حين وقالوا انما اردتما بذلك تبديد الناس وتشريدهم واجلاءهم عن اوطانهم وتجريدهم وتفريق كلمتهم وتمزيق جلدتهم والا فالامن حاصل والسلطان بحمد الله واصل والنواب في حلب كانوا اشر ذمه قليله ولم يتم لهم معه الفكر والحيلة مع انه حصل من بعضهم مخامره ولم يوجد من الباقين مناصحة ومظاهره ولم يكن لهم راس فلا تاخذوا في هذه المسئلة بالقياس واما عساكر مصر فانهم كاملوا العده سابغوا العده وفيهم للمسلمين فرج بعد الشده فالاخير بعد التسا والتي من شره سلمنا وما شهدنا الا بما علمنا وكل منا افصح عما ادى اليه اجتهاده وابان ووالله انه في نصيحة المسلمين للنذير العريان وقد نصحنا كم ان كنتم مفلحين ولكن لا تحبون الناصحين واستمر امر الناس في الترديد والتشاغب والتفرق والتبديد والتشاعب فبعضهم توجه نحو الاماكن القدسيه وتوجه بعض الى الديار المصريه

وبعض تشبث باذيال الجروف العاصيه وتحصن آخرون بالاماكن الغامضه القاصيه

ذكر خروج السلطان الملك الناصر من القاهرة بالجنود الاسلاميه والعساكر

ثم ان السلطان خرج من غير توان وتوجه بالعساكر والاستعداد التام الى جهة بلاد الشام فلما بلغ الناس ذلك سكن جاشهم وزال استيحاشهم وورد غالب من كان نزح منهم وانفرج الكرب والضيق عنهم واما اولوا العزم وذووا الراي السديد والحزم فلم يلتفتوا الى قدوم السلطان بل طلبوا لانفسهم الامان وانتظروا ما يتولد من حادثات الزمان وكان انامل الدهر الداير كتبت على مراة الخاطر ما انشده الشاعر شعر

الا انما الايام ابناء واحد ... وهذي الليالي كلها اخوات

فلا تطلبن من عند يوم وليلة ... خلاف الذي مرت به السنوات

وقلت شعر ان اختفى ما في الزمان الآتي ... فقس على ما مر من اوقات

فصل ولما تحرز تيمور امر حلب ضبط انقالها وما اخذ منها من مال وسلب ووضعه في القلعه ووكل به بعض امرايه من ذوي الشجاعه والمنعه وهو الامير موسى بن طغاى وكان ذا عزم شديد وراي وتوجه بذلك البحر الطام غرة شهر ربيع الاخر الى جهة الشام فوصل الى حماه ونهب ما حوت يداه ولم يحتفل بامر نهب واسير ولا باسراع في مسير بل سار رويدا وهو يكيد كيدا ويكيدون كيدا **حكايه** رايت حين توجهت الى بلاد الروم في اوايل شهر ربيع الاول سنة تسع وثلاثين وثمان مائة عند وصولنا الى حماه بالجامع النوري بها من الجانب الشرقي على حايطه القبلي نقشا على رخامه بالفارسي ما ترجمته سبب تصوير هذا التسطير هو ان الله تعالى يسر لنا فتح البلاد والممالك حتى انتهى استخلاصنا الممالك الى العراق وبغداد فجاورنا سلطان مصر ثم راسلناه وبعثنا اليه قصادنا بانواع التحف والهدايا فقتل قصادنا من غير موجب لذلك وكان قصدنا

حكاية الى ... على الحايط

بذلك ان تنعقد المودة بين الجانبين وتتأكد الصداقة من الطرفين
ثم بعد ذلك بمدة قبض بعض التراكمة على اناس من جهتنا وارسلهم الى
سلطان مصر برقوق فسجنهم وضيق عليهم فلزم من هذا انا توجهنا لاستخلاص
متعلقينا من ايدى مخالفينا واتفق لذلك نزولنا تجاه فى العشرين من شهر ربيع
الآخر سنة ثلث وثمان مائة **فصل** ثم وصل الى حمص فلم يتعرض لها بتشتيت
وتبديد ووهبها لسيدى خالد بن الوليد رضى الله عنه **قلت** بديها شعر

الا لا تجاور سوى الخيرين ... احيا وكن جارهم فى القبور
الم تر حمص وسكانها ... نجوا من تجار بلايا تمور
لانهم جاوروا خالدا ... ومن جاور الاتقيا لا يبور

وخرج اليه شخص من آحاد الناس يدعى عمر بن الرواس فاستجلب
خاطره وكانت قدم اليه تقدمة فاخرة فولاه امور البلد وركن
اليه واعتمد وولى قضا تلك البلاد رئيسا يدعى شمس الدين ابن الحداد
ونادى بالامان للقاصى والدان وتبايعوا بها وتشاروا وفى استفادة
ربح الامن لم يتماروا ثم ان نايب الشام ضعف معه ومات على قبة يلبغا
ونايب طرابلس هرب منه وللخلاص ابتغى فوصل الى مدينته واستقر فى
ولايته فاضطرم غضبا واستشاط لهبا واشتعل نار غيظه وقتل
كل من وكله بحفظه واستعبدهم سفرا وكانوا ستة عشر واما مرداش
فانه داراه ومارى وهرب منه فى قارا واستمر علا الدين التونبغا العثمانى
نايب صفد وزين الدين نايب غزة وغيرهما معه فى صفد ثم سار وما ارتبك
حتى نزل على بعلبك فخرج اهلها ودخلوا عليه وتراموا طالبين الصلح
بين يديه فلم يلتفت الى هذا المقال وارسل فيهم جوارح النهب والاستيصال
وقرب السلطان ايضا ثم ارتحل بحرا بذلك البحر الزخار والسيل التيار
والطوفان الزنار حتى اشرف على دمشق من قبة سيار ووصلت العساكر

ص ... التراكمة على ... من جهتنا

المصرية والجنود الاسلامية وقد ملأوا الفضا واشرق الكون منهم واضا
فبالوق سهامها الحبب فلب من نوى الخلاف فالقه وصواعق سيوفها فى عقاص
كل عقص صاعقة ونصال رماحها لرتق سما الارواح عن ارض الاشباح
فاتقه وقد طلبوا الاطلاب وحزبوا الاحزاب وعبوا الميمنة
والميسرة ورتبوا المقدمة والمؤخرة وسووا القلب والجناح وملأوا
البطاح والبراح وساروا بالمقانب المكتبة والكتايب المقنبة والمواكب
المركبة والمراكب المكوكبة والمرات المقربة والقربات المرتبة
والسلاهب المجنبة والنجايب التى هى على اكل اللجم متلهبة وفى كل
كتيبة من الاسود الضراغم ومن النسور القشاعم **قلت** شعر

ورب ذى لجب كالطود ذى حنق ... كانه البحر فى اثناه غابات
بحران فى كل موج منهما اسد ... يلاعب الموت فى كفيه حيات
كل يرى العين معناه وصورته ... عند النزال وان ينزل فسطوات
ان يتلو النسما فى الارض دايرة ... او سار تعقد ارضا منه غبرات

وقد تنكبوا احنايا المنايا وتقلدوا سيوف الحتوف واعتقلوا الذوابل
النواهل وثبتوا حيث نبتوا وكانهم خلقوا من كواهل الصواهل **قلت** شعر

كان الجو ثوب لازوردى ... يزركش نسجه قصب الرماح
فان عقد القتام عليه ليلا ... ارتك صفاحه لمع الصباح
وكان نجومه النشاب ترمى ... شياطين الكفاح لدى النطاح

ولا زالت افواج هذه الامواج على هذا المنهاج متلاطمة واثباج هذا
البحر العجاج تحت العجاج متصادمة وكل ينادى بطريق المفهوم وما منا الا
له مقام معلوم فوصلت غيلان الوغى الى قبة يلبغا يوم الاحد العاشر
من شهر ربيع الآخر عام ثلثة وثمان مائة من الهجرة فنزل كل من العساكر
يمنة ويسرة واستقرت العساكر والامرا الاسلامية فى الدور والمساكن

ونزلت الجنود التتارية غربي دمشق من داريا والى قطنا والحولة وما يلي تلك
الاماكن. ودخل بعض اثقال السلطان الى البلد. وتحصنت القلعه
والمدينه بالسلاح والعدد. ثم اخذ كل من الجيشين حذره. وتجرد للمقابلة
والمقاتله امره. وحفروا الخنادق. وشد كل على الآخر انواه المضايق.
وشرعوا في المهاوشة والمناوشه. والمهارشة والمعانشه. ثم امر السلطان
العساكر. بالبروز من المدينة الى الظاهر. وجعل يخرج من المدينة روساء
اعيانها. وتجار في المقاتلة الى سلطانها. والاطفال الصغار يجارون
الى الجبار. وينادون بحرقه. كل ليلة في الازقه. يا الله يا رحمن. انصر
مولانا السلطان. والناس في اضطراب وحركات. يستنزلون النصر
والبركات. ويستغيثون الليل والنهار. يا مجاهدون الاسوار. واستشهد
من روساء البلد في تلك الايام. قاضي القضاه برهان الدين التاذلي المالكي
الحاكم بالشام. وشلت يد قاضي القضاه شرف الدين عيسى المالكي بضربة
حسام. وجعلوا ياتون بمن يظفرون به من العدو فيقتلونه. وبما غنموا منهم
من ناطق وصامت فيشهرونه. **ذكر واقعة وقعت. ومعركة صدعت. لو انها**
نفعت. ثم في بعض الايام. تقدم من اولئك الاغنام. نحو من عشرة آلاف. ودخلوا
الى ميدان المصاف. فنهض لهم من العساكر الشامية. نحو من خمسمائة.
ثم اتبعهم الامير استنباي في نحو من ثلثمائه. **قلت**

اسود اذا لاقوا. ظباء اذا اعطوا.
جبال اذا ارسوا. بحار اذا سروا.
شموس اذا لاحوا. بدور اذا انجلوا.
رياح اذا هبوا. غمام اذا هموا.
صقور اذا انقضوا. نسور اذا سموا.
رعود اذا صاحوا. صواعق ان رموا.

مع كل

مع كل منهم خطار تسجد قدود الملاح لخطراته. وبتار يتعلم سفك الدماء
من لحظاته. وجنة تضاهي حاجبه. وسهام في تشبهها باجفانه صائبه.
وترس لين اللمس. اذا تغطى به رايت البدر على الشمس. وعليه خوذه.
كانها من لمعات وجنته ماخوذه. او من بوارق طلعته مفلوذه. اذا نظر
الطرف اليها ياخذ الانبهار. يكاد سنا برقها يذهب بالابصار. ولبوس
اشبه لابسه. وصار ملابسه. ظاهره حرير ناعم كبشرته. وباطنه
حديد كقلبه في قسوته. وقد امتطوا الفحول. من نجايب الخيول. فكان
بدور تلك الجموع. مع الرماح الملتهبة الاسنه عرش تجلى تحت الشموع.
وتوجهوا الى حومة الوغى. وتلاقوا في واد خلف قبة يلبغا. **فصل**
ولما رات هذه الاسود تلك الذياب والكلاب كانوا كالمومنين وقد
راوا الاحزاب. فبان منهم صحيح الضرب وعليله. وقالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله. فاحاط اولئك بهولاء لكثرة الغلبه. وادار والقرضهم
على هذه البحور الداير المجتلبه. وحين صاروا في خباء هذه الدايرة
كالعروض. اشتغلوا بالضرب وتقطيع الداير بالحرب العضوض.
فاول ما اضمروا لهم في ذلك الزحف. قطع الراس وخبل العقل وقطف
الكف. فصلوا بالرمح الطويل عقلهم. وثلموا بالرشق المديد شكلهم.
وبتروا بالعضب البسيط وافرهم. وشتروا بالسهم السريع كاملهم. فجذوهم
وقصموهم. وخرموهم وخرموهم. وشعثوهم وثرموهم. وجموهم
ووقصوهم. وعصبوهم وعقصوهم. وخزلوهم ونقصوهم. فردوا
صدورهم على الاعجاز. وشدوا على حقيقة الخلاص عليهم المجاز. فانكشفوا
عنهم وهم ما بين مشطور ومقطوع ومحذوف. ومخروق ومنهوك وموقوف.
ورجع استنباي المشار اليه وقد اقتضب بحربه المتدارك خفيفهم. واجتث
بضربه المتقارب المتماسك ثقيلهم وخفيفهم. ونسبغ سوابغهم بالنصر

مرفل وبالتمكين التام مذيل وبيت داير بهم المتفقة آمن من الخلل وعروضه
وضربه سالم من الزحاف والعلل ذكر ما افعله سلطان حسين
ابن اخت تيمور من المكر والمين ثم ان سلطان حسين وهو ابن اخت تيمور اظهر
انه خامر على خاله وجا الى السلطان وفي باطنه امور وكان شابا ذا شجاعه
وعنده طيش ورقاعه فاظهروا ابتهاجهم به الفرح واستشعروا النصر والمرح
وكان في راسه جمة شعر فازالوه وخلعوا عليه وفي زيهم اظهروه فصل
ثم ان تيمور اشاع انه خار وتعتع فرحل قليلا ورجع القهقرى وتكعكع كل
ذلك من مكايده وحبايل مصايده ذكر ما نجم من النفاق بين العساكر
الاسلاميه وعدم الاتفاق وكان اتابك العساكر وكافل الممالك
الناصري الامير الكبير ايتمش بيك وتحت يده الاكابر والاصاغر والجند وان
كان مدده كثيرا والجيش وان ترأى عدده غزيرا لكن كان كل منهم اميرا
ولم يكن شي منهم سوى الراس صغيرا فتشتت آراؤهم وتصادمت اهواؤهم
وانتقلت اشعار شعارهم من الدايرة المؤتلفه الى الدايرة المختلفه
ونقل كل منهم وزن بيته الى عروض واخذ في عرض صاحبه بالتقريض
وظهرت في تلك الساعة آيات الرحمن في اختلاف الالسنة والالوان
وصاروا في رعاية الرعيه كالذيب والضبع وتسلطوا على رعي هزيلها النمر
الغضوب والسبع ولحق في سند هذا الحديث الاصاغر بالاكابر
والاسافل بالاعالي والاوايل بالاواخر وصاروا كما قال الشاعر شعر
تفرقت غنمي يوما فقلت لها يا رب سلط عليها الذيب والضبعا
وتوجه منهم رؤس الى القاهره تاركا كل منهم مؤنته وناصره وصدقوا
تيمور في نفيه عنهم معرفة السياسه والدربة في سلوك طرايق الرياسه
فصل ولما علم الغابرون ما فعله السايرون لم يسعهم غير تشمير الذيل
واتباعهم تحت جنح الليل ومن تخلف عن القوم او اخذته سنة او نوم

وقع في الشرك وهوى به الى اسفل الدرك وكان الناس في الليل والنهار
ملازمين الاقامة على الاسوار وكل قد فرح وابتهج وتيقن انه قد حصل له من
سلطانه فرج ففي بعض الليالي صعد الناس الى مكان عال واذا بما كان
مخيم السلطان قد ملئت من النيران ولم يعرف احد ما الخبر غير ان الدنيا
ملئت بالشر والشرر واصبحوا وقد خلت الديار ولم يبق في قبة يلبغا نافخ
نار فخشعت اصواتهم وسكنت حركاتهم فجعلوا ايتها فتون وفيما بينهم
يتخافتون وماج الشر واضطرب وقال الناس السلطان هرب فانقصم
ظهر الناس وايقنوا حلول الباس وتفاقمت الهموم وتعاظمت الغموم
وتقطعت بهم الاسباب وشمل الخلايق انواع العذاب وضاقت الحيل
كالصدور وتخبطت الاوامر والامور فصل ثم ان تيمور حمد ربه ورحل
من مكانه ونزل القبه والقى عصاه ونام مستريحا على قفاه ونادى بمعنى ما قلت
شعر الحمد لله نلنا ما نؤمله والصد ادبر والمامول قد حصلا
وحفر الخنادق حوله وبث في الاطراف رجله وخيله وارسل الطلب وراء
من هرب وصار كلما اتي باحد من احاد الرجال امر بالقايه بين يدي
تلك الافيال فتفعل معه الافيال في تلك الفلاه ما يفعله المواشي يوم
القيامة في مانع الزكاة فصل فاما السلطان فانه لم يصبه من احد ضيم
لانه تنشر نشور الغيم وانساب انسياب الايم وتوجه على وادي التيم
فانتشرت شياطين تيمور في الارض وملات الطول والعرض ووصلت
طراشتهم الى اطراف البلاد وضواحيها وعامة القرى ونواحيها وجعلوا
من كل حدب ينسلون في مشارق الارض ومغاربها التي بارك الله فيها
وتقدموا الى المدينه وكانت كما ذكر بالاهبة حصينه وبانواع الاستعداد ذات
مكينه مسدولة الحجاب مغلقة الابواب فتمنع اهلها عليهم ولم يسلموها
اليهم رجا ان يتمتعوا من النجدة الارج او من الله عليهم بعد هذه الشدة بفرج

فاستمروا على ذلك نحواً من يومين ثم استيقنوا من رجائهم الخيبة ومن ظنهم المين وكان قدوم السلطان وذهابه بالعساكر كما قال الشاعر شعر

كما ارتقب قوم عطاشا غمامة ... فلما رأوها اقشعت وتجلت

ذكر خروج الأعيان، بعد ذهاب السلطان، وطلبهم من تيمور الأمان،

ولما خانتهم الظنون وعلموا انه حل بهم ريب المنون اجتمع من المدينة الكبراء والموجود من الاعيان والرؤساء وهم قاضي القضاة محيي الدين محمود بن العز الحنفي وولده قاضي القضاة شهاب الدين وقاضي القضاة تقي الدين ابرهيم بن مفلح الحنبلي وقاضي القضاة شمس الدين محمد الحنبلي النابلسي والقاضي ناصر الدين محمد بن ابي الطيب كاتب السر والقاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير وكان منصب الوزارة اذ ذاك له انهدما في الجملة والشيخ شهاب الدين بن الحسباني الشافعي والقاضي برهان الدين بن القوشه الحنفي نائب الحكم رحمهم الله فاما القاضي الشافعي وهو علاء الدين ابن ابي البقاء فانه هرب مع السلطان وقاضي القضاة المالكي وهو برهان الدين التاذلي فانه استشهد كما ذكر فخرج هولاء الاعيان وطلبوا منه الامان بعدما وقع منهم المشاورة والاتفاق ونظمت كلمتهم في سلك الوفاق

فصل ولما اقلع السلطان بفلك عساكره المشحون وقع في بحر العساكر التيمورية قاضي القضاة ولي الدين ابن خلدون وكان من اعلام الاعيان وممن قدم مع السلطان فلما فقد السلطان وفرك كانه كان غافلا فوقع في الشرك وكان نازلا في المدرسة العادلية فتوجه هولاء الاعيان اليه في تدبير هذه القضية فوافق فكره فكرهم فملكوه في ذلك امرهم وما وسعهم الا استصحابه معهم وكان مالكي المذهب والمنظر اصمعي الرواية والمخبر فتوجه معهم بعمامة خفيفة وهيئة ظريفة وبرنس كهو رقيق الحاشية يشبه من دامس الليل الناشية فقدموه بين ايديهم ورضوا باقواله وافعاله لهم وعليهم وحين دخلوا عليه

وقفوا

وقفوا بين يديه واستمروا واقفين وجلين خائفين حتى سمح بجلوسهم وتسكين نفوسهم ثم هش اليهم ومن ضاحكا عليهم وجعل يراقب احوالهم ويسبر بمسبار عقله اقوالهم وافعالهم ولما رأى شكل ابن خلدون لشكلهم مباينا قال هذا الرجل ليس من هاهنا فانفتح للمقال مجال فبسط لسانه وسيذكر ما قال ثم طووا بساط الكلام ونشروا سماط الطعام فكوموا ابلا لا من اللحم السليق ووضعوا امام كل ما به يليق فبعض تعفف عن ذلك تنزها وبعض تشاغل عن الاكل بالحديث ولها وبعض مد يده واكل وما جبن في مصاف الالتهام ولا نكل والى الاكل ارشدهم وناداهم وانشدهم شعر

كلوا الاكل من ان عاش خبر اهله ... وان مات يلقى الله وهو بطين

وكان من جملة الآكلين قاضي القضاة ولي الدين كل ذلك وتيمور يرمقهم وعينه للخزر تسترقهم وكان ابن خلدون ايضا يصوب نحو تيمور الحدق فاذا نظر اليه اطرق واذا ولى عنه رمق ثم نادى وقال بصوت عال يا مولانا الامير الحمد لله العلي الكبير لقد شرفت بحضوري ملوك الانام واحييت بتواريخي ما ماتت لهم من ايام ورأيت من ملوك العرب فلانا وفلانا وحضرت كذا وكذا سلطانا وشهدت مشارق الغرب ومغاربها وخالطت في كل بقعة اميرها ونائبها ولكن لله المنة اذ امتد لي زماني ومن الله علي بان احياني حتى رأيت من هو الملك على الحقيقة والمسلك بشريعة السلطنة على الطريقة فان كان طعام الملوك يوكل لدفع التلف فطعام مولانا الامير يوكل لذلك ولنيل الفخر والشرف فاهتز تيمور عجبا وكاد يرقص طربا واقبل بوجه الخطاب اليه وعول في ذلك دون الكل عليه وساله عن ملوك الغرب واخبارها وايام دولها وآثارها فقص عليه من ذلك ما خرج عقله وخلبه وحلب لبه وسلبه وكان تيمور في سير الملوك والامم امة واما التاريخ شرقا وغربا وامة وسيذكر لهذه المعاني بديع بيان

فصل وبينما هم

يوما قاعدون في حضرة ذلك البصير، واذا بالقاضي صدر الدين المناوي
في ايديهم اسير، وكان قد تبع السلطان في الهرب، فادركه في ميسلون
الطلب، فقبضوا عليه، واحضروه بين يديه، واذا هو بعمامة كالبرج،
واردان كالخرج، فتخطى الرقاب، وجلس من غير اذن فوق الاصحاب،
فاستشاط تيمور غضبا، وملا المجلس لهبا، وانتفخ سحره، وشجر غيظا نحره،
وشخر ونخر، ومخر بحر حنقه وزخر، وامر طايفة من المعتدين بالتنكيل
بالقاضي صدر الدين، فسحبوه سحب الكلاب، ومزقوا ما عليه من ثياب،
واوسعوه سبا وشتما، واشبعوه ركلا ولكما، ثم امرهم بتشديد اسره،
وتحديد كسره، وترادف الاساءة اليه، وتضاعف الكربات على رغم
النصر يقيين عليه، فاخرج اخراج الظالم، يوم يولي مدبرا ما له من
الله من عاصم، ثم تراجع تيمور الى ما كان فيه، من ترتيب غوايله ودواهيه،
فالبس كلا من هولاء الاعيان خلعة، واقام عنده في عزة ورفعة، ثم
ردهم منشرحي الصدور، في رغد وسرور، وفي خاطرهم شرور، وامور تمور،
فساروا، وقد صاروا، قلت شعر

كالهدي نية المهدي وعظمه ، وعن قريب لضيف الموت اطعمه

وشرط لهم ولذويهم الامان، على ان يدفعوا اليه اموال السلطان، وما
له وللامراء من اثقال، وتعلقات واموال، ودواب ومواش، ومماليك
وحواش، ففعلوا ما به امر، ورفعوا اليه ما بطن من ذلك وما ظهر،
فاما القلعة فانها استعدت للحصار، وكان نايبها يدعى ازدار،
فحصنها، وبالاهبة الكاملة مكنها، وانتظر من السلطان نجدة، او مانع
رباني يفرج عنه الشدة، فلم يلتفت تيمور في اول الامر اليها، ولا
احتفل بها ولا عرج عليها، بل صرف همه الى تحصيل الاموال، وتوسيق
الاحمال بالاثقال، فلما حصل النقل، والى خزانته انتقل، طرح على

المدينة

المدينة اموال الامان، واستعان على استخلاصها بهولاء الاعيان، واقام عليهم
دواوينه وكتبته، واهل الضبط والخرص من مباشريه وحسبته، وفوض
ذلك الى كفاية الله داد، احد اركان دولته ومن عليه الاعتماد، وهو اخو
سيف الدين المار ذكره في اول الكتاب لامه، واقام معهم كل جبار عنيد ومن
نشا في حجر الفظاظة ورضع ثدي ظلمه، ونادى بالامان والاطمينان،
وان لا يبغي انسان على انسان، فمد بعض الجغتاي يدهم الى غاره، بعد ما سمعوا
هذا الندا واشتهاره، فبلغ ذلك تيمور، فامر بصلبهم في مكان مشهور، فصلبوهم
في الحريريين، براس سوق البزوريين، ففرح الناس بهذه الفعله، واملوا
خيره وعدله، وفتحوا من ابواب المدينة باب الصغير، وشرعوا يحررون امر
المدينة على النقير والقطمير، فوزعوا هذه الاموال على الحارات، ونادى
اهل الظلم والعدوان من القريب والغريب بالثارات، وجعلوا دار الذهب
مكان المستخلص، وطفقوا يلقون الناس في ذلك المقنص، وتسلط بعض الناس
على البعض، واصطاد ارانب الارض بكلاب الارض، وكان فصل الخريف لجيش
مصر قد قتل، وفصل الشتاء بزمهريره لجند تيمور بنيرانه على العالم قد نزل،
فانتقل الى القصر الابلق، ثم الى بيت الامير بتخاص وامر بالقصر ان يهدم ويحرق،
ودخل الى المدينة من باب الصغير، في جمع كثير، وصلى الجمعة في جامع بني امية،
وقدم الحنفية على الشافعية، وخطب به قاضي القضاة محيي الدين محمود
ابن العز الحنفي المذكور، وجرى ما يطول شرحه من امور وشرور، ووقع بين
عبد الجبار بن النعمان الخوارزمي المعتزلي، وبين علماء الشام لا سيما قاضي القضاة
تقي الدين ابرهيم بن مفلح الحنبلي مناظرات ومنافسات، ومباحثات ومراجعات،
وهو في ذلك كترجمانه، يخاطبهم في جميع ذلك بلسانه، فمنها وقايع
علي ومعويه، وما مضى بينهم في تلك القرون الخالية، ومنها امور يزيد وما
يزيد، وقتله حسين السعيد الشهيد، وان ذلك ظلم وفسق بلا نكير، ومن استحله

او اخوه نجم الدين

فهو واقع في الكفر، ولا شك ان ذلك الفعل الحرام، كان بمظاهرة أهل الشام،
فان كانوا مستحليه فهم كفار، وان كانوا غير مستحليه فهم عصاة وبغاة،
واشرار، وان الحاضرين على مذهب الغابرين، فحصل منهم في ذلك انواع الاجوبه،
فمنها ما رده ومنها ما اعجبه، الى ان اجاب كاتب السر واجاد، واصاب فيما
قال لو افاد، اطال الله الكبير، بقا مولانا الامير، اما انا فنسبي متصل بعمر
وعثمان، وان جدي الاعلى كان من اعيان ذلك الزمان، وحضر تلك الوقايع
وخاض هاتيك المعامع، وكان من رجال الحق، وابطال الصدق، ومما تواتر
من فعله، ووضعه الشي في محله، انه توصل الى راس سيدنا الحسين، ونزهه
عما حصل له من ابتذال وشين، ثم نظفه وغسله، وعظمه وقبله، وطيبه
وجلله، وواراه في تربه، وعد ذلك عند الله تعالى من افضل قربه، فلذلك
ايها الهمام الصيب، كنوه بابي الطيب، وعلى كل تقدير يا مولانا الامير،
فتلك امة قد خلت، وهموم غمام غمومها انجلت، وبما جرت انقضت وبما
اذاقت مرت او حلت، وقد اراحنا الله اذ اراحنا عنها، ودما طهر الله سيوفنا
منها، واما الساعه، فاعتقادنا اعتقاد اهل السنة والجماعه، فلما سمع
هذا الكلام قال يا لله العجب، وما سميتم باولاد ابي الطيب الا لهذا السبب،
قال نعم ويشهد لي بذلك القاصي والداني، وانا محمد بن عمر بن محمد بن ابي القسم
ابن عبد المنعم بن محمد بن ابي الطيب العمري العثماني، فقال لك المعذره يا طاهر
الاسلاف، لولا اني ظاهر العذر لحملتك على عاتقي والاكتاف، ولكن ستري
ما افعله معك ومع اصحابك من التكريم والالطاف، ثم انه ودعهم،
وبالتعظيم والاحترام شيعهم، ومنها انه سالهم كنايه، سؤال اضرار ونكايه،
فقال ما اعلى الرتب، درجة العلم او درجة النسب، فادركوا قصده وفهموا،
ولكن عن رد الجواب وجموا، وعلم كل منهم انه ابتلي، فابتدر الجواب القاضي
شمس الدين النابلسي الحنبلي، وقال درجة العلم اعلى من درجة النسب،

ومرتبتها

ومرتبتها عند الخالق والمخلوق اسنى الرتب، والهجين الفاضل يقدم على الهجان الجاهل،
والمقرف المنيف، اولى للامامة من النسيب الشريف، والدليل في هذا جلي،
وهو اجماع الصحابة على تقديم ابي بكر على علي، وقد اجمعوا ان ابا بكر اعلمهم،
واثبتهم قدما في الاسلام واقدمهم، واثبات هذه الدلاله، من قول صاحب
الرساله، لا تجتمع امتي على الضلاله، ثم اخذ في نزع ثيابه، مصيخا لتيمور
وما يصدر من جوابه، ففكك ازراره، وقال لنفسه اما انت غاره، وكاس
الموت لا بد من شربها، فسوا ما بين بعدها وقربها، والموت على الشهاده،
من افضل العباده، واحسن احوالها لمن اعتقد انه الى الله صاير، كلمة حق
عند سلطان جاير، فسال ما تفعل هذا المهمل، فقال يا مولانا الجليل،
ان فرق عساكرك كامم بني اسرائيل، وفيهم من ابتدعوا ابدعا، وتقطعوا في مذاهبهم
قطعا، وفرقوا دينهم وكانوا شيعا، ولا شك ان مجالس حضرتك تنقل
وعقايل مباحثها تحل الصدور فتعقل، واذا نبت هذا الكلام عني، ووعاه
احد غير سني، خصوصا من ادعى موالاة علي، وتسمى في رفضه ابا بكر
بالرافضي، وتحقق مني بقيني، وانه لا ناصر لي يقيني، فانه يقتلني جهارا،
ويريق دمي نهارا، واذا كان كذلك، فانا استعد لهذه السعاده،
واختم احكام القضا بالشهاده، فقال لله هذا ما افصحه، واجراه في
الكلام واوقحه، ثم نظر الى القوم، وقال لا تدخلن هذا علي بعد اليوم،
فصل وهذا الرجل اعني عبد الجبار كان عالم تيمور وامامه، وممن يخوض
في دماء المسلمين امامه، وكان عالما فاضلا، فقيها كاملا، بحاثا محققا،
اصوليا جدليا مدققا، وابوه النعمان في سمرقند كان، وهو في الفروع
من اعلم اهل الزمان، حتى كان يقال له النعمان الثاني، وكان من القايلين بعدم
الرؤية في الاخرى، فاعمى الله تعالى بصره كبصيرته في الدنيا، واكثر علماء
عصره بما وراء النهر قرا عليه الفروع، ونقل عنه مسايل المشروع، ولا خلاف

فى الفروع بين اهل السنة واهل الاعتزال • وانما اختلافهم فى اصول الدين فى
مسايل معدودة سلكوا فيها سبيل الضلال **فصل** وتصدى لاستخلاص
الاموال من اهل الشام كل غشوم ظلام • وكفور صدام • ومن كان فى
قلبه وفاقه • كصدقه بن الحابى وابن الحموت وعبد الملك بن التكريتى المنبوذ
بشقاقه • وغيرهم من نظرايهم • من عواقب الظلم وانبايهم • مع حضور
اكابر المدينه واعيانها • المار ذكرهم ورؤسا قطانها • فانه لم يمكنهم
فى ذلك ان يتخلفوا • ولا ينفاعسوا الخطة ولا يتوقفوا • وبحضور دواوينه
وحسابه • وضابطى امور خزاينه وكتابه • ومنهم خواجه مسعود
السمنانى ومولانا عمر وتاج الدين السلمانى • كل ذلك فى دار الذهب
وهو مكان مشهور • ونزل الله داد داخل باب الصغير فى دار ابن مشكور •
وجعل كل من فى قلبه من احد ضغينه • او سخيمة دفينه • او غل او
حسد او حقد او نكد • يغمز عليه اوليك الظلمه الفظاظ • والزبانية
الشداد الغلاظ • وجعلوا • **شعر**

لا يسلون اخاهم حين يندبهم • فى النايبات على ما قال برهانا •
بل بادنى اشاره • واقل عباره • يبنون على ارض وجود ذلك المستكين من جبال
النكال قصورا شواهق • ويبنون على حدايق ذاته من سما العذاب سحاب
عقاب ترعد عليه صواعق • وتبرق له من الدمار والبوار بوارق **فصل**
ثم انه صار فى هذه المده • يحاصر القلعه ويعد لها ما استطاع من عده •
وامر ان يبنى مقابلها بنا يعلوها • ليصعدوا عليه فيهدوها • فجمعوا الاخشاب
والاحطاب وعبوها وصبوا فوقها الاحجار والتراب ودكوها • وذلك من
جهة الشام والغرب • ثم علوا عليه وناوشوها الطعن والضرب • وفوض
امر الحصار • لامير من امرايه الكبار • يدعى جهان شاه • فتكفل بذلك وعاناه •
ونصب عليها المجانيق • ونقب تحتها وعلقها بالتعاليق • وكان فيها من المقاتله •

فيه غير طايله • امثلهم شهاب الدين الزردكاش الدمشقى • وشهاب الدين
احمد الزردكاش الحلبى • فابليا فى اهلاك عسكره بلا انحشا • وكانا على
جيشه كلما فاتى الى قتالهم وبامصيه وفنا • فاهلكا من جيشه بالاحراق
وارعاد المدافع والابراق • ما فات العد • وتبدد عن دايرة الحد • ولكنه
لما احاط بها من بحار بحريته سيل عرم سايلها • وامطر عليها من سهام غمام
رماته وصواعق بوارق كماته صيب وابلها • اتاها العذاب من فوقها
ومن تحتها وعن ايمانها وعن شمايلها • وكلت عن الحمايه والممانعه ايدى مقاتليها •
فطلبوا الامان • ونزلوا اليه من غير توان • وكل هذا الامر المهول والقضا
العجب • فى اواخر شهر ربيع الاخر وجمادين وشهر رجب • ولكن ما نال من
القلعه روما • الا بعد محاصرتها ثلثة واربعين يوما • وصار فى هذه المده
يتطلب الافاضل • واصحاب الحرف والصنايع وارباب الفضايل • وتنسج
الحريريون له قبا بالحرير والذهب • ليس له درز فاذا هو شى عجب • وبنى فى
مقابر باب الصغير قبتين مثلا صفتين على تربة زوجات النبى صلى الله عليه
وسلم • وامر بجمع العبيد الزنج واعتنى بجمعهم اكثر من غيرهم وقدم ذكر ما
صنعه بعض الاكياس من الناس خوفا ان يحل به الباس ووقى نفسه يشبه
النفوس والانفاس • وكان فى صفد • تاجر من اهل البلد • احد الرؤساء
والتجار • يدعى علا الدين وينتسب الى دوادار • كانه تقدمت له خدمه
على السلطان • فولاه حجبة ذلك المكان • فلما توجه النواب الى حلب •
والعاده ان ينوب عن نايب البلد فى غيبته من حجب • ناب عن نايب صفد
التونبغا العثمانى حاجبها علا الدين الدوادارى • فغرق فى اسر
ذلك الطوفان • كل النواب ومن جملتهم العثمانى وابن الطحان • ومات منهم
من مات وفر من فر • واستمر فى قيد الاسر التونبغا وعمر • فلما قدم تيمور
الشام • وحل بها منه ما حل من قضاه السوء باموال الايتام • شرع كل

متولٍ في بلاد، يفعل ما ادى اليه الاجتهاد، فبعض حصّن اماكنه، وبعض
كمن كمانيه، وطايفة استعجزت للبقار، وفرقة استوفزت للفرار، وقوم
سالموا وساكنوا، وهادوا وهادنوا، ففكر علاء الدين المذكور وقدّر،
وتأمل في خلاص صاحبه وبلده وتبصّر، وكان من ابناء الناس، وعنده ذوق
الاكياس، واستشار مصيب عقله في ذلك واستنطقه، فقال داره بما
معك من مال، واترك شرب القراز ونفقه، وما كذبه اذ قال له كل
مداراه عن العرض ستر له وصدقه، وكان ذا مال ممدود، فقال يا ادخرت
الدنانير الصفر والدراهم البيض الا للايام السود، فطلب من تيمور الرياضه،
واراد ان يجتر اولا بمجاملته المخاصه، فعالج هذا الامر علاج النطس المريض،
وبادر بالمهادنة حول الجريض دون القريض، وارسل اليه احناشا من ماله
الطويل العريض، واستمال خاطره، واستدعى اوامره، ثم اردفها باضعافها،
واضعف خواطرها بارادفها، فشكر تيمور له صنعه، وزاده ذلك عنده
منزلة ورفعه، وارسل اليه مرسوم امان، وان يعامل هو واهل بلده بالمجامله
والاحسان، فليؤمن روعهم، وليسكن جنبتهم ونوعهم، وليونس وحشتهم
وليذهب دهشتهم، بحيث انهم يتبايعون ويتشارون، والى معاملهم من
عساكره يتجارون، وان استطال احد من اجناده، ولو انه من اخوته واولاده،
فليقابله بالمنع والانكار، والضرب والاشهار، وصار يطلب منه ما اراده
فيرسله اليه بزياده، وكلما زاد فيما يقترح عليه من نقد وجنس طلبا
زاد علاء الدين لذلك نشاطا وطربا، ومن جملة ما اقترح عليه في ذلك
المقتضى، حمل بصل ابيض، بناء على ان ذلك لا يوجد في الشام بانزها فضلا
عن صفد، ففي الحال وجد من ذلك ثلاثة احمال، فارسلها اليه كما هي،
وكان ذلك من الفضل الالهي حتى اجده وتمنى قربه، وقال فيه معنى ما قلت شعر

دارت وقتك واحميت ببذل مالك يا بشر

لو كان مثلك آخر في الشام ما شمت بشر

وتوجه طوايف من العسكر اليهم، وبا غوامنهم واستروا عليهم، واستمرت
عقود المصادقه لم تحل، الى ان قوض خيامه عن دمشق ورحل، فلما اقشع
عن الشام ضباب ضيره، وامتد في ميدان الرحيل حبل سيره، اعفت علاء الدين
الدواداري، قاصدا الى ذلك الاسد الضاري، ومعه تحف سنيه، وتقف
ملوكيه، ومطالعة فحاويها رايقه، ومعانيها فايقه، والفاظها بالخضوع
والخنوع ناطقه، فيها من الترفقات ما تقشعر منه الجلود، ويلين له الحديد
والصخر الجلمود، ويجري في الابدان اليابسه جري الما في العود، وطلب في
اثنايها مراحمه في امر العثماني وابن الطحان، وحرر ناصيه عبوديتهما بمقراض
الاعتاق والامتنان، وان يجعل العفو عنهما شكر القدره، ويفيض عليهما
من بحار مراحمه قطره، وانهما اقل من ان ينتسبا الى اسره، اذ ملوك الارض
تود لو كانت اطفالا تحت حجره، ورايه الشريف اعلى، وامتثال ما يبديه من
المراسيم اولى، فلما اطلع تيمور على فحواه، وفهم ما ابداه وما انهاه، وشاهد
تحفه وهداياه، وتفكر في اول امره ما الحمه معه من الخدم وما اسداه،
والخير له تاثير، والبادي اكرم، والشر كله تقصير والبادي اظلم، قلت
ترقب جزا الحسنى اذا كنت محسنا، ولا تخش من سوء اذا انت لم تسي، وقيل
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه، لا يذهب العرف بين الله والناس
لان قلبه وان كان حديدا، وهان صعبه وقد كان شديدا، فدعاهما واكرم
مثواهما، واحسن اليهما، وذكر لهما شفاعة علاء الدين فيهما، ثم امنهما الناس
واعطاهما ثلاثه افراس، للعثماني اثنان، وواحده لعمر بن الطحان، ثم اضاف
اليهما من ابلغهما المامن، فوصل كل منهما الى دار عزته، وحل ذاك في
صفد وهذا في غزته، ولما تجهز تيمور اخذ القلعه، جهز امره ورام
الرجعه، وقد استخرج مهما اراد من نفايس واموال، بانواع العقاب واصناف

فضل صح

العذاب والنكال ذكر معنى كتاب ارسل اليه على يد بيسق من بعد ما
فر وامن بين يديه، وقيل ان السلطان لما هرب، ارسل اليه كتابا اقام
فيه عليه الحرب، فمن معناه، وفحوى ما عناه، لا تحسب انا عجزنا منك، او فررنا
عنك، وانما بعض مما لديكما قوى انفاسه، واخرج عن ربقة الطاعة راسه،
وتصور ان كل من خرج عرج، ولم يعتبر بمن رام للارتقا سلما فدرج،
واراد بذلك مثلك القا الفساد، وهلاك العباد والبلاد، وهيهات فان
دون مرامه خرط القتاد، والكريم اذا بدا بجسمه مرض داوى الاخطر
ورايناك انت اهون الخطرين واحقر، فثنى عزمنا الشريف عنانه، ليعرك من
ذاك القليل الادب آذانه، ويقيم في نظم طاعته ميزانه، وايم الله لنكرن
عليك كر الاسد الغضبان، ولنوردن منك ومن عسكرك نواهل القنا موارد
الاضغان، ولنحصدنكم حصد الهشيم، ولندوسنكم دوس الحطيم،
فلتلفظنكم رحى الحرب في كل طريق، لما تعانون من غلظ الطعن وجليل
الضرب لفظ الدقيق، ولنضيقن عليكم سبل الخلاص، فلتنادن ولات حين
مناص، او نحو هذه الترهات، ومثل هذه الخرافات، التي هي كالملح على الجروح،
وكالنزع عند خروج الروح، ولو كان بدل هذا الكلام الذي لا طائل فيه،
والخطاب الهذيان الذي تمجه الاذن وترميه، ما يستميل خاطره، ويطفي من
لهيب غضبه النائرة، مع شي من الهدايا والتقادم، وابراز قضاياهم في صورة
المعتذر النادم، ربما كان كسر من غيظه، او همد من حنقه وبرد من قيظه،
وانما فعلوا تلك العذره، بعد خروج دمشق وخراب البصره، وارسلوا الخدم
والهدايا صحبة النعام والزرافات، وقد اعجز التدارك وفات، وصاروا كما قيل
شعر ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله، في النايبات ولكن بعد ما افتضحا
وكما قيل مصراع وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل،
فصل ذكر بيسق هذا قال لما مثلت بين يديه، واديت الرسالة وقرى

الكتاب عليه، قال لي قل الحق ما اسمك قلت بيسق، قال ما مدلول هذا اللفظ
المزري، قلت يا مولانا لا ادري، فقال انت لا تعرف مدلول اسمك يا ثعالة،
فكيف تصلح لتحمل الرسالة، ولولا ان عادة الملوك ان لا يهيجوا الرسل وقد
مهدوا على ذلك القواعد وسلكوا السبل، وانا اولى من يتبع اثار السلاطين،
ويحيي سنن الملوك الماضين، لفعلت معك ما يجب فعله ولا وصلتك ما
انت اهله، وبعد هذا فلا عتب عليك، وانما اللوم على من تقدم بهذا الامر
اليك، ولا حرج عليه ايضا لان ذلك مبلغ علمه، ومدرك عقله وفهمه،
وقد ظهر بفعله الوبيل، نتيجة ما قيل
تخير اذا ما كنت في الامر مرسلا، فمبلغ آراء الرجال رسولها
ثم قال لي توجه الى قلعتكم، ومكان عزتكم ومنعتكم، فذهبت فوجدتها
قد دكت دكا، وشيم حرمها وحريمها خسفا وهتكا، ثم اتيته، وذكرت له
ما رايته، فقال ان مرسلك اقل من ان اجامله، واذل من ان اراسله، ولكن
قل له اني واصل اليه على عقبك، وها انا مثبت مخالب اسودي بذنبك،
فليشمر للقرار او للفرار الذليل، وليعد لايهما اختار ما استطاع من قوة
ومن رباط الخيل، ثم امرني فاخرجت، وما صدقت ان تصوبت الى جهة
مصر وخرجت فصل وحين ملأ جراب طمعه من نفايس الاموال ردنه
واستند خلفها شيا فشيا صافيا ورنقا حتى صفاها بقطنه، امر بتعذيب
هولاء الاعيان الكبار، فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الرماد والكلس
وكووهم بالنار، واستخرجوا خبايا الاموال منهم استخراج الزيت بالمعصار،
ثم اطلق الاذن لعساكره بالنهب العام والسبي الطام، والفتك والقتل
والاحراق، والتقييد بالاسر على الاطلاق، فهجمت اولئك الكفرة الفجرة على
ذلك اشد الهجوم، وانقضوا على الناس بالتعذيب والتتريب والتخريب انقضاض
النجوم، واهتزوا وربوا، وفتكوا وسبوا، وصالوا على المسلمين واهل الذمم

صولة الذياب الضوارى على ضوانى الغنم، وفعلوا ما لا يليق فعله، ولا يجمل
ذكره ونقله، واسروا المخدرات، وكشفوا اغطاء المستترات، واستنزلوا شموس
الخدور، من افلاك القصور، وبدور الجمال، من سماء الدلال، وعذبوا الكبار
والاكابر بانواع العذاب، وبدا للخلق ما لم يكن في الحساب، واستخلصوا باصلاء
جواهر الناس النار منهم خلاصات الذهب، وصنفوا فى استخراج النقابين
من النفوس باصناف العذاب مسايل يقضى منها العجب، وفرقوا بين الوالده
وولدها، والروج وجدها، وذهلت كل مرضعة عما ارضعت، وجازوا
كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت، وفر المرء من اخيه، وامه وابيه
وصاحبته وبنيه، وصار لكل منهم يومئذ شان يغنيه، وذل العزيز
والكريم، وهان الخطر والجسيم، وطم البلا، وعم القضا، وطاشت الحلوم،
وتبلدت الفهوم، وتراكمت غيوم الغموم، فاقسم بالله لقد كانت تلك الايام
علامة من علامات يوم القيام، واستغرقت تلك الساعه عن اشراط الساعه،
واستمر هذا النهب العام، نحوا من ثلثه ايام، ذكر القائهم النار فى البلد
لمحو الاثار، ثم انهم لما انهوا النهب والعبث، وقضوا فى حج فسادهم
التفث، واتموه بالفسوق والجدال والرفث، وطافوا وسعوا فى المنكرات
ورموا فى البيوت النار وفى القلوب الجمرات، وافاضوا ما اراقوا من دماء
المسلمين الواقعين فى الاحصار، رملوا فى اشواط الاحراق فارسلوا فى
حرم المدينه شواظا من نار، وكان فيهم من روافض الخراسانيه، فاطلقوا
النار فى جامع بنى اميه، فتشبثت النار بلهيبها، وساعدت الريح بهبوبها،
فتسابقا فى محو الاثار ريحا ونارا، واستمر على ذلك باذن الله تعالى ليلا ونهارا،
فاحترق ما بقى من النقابين والنفوس، وانمحى بلسان النار ما سطر على لوح
وجود المدينه من الدروس، فامست تلك المغانى لا يسمع فيها ولا الهمس،
واصبحت حصيدا كان لم تغن بالامس، وذلك بعد ان اظهروا ما اخذوا من

اموال، واوسقوا منه من الاحمال افلاع هاتيك الرزايا، وانقشاع غمام
تلك الدواهى والبلايا، عن بلاد الشام بما تحمله من اوزار وخطايا،
ثم ارتحل ذلك الفتان، واقلع صيب بلايه الهتان، يوم السبت ثالث شعبان،
وقد اخذوا من نفايس الاموال فوق طاقتهم، وتحملوا من ذلك ما عجزت عنه
قوى استطاعتهم، فجعلوا يطرحون ذلك فى الدروب والمنازل، ويلقونه شيئا
فشيئا فى اوعار المراحل، وذلك لكثرة الحمل وقلة الحوامل، واصبحت القفار والبرارى
والجبال والصحارى، من الامتعه والاقمشه، كانها اسواق الدهشه، وكان
الارض فتحت خزاينها، واظهرت من المعادن والفلزات كامنها، فلت
بديها وصار لسان شرهم ينادى، على قنن الشواهق والبوادى،
الاذى شنشنة عرفناها، وعادة فساد الفناها، ومن ملكنا ودينا اقترفناها،
نهبنا اموال المسلمين وخطفناها، وما فى وجهها صرفناها، ولكنا حملنا اوزارا
من زينة القوم فقذفناها، ومع ذلك فلو اخذ من نفايس دمشق اضعاف ما
اخذ، وفلذ من اكباد ذخايرها الاف ما فلذ، ما غاض ذلك ما فى يمينها،
ولا نقص من بحار معينها، ولكن النار كانت هى البلا الداهى، والمصاب المتناهى،
لانها احرقت غالب من كان داخل البلد لعدم الغواث، فما ظنك بما يكون
من العماير والاقمشه والاثاث، وضربت الكلاب باكل لحوم من مات داخل
البلد، فما صار يجسر على العبور الى جامع بنى اميه من الكلاب احد،
ذكر ما جرى فى مصر وساير الاقطار، عند سماعهم هذه الاخبار، واستفائهم
هذه الاهوال والاخطار، فاما مصر فما دونها من البلاد فانها
تخبطت، وانحلت قواها وايديها ارتبطت، وعدمت القرار، واستعدت
للفرار، فلو رايت الناس وهم حيارى، سكارى وما هم بسكارى، ابدانهم
راجفه، وقلوبهم واجفه، واصواتهم خافته، وابصارهم باهته، وشفاههم
يابسه، وصورهم بابسه، ووجوههم باسره، تظن ان يفعل بها فاقره،

وقد استوفر كل من أهل الامصار، وسكان الانجاد والاغوار، وقد اصاخ
لما يرد عليه من جلي الاخبار، فبنى على ذلك ما يكون من متعلقات الحركة
والسكون، فاخذ تيمور على طريقته العوجا، ورجع على سبيل بغيه
التي اتخذها شرعة ومنهاجا، وقد شدت عساكره الآفاق والاكناف،
وعمت هيبته الارجا والاطراف، ذكر من اصيب من سهام القضا بالرشق
ووقع في مخاليب اسره من اعيان دمشق، واخذ من اعيان الشام، ومشاهيرها
الاعلام، قاضي القضاه محيي الدين ابن العز الحنفي بعد ان عاقبوه بانواع
العقاب وكووه، وسقوه الما والملح وبالكلس والنار شووه، وولده
قاضي القضاه شهاب الدين ابا العباس، فوصلا الى تبريز ومكثا بها مده
في شده وباس، ثم رجعا الى الشام، واخذ امرهما في الانتظام، وقاضي
القضاه شمس الدين النابلسي الحنبلي، وقاضي القضاه صدر الدين المناوي
الشافعي، فتوفي الى رحمة الله تعالى الوهاب، غريقا في نهر الزاب،
وشهاب الدين احمد بن الشهيد المعتبر، وكان متحملا اوزار الوزر، بعد ان
راموا اعدامه، وطلبوا اعقابه، وكان قد جهز متعلقيه الى الاماكن
البعيده، واقام هو في دمشق جريده، فذكر لهم حكايته، وبذل لهم
في دفع موجوده طاقته، فاخذوا ما اخفاه خفيه ولم يعذبوه، ولكنهم
بالاهانة والقلة استصحبوه، فوصل الى سمرقند وقاسا بها من صروف
الزمن، انواعا من غربه وفقر ومحن، ثم رجع الى دمشق وتوفي بها الى
رحمة الله، ومن الامرا الخاص، الامير الكبير بتخاص، وكان مقيدا معه
ومات، عند وصوله الى الفرات، فاما القاضي ناصر الدين بن ابي
الطيب فانهم عاقبوه بكل بليه، وكان رقيق البدن لطيف المزاج سوداويه،
فما كان عنده لذلك ثبات، فاعجزهم عما يرومون منه بالموت وفات
فمات واستراح، وشرب من الشهاده كاس مدام جاه وراح، فدفنوه

...يب من سهام

عشيته، بمدرسته الكروسية، ولما شرع في النهب العام المبرح، استشهد
غلطا قاضي القضاه تقي الدين بن مفلح، وبرهان الدين ابن القويشه ضعف
سبعة عشر يوما، وانقطع في جادة تلك المحن ولحق بالاموات يوما، وكانوا
قد حرجوا على الاحيا والاموات، وخافوا ان لا يكون لاحد من ايديهم
بحجة الوفاه فوات، فضبطوا بيوت المدينه بيتا بيتا، وحرجوا على ان
لا يخرج الاحيا ولا يجهز الموتى، فلما مات المذكور، تعسر الامور، فتحيروا
في تجهيزه، وتقلبوا في امره وتخمين، ثم بعد جهد بليغ وسعي كثير، دفنوه
في الصالحية بعد اخراجه من باب الصغير، وخرج مع تيمور بالاختيار
من الشام، عبد الملك ابن التكريتي فولاه نيابة شيرام، فمكث بها القليل من
الايام، وهي ورا سيحون، وتخصص آخر يدعى يلبغا المجنون وكان مقربا
عنده، وسبب ذلك انه بذل في مناصحته جهده، واحتال على ما قيل
ببغداد، فخلصه بذلك من المهالك والمهاوي، وحصل له بذلك قربه،
وزيادة ملازمة وصحبه، فولاه ذلك الجاش نيابة مدينة تدعى بنكي
تلاس، ورا نهر خجند، نحو خمسة عشر يوما عن سمرقند، بينها وبين شيرام،
نحو من اربعة ايام، وكان اسم ذلك المابون احمد فتلقب بيلبغا المجنون،
واخذ من دمشق ارباب الفضل واهل الصنايع، وكل ماهر في فن
من الفنون بارع، من النساجين والخياطين والحجارين والنجارين والاقباعيه
والبياطره والخيميه، والنقاشين والقواسين والبازداريه، وفي الجملة
اي فن كان، وجمع كما ذكر السودان، وفرق هؤلاء الطوايف على رؤوس
الجند، وامرهم ان يوصلوهم له الى سمرقند، واخذ جمال الدين بن
الطب وشهاب الدين احمد الزردكاش وكان في القلعه كما ذكر وابادوا من
عسكره خلقا لا يحصون، ولا يحصرون كثرة ولا يستقصون، وكان
في حدود التسعين وقد احدودب، فلما راه قابله بالسخط والغضب،

وقال له انك افنيت صاغيتي، وحصّنت غاشيتي، وقصّيت حاشيتي، فان
قتلتك مرة واحدة لا يشفي عليلي، ولا يبرد غليلي، ولكن اعذبك على كرشك،
وازيدك كسرا على كسرك، ووهنا على وهنك، فقيده بقيد من فوق ركبتيه
زنته سبعة ارطال ونصف رطل بالدمشقي وقصد بذلك التشديد عليه،
فلم يزل مقيدا، مكبوبا على قيده مخلدا ابدا، حتى مات تيمور، وارتفعت الشرور
وخلص من القيد ذلك المأسور، ثم توفي الى رحمة الله تعالى وربما يكون اخذ
اناسا من الفضلا، والاعيان والسادات والنبلا من لا اعرفه، فكيف اصفه،
وكذلك كل امير من امرائه، وزعيم من زعمائه، اخذ من الفقها والعلما
وحفاظ القرآن والفضلا، واهل الحرف والصناعات، والعبيد والنساء
والصبيان والبنات، ما لا يسع الضبط، ولا يحل الربط، وكذلك كل
من عسكرهم كبيرا وصغيرا، آسرا واسيرا، لانه ما ثم حرج على من نهب شيئا
وغزله، وكل من سبقت يده الى شيء فهو له، وهذا اذا اطلق عنان الاذن
بالنهب العام، تساوى فيه الخواص من عساكره والعوام، ولو كان الناهب
اسيرا فيهم، او دخيلا عليهم، والسائل من غير طينتهم، ولكن ابيح له ذلك
لما سار بسيرتهم، وتخلق بشيمتهم، واطلق عليه حكمهم، واجرى عليه شكمهم،
فاما قبل الاذن فلو تعدى احد على احد، وكان عند تيمور بمنزلة الوالد
او الولد، واستطال بمقدار حبة، او تلفظ بغارة او نهبة، فانه يهدر
ماله ودمه، ويهتك حرمته وحرمه، ولا ينجيه استغفاره وندمه،
ولا يجديه اهله وخدمه، ولا يقال لعالم ما زلت به قدمه، وكانت
هذه قاعدة لا تخرم، وبنية لا تهدم **ذكر ما اباده بعد الجراد،**
ولما فرغ من مستغلات اموال دمشق الحصاد، وقارب الرحيل عنها
اعقبه لقاط الجراد، وصار يسير معه حتى بلغ ماردين وبغداد، فاعرى
كل شجرا او مردا، وجرد ما على وجه الارض جردا، فوصل الى حمص وما

نهبها، ولخالد رضي الله عنه كما ذكر وهبها، ولكن نهبوا قراها، وهدموا
قواها، ثم الى حماه فنهبوا انقابيتها واستخرجوا مكامنها، واسروا اعرابيتها
وكتابيتها، وفي سابع عشر شعبان انصب الى الحيول ذلك الطوفان
وارسل الى حلب واخذ من قلعتها ما استودعها، ثم الى الفرات وعبرها بالمراكب
وغيرها فقطعها، ثم الى الرهى فنهبها، واستحلب درها، ثم ارسل ذلك الغادر
رسوله الى ماردين يستدعي الملك الظاهر، وديباجة كتابه الذفل،
على ما نقل شعر، سلام عليكم والعهود بحالها، لقد بلغ الاشواق منا كمالها،
فابى ان ينزل اليه، ولا استمع كلاما ولا عول عليه، لانه كان اذاه اول
مرة، فما احتاج الى تجربته آخر كرة، فسلك معه سنن السلامة، وقال
نظم، من جرب المجرب، حلت به الندامة، ولكن ارسل اليه قاصدا من
بعض الخدم، يدعى الحاج محمد بن خاصبك ومعه التقادم والخدم،
واعتذر عن الحضور، بعدة امور، وعنوان جوابه، موافق لخطابه، وهو شعر
فشوقي اليكم زائد الحد وصفه، ولكن تخاف النفس مما جرى لها،
فلم يلتفت تيمور الى هذا الكلام، واخذ يعنف نفسه بانواع الملام،
كيف خلص من حبائله اول مرة بسلام **ذكر وروده ماردين بالهيبة**،
وصدوره عنها بعد المحاصرة بالخيبة، فوصلوا يوم الاثنين عاشر شهر
صفة قلعة ماردين
رمضان الى ماردين، فنزلوا دنيسر وغدوا للحصار قاصدين، واذا
باهلها قد اخلوا المدينة، وانتقلوا الى قلعتهم الحصينة **صفة هذه القلعة**
وهذه القلعة عنقا قلتها نكيران تصاد، وعرين عانتها يابى ان يدخل الخاطر
تحت مقود انقياد، لانها في قلة من القلل، على ظهر جبل، لم يكن فرق بينه
وبين فيه الافلاك، الا ان تلك لا ثبات لها وهذا ثابت ليس به حراك،
بظهره واد بطنه اوسع من صدر الاحرار، فيه جنات تجري من تحتها الانهار
وبه مطارح الزروع، ومسارح المواشي والضروع، وحدوده جروف لا تنصل

همم ذوي الكرم الى ارجائها، وحروف يعجز قارئ التفكر عن تعداد هجائها،
وطريقه من القلعة او على القلعة، والقلعة في غاية المناعة والرفعة،
والمدينة مبنية حوالها متشبثة بذيلها، تاكل من فضلات نعمها وتشرب
من فائض سيلها، فهم بين نعمهم ونقمهم يترددون، وفي السماء رزقهم وما
يوعدون، فاقام لمحاصرتها على مضائقها، يسترشد الى طرق المضائقة
وطرائقها، ولم يكن حوالها مكان للقتال، ولا لنصب المجانيق مجال،
فعول على نقبها بالمعاول والفؤوس، واستعان على ذلك بالمقاول والروس،
وحاشا درر ذيل عصمتها ان يستام فتقا، لانها وان كانت عذراء قد اعجزت
الفحول لكونها رتقا، فلا زالت المعاول تفل، والقطاطيس تكل،
ومناقير الفؤوس تنقصف، وحصور المرازب كهيف القدود تنقصف، قلت

كان معولهم في نقب تربتها، منقار طير على صلد من الحجر،
او عذل ذي حسد صبابة صم، او عمز عين معنى فاقد البصر،

واستمر على اللدد واللجاج، الى العشرين من شهر الصيام، ولم يحصل على
طائل ولم يظفر بمرام ذكر تركه في المحاصرة، العناد والمكابرة،
وتوجهه بمارديه ذوي الفساد، عن ماردين الى بغداد،
ولما علم انه مني منها بالداهية الدهياء، وطلاب ما لا استطاع عناء،
والمكابرة مع الحق خروج عن المنهج، والبلاغة في غير مقامها عي لجلج، ستر
عيبه، وابقى بعض الحرمة والهيبة، وخرب المدينة واسوارها، ومحا اثارها،
وهدم مبانيها وجوامعها ومنارها، وفك اساتها واحجارها، ثم انحدر الى
بغداد، بعساكر كالذر والفراش والجراد، وجهز بعض الثقل الى سمرقند مع الله
داد، فوصلوا الى مدينة صور ولبثوا بها بيت مشاد، ثم الى اخلاط وعيد
الجوز وهي بلاد الاكراد، آهلة عامرة البنيان، واول ما هو جار تحت حكمه
من ولايات تبريز واذربيجان، فعيد الثقل بعيد الجوز عيد رمضان، ثم دخلوا الى

ولايات

ولايات تبريز ثم الى سلطانية ثم الى ممالك خراسان، وكان اذ ذاك وقد خرج
فصل الشتاء، وفصل الربيع قد تزين واتى، وصفحات الرياض بانامل صناع القدرة
تلونت، وعروس الروض قد اخذت من صواغ الحكمة زخرفها وازينت، والاطيار
في الازهار، ما بين مائة بلبل والف هزار، قد شنفت الاسماع، واقامت السماع،
واستمالت الطباع، برخيم صوتها، واحيت آثار رحمت الله الارض بعد موتها،
ولا زال الثقل بين تاويب وادلاج، وتسير ولا سير الحاج، كل يوم في مرحلة
وكل ليلة في مقام، فوصلوا الى نيسابور ثم الى جام، ثم قطعوا مفاوز باورد وما
خان، ثم الى اندخوي وانتهوا الى نهر جيحان، فعبروه بالمراكب، وساروا سير
النجم الثاقب، ولم يزالوا منبعثين على ذلك انبعاثا، فوصلوا الى سمرقند ثالث
عشر المحرم يوم الثلثاء، سنة اربع وثمانمئة، وفيهم من اهل الشام فئة
امثلهم القاضي شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير، وباقيهم بياطرة وصاغون
ونساجة الحرير، وهذا اول ما تحمله من الشام من احمال الاثقال، وباكورة
ما وصل الى سمرقند مما جناه من ثمر الاسارى والاموال، ثم ارسل الاثقال
تترا، بالانفال واحمال الاموال والاسرى، فصل ثم ان تيمور ولى آمد فرا الملوك
عثمان، وولى عن ماردين يوم الخميس العشرين من شهر رمضان، وكان خامس ايار،
وجعل يعيث في تلك الديار، وخرب نصيبين ورعى مغلاتها، ثم محا من صحف
الوجود سورها وآياتها، وكانت خالية من سكانها، خاوية من عامري
عمرانها، ثم وجه الى الموصل همه، واخنى عليها بكتائبه المدلهمة، فبعدان
احلها الحين، وبها الحسين بك بن بير حسين، ثم جمر بجزه، الى ناحية القنطرة،
واشاع انه كف فساده، وقصد بلاده، ولكن السلطان احمد كان قد تحقق
انه قاصد بغداده، وغداؤهم ووري كماله بذلك دابه وعاده، ذكر
ما فعله السلطان احمد بن شيخ اويس، لما بلغه انه توجه اليه ذلك النحس
فلما بلغ السلطان احمد، ان تيمور بعد ان تدمشق تمرد، ثم عزم على ان يتبغدد،

وقال العود احمد، استعد ولكن للفرار، واستقر رايه على ان لا قرار، ثم
استناب نايبا يدعى فرج، واوصى اليه والى ابن البلبقي باموره وصحبه قرا يوسف
الى الروم خرج، وكان من جملة ما وصى به انه لا يغلق في وجه تيمور باب،
ولا يبذل دون ما يرومه حجاب، ولا يشهر في وجهه سيف، ولا يقابل
فيما يامر به بلم وكيف، فبلغ تيمور هذه الامور، فجهز ذلك المخاتل
الى بغداد عشرين الف مقاتل، وامر عليهم من امرايه، وروسايه ووزرايه، والظلمة
المعتدين، امير زاده رستم وجلال الاسلامي وشيخ نور الدين، وامر ان
يكون المقدم من الثلاثة الامير رستم، فاذا تسلموا بغداد، يكون هو حاكم
البلاد، وحين غربت عن سماء بغداد شمس السلطان احمد في غرب الغربه،
ومد ظلام الظلم جناح العساكر التيمورية على افاقها وارسل عليها شهبه،
ابى فرج المذكور ان يسلم المدينة طوعا، واستعد للمقاتلة بجمع ما عنده
من اهبة المحاصرة فاوعى، فاطلعوا تيمور على هذا الامر، وانتظروا اما
يكون منه من نهي وامر، فثنى نحوها عنان الحنق، واضمر ما تصل اليه يده
من غرق وحرق، واظل عليهم بغمام غمه بعد ما رعد وبرق، فوصل تلك
الفرق، واحل بهم البوس والقلق، واذا هم لباس الجوع والفرق، فرجمهم
الى ذي الحجة، وحاصرهم في اشهر الحج، فثبتت مقاتلتهم واكثروا من عساكره القتلى
والجرحى، فخنقوا اشد الخنق، وزحف عليها برجله وخيله فاخذها عنوة يوم
الاضحى، فتقرب على زعمه بان جعل المسلمين قرابين وعليهم ضحى، ثم امر كل
من هو في دفتر ديوانه محسوب، والى من عساكره من الجند والجيش منسوب
ان ياتيه من روس اهل بغداد براسين، فسقوا كل واحد من خمرة سلب
الروح والمال كاسين، ثم اتواهم فرادى وجمله، وجاروا بسيل دمايهم نهر
الدجلة، وطرحوا ابدانهم في تلك الميادين، وجمع روسهم فبنى بها ميادين،
فقتلوا من اهل بغداد نحوا من تسعين الف صبرا، وبعضهم عجز عن تحصيل

البغداديين

البغداديين فقطع روس من معه من الشام وغيرها اسرى، وعجز بعض عن
روس الرجال، فقطع روس ربات الحجال، وبعض لم يكن معه رفيق، فاصطاد
من وجده في طريق، او اغتال من معه من رفيق، وفدى نفسه بعدو وصديق،
ولم يلتفت الى شفيق وشقيق، اذ لم يمكنهم الخروج عن ربقة الطاعة، ولا
يقبل منهم عدل ولا ينفعهم شفاعة، وهذا العدد المذكور، سوى من قتل
وهو محصور، او قتل في مضيق، او مات في الدجلة وهو غريق، فقد ذكر
ان خلقا، القوا انفسهم في الماء، وماتوا غرقى، ومن جملتهم فرج فانه ركب
سفينة وابق، فاحتوشوه من الجانبين بالسهام فجرحوه وانقلبت السفينة
فادركه الغرق، فبنى من الميادين نحوا من مائة وعشرين، كذا اخبرني
القاضي تاج الدين النعماني الحنفي الحاكم ببغداد كان وتوفي غرة المحرم سنة اربع
وثلاثين وثمانمائة بدمشق رحمه الله تعالى، ثم ان تيمور خرب المدينة،
بعد ان اخذ ما بها من اموال وخزينة، واقفر اهلها واقفر منازلها، وجعل
عاليها سافلها، وصارت بعد ان كانت مدينة السلام، دار السلام،
واسروا من بقي من ضعفه اهلها فتمزق، ومزقتهم ايدي الزمان كل
ممزق، بعد ان كانوا في ضلال ودلال، ومن مساكنهم في جنتين عن يمين
وشمال، فاليوم عشش البوم والغراب اماكنهم، واصبحوا لا ترى الا
مساكنهم، وهذه المدينة هي اشهر من ان توصف، وعرف عارفيها اذكى
من ان تعرف، وناهيك انها كان اسمها مدينة السلام، وانه على ما قيل لم
يمت بها امام **ذكر رجوع ذلك الطاغ، واقامته في قراباغ،**
ثم الوى تلك الاتراك الذي يصح ان يقال لكل منهم انه في التركية
طاغية طاغ، وعزم ان يشتي في مكان يصلح ان يكون في الترك والعرب
كصفاته وذاته قراباغ، وامسى كالبازي المطل بل كالبوم في الشوم،
مراقبا اطراف الآفاق وخصوصا ممالك الروم، **ذكر مراسلة ذلك المريد**

مراسلة تمرلنك لابن عثمان

سلطان الروم ايلدريم ابا يزيد، فراسل سلطانها ابا يزيد المجاهد
الغازي وصرح بما يروم من بلاد الروم من غير كناية والغاز، وجعل السلطان
احمد وقرا يوسف سببا، وذكر انهما من سطوات سيوفه هربا، وانهما مادة
الفساد، وبوار البلاد، ودمار العباد، وسنخ الخمول والادبار، وكفرعون
وهامان في العلو والاستكبار، وان فرعون وهامان وجنودهما كانوا
خاطئين، وقد صارا بمن معهما في حمى دراكم لاطئين، وايما حلوا حلت
النحاسة والشوم، وحاشا ان يكون مثلهما من المفلوكين تحت جناح صاحب
الروم، فاياكم ان تؤووهم، بل اخرجوهم، وخذوهم واحصروهم، واقتلوهم
حيث وجدتموهم، واياكم ومخالفة امرنا، فيحل عليكم دابر قهرنا،
فقد سمعتم قضايا مخالفينا واضرابهم، وما نزل بهم منا في حرابهم وضرابهم
وتبين لكم كيف فعلنا بهم، فلا تكثروا بيننا وبينكم القيل والقال، فضلا
عن جدال وقتال، فقد بينا لكم البراهين وضربنا لكم الامثال، وفي اثناء
ذلك انواع التهديد والتخويف، واصناف التهويل والاراجيف، وكان
ابن عثمان عنده رقاعة وشجاعة، ولم يكن عنده صبر ساعة، مع انه كان
من الملوك العادلين، وعنده تقوى وصلابة في الدين، وكان اذا تكلم
وهو في صدر مكان، فلا يزال في حركة واضطراب حتى يصل الى طرف
الايوان، وكان بواسطة عدله ساعده الزمان، وقويت شوكته
في المكان، فاستصفى ممالك قرمان، وقتل ملكها السلطان علاء الدين
واسر له عنده ولدان، واستولى على ممالك منتشا وصاروخان، وهرب
منه الى تيمور الامير يعقوب بن عليشاه حاكم ولايات كرميان، وصفا
له من حدود جيل بالقان من ممالك النصارى والى ممالك ارزنجان
فلما وقف على كتابه، وفهم فحوى خطابه، نهض وربض، وامتعض
وارتمض، ورفع صوته وخفض، وكانه تجرع نقوع الحضض ثم قال

او يخوفني

او يخوفني بهذه الترهات، ويستنفرني بهذه الخزعبلات، او يحسب انني
مثل ملوك الاعجام، او تتار الدشت الاغنام، او في جمع الجنود كجيش
الهنود، او جندي في الشقاق كجمع العراق، او ما عندي من غزاة الاسلام
كعساكر الشام، او ان قلة المجمع كجندي، او ما يعلم ان اخباره عندي
وكيف خذل الملوك وخرق، وكيف تولى وكفر، وما صدر عنه وعنهم، وكيف
كان كل وقت يستضعف طائفة منهم، وانا افصل جمل هذه الامور
واكشف ما خزنه في التامور، اما اول امره فحرامي سفاك الدم هتاك
الحرم، نقاض العهود والذمم، طرف منحرف عن الصواب في الخطا، فصال
وجال وجار وصار وسطا، ثم طال واستطال، واتسع له المجال، وغفل
عنه الرجال، ومن حين نبغ، استقصى حتى شاب الشيب العيب فادرك
ما ادرك وما بلغ، فالتهبت فتيلته بعد ان كانت شرارة، وانتشرت
فروع جنبه فصارت غرارة، اما ملوك العجم فانه استنزلهم بدخله
وختله، ثم استفزهم بخيله ورجله، وبادر الى قتلهم بعد ان امكنته
فرصة قتله، واما توقتاميش خان فان غالب عسكره خان، ومن اين
للتتار الطغام، الضرب بالبتار الحسام، وما لهم سوى رشق السهام،
بخلاف ضراغم الاروام، واما جنود الهنود فانه ختلهم في امرهم،
ورد كيدهم في نحرهم، فوهت اركانهم، لاسيما وقد مات سلطانهم، واما
عساكر الشام، فامرهم مشهور، وما جرى عليهم فظاهر غير مستور،
وللمامات سلطانهم، تضعضعت اركانهم، وانفض امرهم وانتقض،
وبغى بعضهم على بعض، فقطعت منهم الروس الكبار، ولم يبق فيهم الا
روس صغار، فنثر الزمان نظامهم، وسام التبدد ملكهم وشامهم،
مع انهم في الصور ربيع وفي المعاني جمادى، يرمون بواحدة وهي انهم
يبيتون جميعا ويقومون مثنى وفرادى، لا جرم تفرقوا بادي سبا اخراب

اما اول امره ما جرى

تلك الزمر، فاشتغل جيشه فيها بالمخيم فباض لما خلا له الجو وصفر، ولو كان
بينهم اتفاق لفنوه فنا، وبددوا اسمله وبنوه بنا، ولكنهم تحسبهم جميعا وقلوبهم
شتى، ومع اتساق نظامهم، وتسديد سهامهم، وقوة نطاحهم، وشدة كفاحهم،
وشدة رماحهم، وكونهم طهر الحاخ، واسود الهياج، اين لهم نظام عساكرنا،
وقوة القيام بتظافرنا وتناصرنا، وكم فرق بين من تكفل بامر الحفاة العراة،
وبين من تحمل امر الكماة الغزاة، فان الحرب دابنا، والضرب طلابنا، والجهاد
صنعتنا، وشرعة الغزاة في سبيل الله تعالى شرعتنا، ان قاتل احد تكالبنا
على الدنيا، فنحن المقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا، رجالنا باعوا انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة، فكم لضرباتهم في اذان الكفار من طنة، ولسيوفهم — من القدم
في قلانس الفوارس من رنة، ولنوقتهم في خياشيم بني الصليب من غنة،
لو سمناهم خوض البحار خاضوها، او كلفناهم افاضة دماء الكفار افاضوها،
قد اطلقوا من صياصيهم على قلع قلاع الكفار واخنوا عليها، وامسكوا
بعنان افراسهم فكلما سمعوا هيعة طاروا اليها، لا يقولون لملكهم اذا
غمرهم في البلاء والابتلاء، انا هاهنا قاعدون فاذهب انت وربك فقاتلا،
ومعاشر الغزاة مشاه، افرس من فوارس الكماه، اظفارهم باتره، واظفارهم
ظافره، كالاسود الكاسره، والنمور الجاسره، والذئاب الهاصره، قلوبهم
بودادنا عامره، لا تخامر بواطنهم علينا مخامره، بل وجوههم في الحرب ناضره
الى ربها ناظره، وحاصل الامر ان كل اشغالنا، وجل احوالنا وافعالنا،
جمع الكفار ولم الاسرى وضم الغنائم، فنحن المجاهدون في سبيل الله
الذين لا يخافون لومة لائم، وانا اعلم ان هذا الكلام سيبعثك الى بلادنا
انبعاثا، فان لم تأت تكن زوجاتك طوالق ثلاثا، وان قصدت بلادي وفررت
عنك ولم اقابلك البتة، فزوجاتي اذ ذاك طوالق ثلاثا بتة، ثم انهى
خطابه، ورد على هذا الطريق جوابه، فلما وقف تيمور على جواب القلق

قال

قال ابن عثمان مجنون احمق، لانه اطال واسا، وختم ما قراه من كتابه بذكر النساء،
ان ذكر النساء عندهم من العيوب، واكبر الذنوب، حتى انهم لا يلفظون بلفظ
امراة ولا بانثى، وانما يعبرون عن كل انثى بلفظ آخر ويجثون على الاحتراز عنه
جثا، ولو ولد لاحدهم بنت يقولون ولدت له مخدره، او من ربات الحجال او
مستتره، او نحو ذلك، ذكر طرف من ذلك اليوم، وقصد خراب ممالك الروم
عرض — فوجد تيمور الى التوجه على ابن عثمان السبيل، فطلب الرفيق والطريق وترك
الدليل، وتحدث فاذا الوحوش حشرت، واتنوا على وجه الارض فاذا الكواكب
انتثرت، وماج فاذا الجبال سيرت، وهاج فاذا القبور بعثرت، وسار
فزلزلت الارض زلزالها، وما رفا طرق القيامة اهوالها، وارسل الى ولي
عهده، ووصيه من بعده، حفيده محمد سلطان بن جهانكير، ان يتوجه
اليه من سمرقند صحبة سيف الدين الامير، وركب الى الروم الطريق
وساعده الاتفاق ولا التوفيق، وجرى بذلك البحر المطلخم، والليل المدلهم
فدار وداخ، وعلى قلعة كماخ اناخ، صفة قلعة كماخ فاذا هي في الوثاقه
كنفس موحد، وفي الرصانة والمناعة كاعتقاد متعبد، لا يقطع خندق
مناعتها سهم وهم، ولا يهتدي الى طريق التوصل اليها صائب فهم، مؤسس
اركان هضابها معمار القدره، ومهندس بنيان قبابها نجار الفطره، تتيه
بالعالية الشاهقه، ولاسيما القصيرة اللاصقه، عزايها في مناعتها وحصانتها
فايقه، من احدى جهاتها نهر الفرات يقبل اقدامها، ومن الجهة الاخرى
واد منيع يحفظ اعلامها، لا يمكن للاقدام فيه الثبات، وهو مسيل ماء
يصب في نهر الفرات، ومن الجهتين الاخريين هضاب، يتلو لسان البصيرة
عند وقوع البصر عليها ان هذا لشيء عجاب، فاخذها من غير كلفه، ودوخ
حرمها من غير طواف بها ووقفه، وذلك بعد ان قدم محمد سلطان عليه
ووكل امر حصارها وقتالها اليه، وسبب ذلك ان الوادي الذي وراها،

كان يرد بالجبنة لوعورته من منه جاها، لكونه مزلة الاقدام، واسع
الافعام، بعيد مهوى المرام، لا يثلث لسان السهم له عرض عرض، ولا
ولا يثبت له تحت قدم غواص البصر قرار ارض، فبمجرد ما وقع نظره
عليها، نظر بعين الفراسة اليها، ثم امر بقطع الاخشاب، ونقل الاحطاب
فلم يكن الا كلمح البصر حتى هدموا البيوت وقطعوا الشجر، ونقلوا جميع
ذلك الخشب والاعواد، وطرحوها في قعر ذلك الواد، فساووا به الارض
وملأوا طوله والعرض، وحين شعر اهل القلعة بهذه الفعال، القوا النار
والبارود على تلك الاخشاب فاخذت في الاشتعال، واما اساس القلعة
فلم ينال، لانه راكب على قلل الجبال، فلم يبدد ذلك من امره، ولم يشوش
من فكره، بل امر في الحال، كل واحد من الرجال، ان ياتي من تلك القفار
بعدل من الاحجار، فانبثوا كالنمل والجراد، في تلك المهامه والاطواد
والبراري والمهاد، وجابوا الصخر بالواد، ففي الحال ملأوا تلك الدارة
من الحصا والحجارة، ثم امر ان يفعل بتلك الحجارة في ذلك المهوى البعيد
ما يفعل بهم في جهنم يوم يقال لها هل امتلات وتقول هل من مزيد
فالقوا في ذلك الوادي بعض ما لموه، من اكداس تلك الحجارة فطموه، وبقي
في بادر ذلك الحجر اضعاف ما رمي من الصخر، ولما امتلا الوادي من الاحجار
مشوا عليها وقربوا من الاسوار، ونصبوا السلالم وتسلقوا، وبناصية مرامها
تعلقوا، فاقلع اهل القلعة عن الكلام، وطلبوا الامان وقالوا ادخلوها
بسلام، وكان هذا الحصار والتلجية في شوال سنة اربع وثمانمائة، ولما
استقر فيها، امر بتلك الاحجار ان تنقل من واديها، ففي الحال سفوها، واتى
مكان اخذوها منه رموها، ثم ولى بها شخصا يدعى الشمس، وولى عنها كما ولى
امس، وهذه القلعة نحو من نصف يوم عن ارزنجان، ومن القلاع المشهورة
في الدنيا بالمناعة والعصيان، فلاجرم حين استولى عليها، وافضى بصارمه

الذكر اليها، وفتحها قهرا، ومنحها جبرا، ابرد بهذا المغنم البارد، الى كل صادر
في ممالكه ووارد، بكتب ترجم فيها من الاخبار كل شايع وشارد، وعنوان
هذه الترجمة، بلفظها من غير ترجمة

نحن سيوف داميات لدى الوغى ... فتحنا بحمد الله حصن كماخ

وذكر فيها ابن عثمان وخطابه اليه، وكيف رد جوابه الحمق عليه، ومن جملته
وبعض ترجمته، انا ما جفوناه ولا تعدينا عليه، ولكن رفقنا له القول
وتلطفنا اليه، وقلنا له يخرج من فروج مملكته مادة الفساد، وهي
احمد الجلايري وقرا يوسف التركماني اللذان اخربا البلاد، واهلكا العباد
والرضى بالمعصية معصية، والاقرار على الكفر كفر، والفاسق المحروم
البايس شر من الفاجر الظلوم الملابس، فصارا في الفساد وزيريه وهو
الامير، وفي العناد صغيرين وهو الكبير، وعاشراه على ذلك ووالياه فلبيس
المولى ولبيس العشير، فافسداه وما اصلحا، وخسراه وما ربحا، فكانه
عنى شانهم، من اظهر فولهم وشانهم، بقوله شعر

ولا ينفع الجربا قرب صحيحة ... اليها ولكن الصحيحة تجرب

ولم يزل على طريقته العوجا، فانه لما اجارهم تجبر امر عامر العوجا فنهيناه
فما انتهى، ونبهناه فما ارعوى، وارشدناه العمى في غيه فما اعتبر، وناداه
لسان انتقامنا من المخالفين الحذر الحذر، وكنا وضعنا اسمه مع اسمنا
على عادة حشمتنا وادبنا في المراسلات ورسمنا، فتعدى طوره، وابدى
جوره، وكان في بعض مراسلاته، وما وضع في مكاتباته، كتب اسمه
تحت اسم طهرتن، وهذا هو الواجب عليه والحسن، ولا شك ان طهرتن
بالنسبة الينا كبعض خدمنا، واقل حشمنا، ثم انه اعنى ابا يزيد لما طالع
كتابنا، ورد جوابنا، وضع اسمه فوق اسمنا بالذهب، وهذا لما فيه
من كثرة الحماقة وقلة الادب، ثم ذكر انه توجه يروم، استخلاص ممالك

الروم، وتشدق في هذا الكتاب، وتفيهق في هذا الخطاب، فهو احد دساتير
الكتاب، والاساطير المستعان بها في الخطاب والجواب، ٥

ذكر ما عزم ابن عثمان عليه، عند انصباب ذلك الطوفان اليه،

فلما بلغ ابن عثمان ما قصده، وانه جعل طالعه في سماء الحرب رصده، توجه
لقتاله، واستعد لاستقباله، وكان على مدينة استنبول محاصرا اهلها
وكفارها، وقد قارب ان يفتحها وتضع الحرب اوزارها، وان جنده، كان عنده،
ولكن امرا بطارقة الغزاه، والشواهين من كواسر جبشه والبزاه، وسراة
السرايا وكرام كرميان، واحلاس خيل السواحل وقروم قرمان، واجناد
ولايات منتشا واساوره صاروخان، وجميع امرا التومانات والسناجق، واصحاب
الرايات وروس الفيالق، ونواب جميع الثغور والامكنه، مما هو جار
تحت تخت بروسا وادرنه، وكل من دبح البحر الاخضر من بني الاصفر من
رايته البيضا بالدم الاحمر، وفلق سويدا كل عدو ازرق بسهامه السود
على جواده الابلق، ان يعملوا مصلحتهم، وياخذوا حذرهم واسلحتهم، واستعان
في ذلك بكل بطريق وعلج مارجي، داخل في امان المسلمين على قتال كل باغ
وخارجي، واستدعى التتار، وهم قوم ذو يمين ويسار، ناس شوادج، لهم
مواش نواتج، ملاوا الاقطار بمواشيهم، وعلوا الشواهق والبوادي بروسهم
وحواشيهم، ربما يكون لواحد منهم عشرة الف جمل، ما منها واحد حمل،
ومثل ذلك افراس، ما اسرج لها ظهر ولا الجم راس، واما الغنم والبقر فلا
يحصى عددها ولا يحصر، وما يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكرى للبشر،
لهم في ممالك الروم وقرمان الى ضواحي سيواس مشات ومصايف، وللملوك
والسلاطين عليهم اعتماد كما لهم في انواع المبرات وظايف، لو قصدهم فقير
او غريب، او طالب علم او اديب، جمعوا من الغنم والبقر، والصوف والشعر
والسمن والاقط والوبر، ما يكفيه ويذويه الى اخر العمر، وكانوا يسمون لكثرتهم

وما معهم من الامم، ثمانية عشر الف عالم، فلبى كل من صدا هولاء الجبال
مداصوته بالاجابه، وبادر الى امتثال اوامره بالاطاعه والانابه، وانبعثت
اليه التتار بقضهم وقضيضهم بعثا، وقتت اليه اطواد عساكرها وبحار
جنودها قتا، وحث على ملاقاة تيمور عساكر الغزاه والمجاهدين حثا،

ذكر ما فعله ذلك الخداع المكار، وتمقه في تخذيل عن ابن عثمان جنود التتار،

وتلبث تيمور في امره، واستورى زناد فكره، فاورى زناده ناره، ان يخذل عن ابن
عثمان تتاره، فارسل الى زعمايهم، والكبار من امرايهم ورؤسايهم، واميرهم
يدعى بالفاضل، وكان في المكرمات من الافاضل، غير انه ما مارس الايام
ولا اطلع على مكايد اللئام، ان حسبكم حسبي، ونسبكم متصل بنسبي، وان
بلادنا بلادكم، واجدادنا اجدادكم، فكلنا فروع نبعه، واغصان
دوحه، وان آبانا من سالف العصر، وغابر الدهر، نشاوا في عش متوحد
ودرجوا من وكر غير متعدد، فانتم في الحقيقة شعبة من شعبي وغصن من
اغصاني، وجارحة من جوارحي وخالصتي وخلاني، وانتم الى شعار وباقي الناس
دثار، فان كان الناس ملوكا بالاكتساب، فانتم ملوك بالاكتساب والانساب
وان آباكم في قديم الزمان، كانوا ملوك ممالك توران، فانتقل منهم طايفه
من غير اختيار، الى هذه الديار، فاستوطنوها وهم على ما هم عليه من الكرامه
وشعار السلطنه واسباب الزعامه، ولم يزالوا على هذا النشاط والهزه
الى ان اندرجوا الى رحمة الله تعالى وهم على هذه العزه، وكان المرحوم ارتنا آخر
ملوككم، واكبر مالك في بلاد الروم اصغر مملوككم، وليس بحمد الله تعالى في
شوكتكم قله، ولا في كثرتكم قله، فاني رضيتم لانفسكم بهذه الذله، وان تصيروا
مسخرين، حتى كانكم من المسخرين، وبعد ان كنتم اكابر مكبرين، كيف صرتم
اصاغر مصغرين، ولستم بدار هوان ولا مضيعه، وارض الله واسعه، ولم صرتم
مرقوقي، رجل بن اولاد معتوقي، على السلجوقي، ولا ادري ما العلة لهذا

والتسبب ومن اين هذا الاخاء والتسبب سوى عدم الاتفاق وانتفاء الاتفاق
وعلى كل حال فانا اولى بكم واحق بعمل مصالحكم وتهيئة اسبابكم وان كان لا
بد من استبطائكم هذه التخوم وسع تلك البلاد الفسيحة بمضايق ممالك الروم
فلا اقل من ان تكونوا كاسلافكم حكامها مالكي نواصي صياصيها راقين سنامها
باسطي اياديكم فيها قابضين زمامها وهذا المهم انما يتم اذا كفيناهذه المنازله
وقضينا الارب من هذه المناصله وتمهد لنا الميدان وارتفع من البين ابن
عثمان فاذا خلا الجو من المنازع وصفت لي في هذه البلاد المشارع وطوقت
بهذه الممالك وسلكت فيها الطرق والمسالك اعطيت القوس باريها وانزلت
الدار بانيها ورددت المياه الى مجاريها وجعلتكم ملوك قراها وصياصيها
ومدنها وضواحيها وقررت كل واحد منكم على قدر استحقاقه فيها فان
رايتم ان لا تعينوا علينا او امكنكم ان تحازوا الينا فاغتنموا فرصتكم
وخذوا من انيابها حصتكم فانكم قريبون منا صورة ومعنى واما الان
فكونوا بظاهركم مع ابن عثمان وبباطنكم معنا حتى اذا التقينا امتازوا
والى عساكرنا انحازوا ولا زال يخلل كلامه بزوا على جحر جحرهم ولا يحفر
مزخرفا بتمويهات تزري فصاحتها بكلام الاسود بن يعفر غايصا في دردور
افكارهم ليردها عن ان تتبع ابن عثمان وتنفر كمثل الشيطان اذ قال للانسان
اكفر حتى خلبهم بهذا المقال واستجرهم الى معنى ما قال واستهواهم
حب الرياسة الذي طالما استرق احرار الصديقين واستعبد كبار الاولياء
والصالحين وكبكب في النار على الروس رؤس العلماء العاملين فوافقوه
على الانخزال عند المواقفة للنزال **ذكر ما صنعه ابن عثمان من الفكر
الوبيل وتوجه الى ملاقاة تيمور بطود عسكره الثقيل** فاما ابن عثمان
فانه خاف من الهجوم على بلاد الروم لان الزروع كانت قد استحصدت وصدور
الفواكه والثمار قد استنهدت وخضراوات الارض قد اسودت والرعايا

ذكر ما صنعه ... عثمان

في ظل الامن والرفاهية قد امتدت فخشي ابن عثمان ان يصيب العباد منه ضرر
او يتطاير الى قبايل بلاده من لهيب ناره شرر فبادر الى ملاقاته وساقته
شوايق المنون الى شرب كاسها في مساقاته واراد ان يكون مصطدم الباس
خارج بلاده على ضواحي سيواس فاجرى من عساكره السيول الهامره واخذ
بهم على قفار غامره حذارا على رعاياه من مواطي مطاياه فانه على الضعيف
من رعيته شفوقا وبالفقير من حشمه وخدمه رفيقا **يحكى** انه كان في
بعض مغازيه فعطش بعض حواشيه فاتى في قرية بعض النسا فطلب منها
شربة ما وكانت اشأم من البسوس يضرب بها المثل في اللوم والبوس
فقالت ما عندي ما تشرب فخذ طريقك ولا تتعب وكان العطش قد غلبه
وراى عندها في بعض القعبة شربة لبن فشربه فقالت هذا قوت الصبيان
واشتكت عليه لابن عثمان فطلبه واستفسره فخاف شدة نقمته فانكره
فقال للمراة انا ابعج فقبده وابين صدقه وكذبه فان ظهر في بطنه اللبن
اعطيتك الثمن وان تبينت بالصدق قوله جعلتك مثله مثله فقالت
والله انه شربه وما فهت في حقه بكذبه ولكني افرجت كربته وابرات
ذمته فقال لا بد من اجرا العدل وامضاء هذه الحكومة بالفصل ثم
دعا بالسيف ووسطه واجرى على بطنه ما شرطه فانبجر بطنه وهو منعفر
وجرى اللبن بدمه وهو ممذقر فاشتهر في الوثاق ونادى عليه هذا جزاء
من يتناول في دولة الملك العادل ابن عثمان شيئا بغير استحقاق ثم ان ابن
عثمان تابع الترحال وشلك في رمضان السفر صوم الوصال **ذكر ما فعله
ذلك الساقطه مع ابن عثمان وعسكره من المغالطه** ولما بلغ تيمور ان
ابن عثمان اخذ على الطريق العامره نبذه نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واخذ
على الجادة العامره فدخل هو وعسكره على ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون
ولسان حالهم الفصيح ينشد في الافاق ويصيح شعر

كان صح

حكاية الدب شرب اللبن

ولسنا بالي جيت ادراكي العلى ... اكان تراثا ما تناولت ام كسبا

فلم يزل الواني مراح وزروع ومراع وضروع بين سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وهواء بالراحة مصبوب وتنعيم بالسلامة مصحوب في امن ودعة وخصب وسعة آمنا من الوجل سايرا على غير عجل مستيقنا بالنصر والظفر مستبشرا بالملك والوزر مستنسعا تدبير القضا والقدر لا يبرد حرارة حميته لتسخين عن عدوه واحراز المغنم البارد فترة ولا في اكليل كواكب عساكره المنظمة نثرة ولا بين اسود جيشه مكاشرة ولا نفرة ولا في قراهم الاعادي اللهذميات على موايد طعام طعانهم جبن ولا كشرة فلم يفق ابن عثمان من رقاده الا وتيمور قد دمر على بلاده فقامت عليه القيامة واكل يديه حسرة وندامة وزار وزقا والتهب حنقا وكاد ان يموت خنقا وسلب القرار والهجوع وعزم في الحال على الرجوع فتلاطمت من بحر عساكره امواجه وتصادمت اثباج اطواده وابراجه فرجع عوده على بديه واغرى بوصال السير وحيه فنهكهم السير بشر عنيه والمكان بقفرته والزمان بحيه والسلطان بزنيه فلم يدركوه الا وقد ذاب كل منهم وصبا وبلا لسان حاله لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا

فصل وكان تيمور قد وصل الى مدينة انقره وخيله ورجله مستريحة موفرة للقتال منتظرة وللنزال متشمرة بل لم يكونوا به مكترثين ولا به محتفلين وقد سبقوا اكضا ديد قريش الى الماء وتركوا عساكره كمسلمي بدر في جانب الظما فهلكوا كربا واوا ماء وذابوا عطاشا بلا ماء وكانه الى ذاك المنزل هو ارشدهم وبلسان حاله انشدهم شعر

ياضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ... نحن الضيوف وانت رب المنزل

وانقره هذه هي التي ذكرها الاسود بن يعفر في قصيدته الطنانه وهي شعر

نزلوا بانقرة يسيل عليهم ... ماء الفرات يجيء من اطواد

فاذا النعيم وكل ما يلهى به ... يوما يصير الى بلى ونفاد

فلما تدانت الجيوش من الجيوش واضربت الوحوش على الوحوش وامتلات منهم الصحارى والقفار وتقابلت اليسار باليمين واليمين باليسار اندفعت من عساكر ابن عثمان التتار واتصلت بعسكر تيمور كما رتبه اولا واشار وكانوا هم صلب العسكر والاوفر من عسكر ابن عثمان والاكثر حتى قيل ان جماعة التتار كانوا نحوا من ثلثي ذلك العسكر الجرار بل قيل ان ذلك الجمهور كان نحوا من جند تيمور وكان مع ابن عثمان من اولاده اكبرهم امير سليمان فلما راى ما فعلته التتار علم انه حل بابيه البوار فاخذ باقي العسكر وتقهقر عن ميدان المصاف وتاخر وترك اباه في شدة الباسا وانخزل بمن معه الى جهة برصا فلم يبق مع ابن عثمان الا المشاة ومن داناهم وبعض من الكماة وقليل ما هم فثبت للمجالدة بمن معه من الرفاق وخاف ان فر ان يقع عليه الطلاق وكانه في تلك المعركة والمعكرة كان متمثلا ما قاله عنترة وهو شعر

ولقد ذكرتك والرماح نواهل ... مني وبيض الهند تقطر من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانها ... لمعت كبارق ثغرك المتبسم

فصبر لحادث الدهر وما ازم واراد ان يبقى على مذهب الامام مالك بما به التزم فاحاطت به اساورة الجنود احاطة الاساورة بالزنود وحين تيقنت الاسرة العثمانية بالكسرة وعلمت انها تورطت في حبس العسرة وثبت المشاة على الكماة واستعملت الاصطبار وكل صارم بتار وكانوا في ذلك المصاف نحوا من خمسة آلاف فبددوا انداده وابادوا اعداده ولكن كانوا كمن اكتال الرمال بالكربال او كايل البحار بالغربال او محرر اوزان الجبال بقراريط المثقال فامطروا على قلل اولئك الاطواد وحصون ذوات تلك الاسود من غمام القتام صواعق ديم المذربات وامطار السهام السود ونادى محرش القدر وصياد القضاء الكلاب على البقر فلم يزالوا

بين وقيذ وواقذ ومضروب بحكم سهم ماض في الفضاء نافذ حتى صاروا
كالشباهم والقنافذ واستمرت دروس القتال بين تلك الزمر من الضحى الى
العصر وانقلبت احزاب الحديد الى الفتح فتلت على الروم سورة النصر
ثم لما كلت منهم السواعد وقل المواصر والمساعد وتحكم فيهم الاباعد
والمباعد رفعوهم بالسيوف والرماح وملاوا بدماهم الغدران وباشلايهم
البطاح ووقع ابن عثمان في القنص وصار مقيدا كالطير في القفص
وكانت هذه المعركة على نحو ميل من مدينة انقره يوم الاربعا سابع
عشرين ذي الحجة سنة اربع بعد ثمان مائة حجة وقد قتل غالب العسكر
العطش والضموز لانه كان ثامن عشري تموز **فصل** ووصل امير سليمان
الى برصا معقل ابن عثمان فاحتاط على ما فيها من الخزاين والاموال
والحريم والاولاد ونفايس الاثقال واشتغل بنقل ذلك الى برادرنه
ورا البحر المحيط بكثير من الامكنه المنشعب من بحر مصر الاخذ بعد
ما يتدرس الى بلاد الدشت والكرج الفاصل بينه وبين بحر القلزم جبل
الجركس

ذكر ما وقع من الخباط بعد وقعة ابن عثمان في كل ثغر ورباط

ولما حصل لراس مملكة الروم هذه الوعكه واندعكت اجسام عسكرها
لحسام اقوى دعكه واختى عليهم الحد المشوم ونعق في صباحها غراب
البين وزعق في رواحها البوم وتلا في محراب انسها على جماعتها امام
القضا والقدر الم غلبت الروم خضعت روسها ونواصيها وتزلزلت
حصونها وصياصيها وتزعزع دانيها وقاصيها وانبهر طايعها وعاصيها
فحاصوا حيصة الحمر وابسوا من الاهل والاوطان والمال والعمر اذ
قد ذهب منهم الراس ولم يبق فيهم من يفهم الباس فلما سمعوا ان امير
سليمان ضم الناس الى بحره وعزم على العبور الى برادرنه بقطع بحره
سالت بهم الاودية والشعاب اليه وعولوا في خلاصهم من ذلك البلاء

الطام عليه فصالح اهل استنبول ووادهم وعاهدهم على ان لا يغدر
كل منهم بالاخر وما دهم ثم قصدهم ان يعينوه على الوصول بقطع البحر من
ثغري كالي بولي واستنبول اذ ليس لهذا البحر بين هذين البرين طريق
قريب ومعبر سوى هذين الثغرين فان بحر اسكندريه ياخذ على انطاليه
وعلايه ثم يروم بلاد الروم فيحصره الجبال قبل وصوله بلاد الشمال
فلا يزال حصره يدق وشفتا جانبيه ترق حتى تتراى حاقتناه وتكاد تنطق
شفتاه ومسيرة هذا الانضمام نحو من ثلثه ايام ثم ياخذ في المد والانبساط
والجريان على وجه النشاط ثم تدور كتايب امواجه وتتكردس وياخذ
نحو بلاد الدشت والكرج حتى يصل كما ذكر الى بلاد الجركس وما امكن
احدا من سواحر الحكمة ومهندسي النوافث ان يعبر هذين المعبرين في مدى
هذا الانضمام بثالث فثغر كالي بولي بيد ملاحي المسلمين وثغر استنبول
بيد النصارى اعداء الدين وهو اعظم الثغرين واحسن المعبرين
وكانت النصارى ملاحيه فصار غالب الناس بفضله وبنجيه فاستطارت
الفرنج فرحا واستطالت وخاضت في دماء المسلمين وحريمهم واموالهم
وجالت فان ابن عثمان كان بالحصار قد انهكها واباد قراها وضواحيها
واهلكها وضيق على اهلها في مجاري ارواحهم مسلكها فبينما هم وقد بلغ
السيل الزبى وجاوز الحزام الطبا وانشب كل شر فيهم حده واذا بتيمور
جاهم بالفرج بعد الشده فاندفع عنهم بالضرورة ابن عثمان وحصل لهم
بذلك الفرج والامان وزاد ذلك بان احتاج المسلمون اليهم وتراموا في طلب
الخلاص من العدو عليهم فبعد ان زالت عنهم الغصص اغتنموا في درك
الثارات من المسلمين الفرص فجعلوا يوسقون المراكب من الناس والحمول ويتوجهون
بذلك الى صوب استنبول وان استنبول ورا ذروة جبل وقلة من القلل
وهي من اكبر مدن الدنيا حتى قيل انها قسطنطينية الكبرى وكانوا اذا اعطوا

من ورآ تلك الذروه بالمراكب ، واستتروا بالهضبة النائية عن عين من هو في هذا
الجانب ، يصيرون كالاموات النازلين الى الحفاير ، الملقين في قعر اللحود والمقابر
لا ندرى الى اين يتوجهون ، والى ماذا يصيرون ، الى دار السلامة والاسلام ، ام الى
دار الحرب واسر الكفرة الطغام ، فيذهب منهم الذاهبون ، فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون ، فاذا جات المراكب وهي فوارغ ، تعلق كل من
هذه الخلايق فيها بجهد كامل وجد بالغ ، ولم يدر ماذا يجرى عليه ، والى ماذا
يصير امره اليه ، واشبهوا في ابصارهم الكليلة ، وخطوبهم الجليلة ، ما لكا
الحزين والسمك المذكور في كتاب كليلة وحاصل الامر انه لم يسلم ، من ذلك السواد
الاعظم ، في كل غراب ادهم ، الامثل الغراب الاعصم ، واستطالت اعدا
الدين ، كيف شاءت على المسلمين ، وقطع امير سلمان البحر ، واستولى على ذلك
البر ، وضبط ممالكه ، وربط مسالكه ، وهو اوسع من هذا الجانب وافسح مرجا ،
وادر ربعا واكثر خراجا وخرجا ، واعظم حصونا وامكنه ، وتخته مدينه
ادرنه ، فاجتمع الناس على امير سلمان ، وسهل الامر في الجملة شيئا ما وهان ،
ذكر اولاد ابن عثمان وكيف شتتهم ثم اباد هم الزمان ، وكان للسلطان
اى يلدرم المذكور من الاولاد الذكور ، امير سلمان هذا وهو اكبرهم ، وعيسى
ومصطفى ومحمد وموسى وهو اصغرهم ، وكل طلب لنفسه مهربا ، وانحاز اليه
من ابيه طايفة نجبا ، وكان منهم محمد وموسى في قلعة اماسيه ، وهي خرشنه
الشاهقة العاصيه ، التي قال فيها ابو الطيب ، شعر

حتى اقام على ارباض خرشنة ، تشقى به الروم والصلبان والبيع

وقلة قلعتها شاهقه ، كانها بقبة الفلك عالقه ، تعيى النازل عنها ، في نزوله
منها ، اكثر مما يعيى الصاعد الى غيرها ، يسميها اهلها بغداد الروم ، لان قرار
ارضها بنهر كبير من الوسط مقسوم ، وبينها وبين توقات مسيرة يوم للمجد ،
واما عيسى فانه لجا الى بعض الحصون واستكان ، الى ان قتله اخوه امير سلمان

وموسى

وموسى فيما بعد قتل امير سلمان بعيسى ، ثم ان محمدا قتل بعد الكل موسى ، ونسخت
الاحكام المحمديه ، شرايع اثار الملة الموسويه والعيسويه ، الى ان مات
حتف انفه في اوايل سنه اربع وعشرين وثمان ميه ، اومات بشيء دس اليه
على ايد قوجفار في الهدايا الملكيه المؤيديه ، وانتقل الملك من بعده الى مراد
ولده ، وهو في يومنا هذا اعني سنه اربعين وثمان مايه مستقل به ، واما
مصطفى فانه فقد وقتل نحو من ثلاثين مصطفى بسببه ، عودا الى ما كنا
فيه ، من امور تيمور ودواهيه ، ثم ان تيمور لما قبض على ابن عثمان جرد
الى بروسا طايفه من الجنود والاعوان ، واضافهم الى شيخ نور الدين ثم اتبعهم
بوقار مكين وجاش مستكين ، فوصل اليها ، ونزل نزول القضاء عليها ، وضبط
ما وصلت اليه يده من جماعة ابن عثمان وحرمه ، واموال دوخزاينه وحشمه
وخدمه ، وخلع على امراء التتار ورؤسهم ، واستعطف خواطرهم بتطييب
نفوسهم ، ووزع امراهم على امرايه ، واضاف كل طايفة منهم الى راس من رؤسايه ،
ووصاهم بهم وعليهم ، وبالغ في ان يصلوا ما امكنهم من البر اليهم ، ومشى
على سننه القديم ، في استخلاص النفايس واقتناص النفوس وسبي الحريم ، وجعل
يحضر ابن عثمان كل يوم بين يديه ، ويلاطفه ويباسطه ويترفق اليه ، ويسخر منه
ويضحك عليه ، ذكر ما فعله مع ابن عثمان من نكايه ، غدت باوصافه القبيحة على
مر الزمان حكايه ، ثم انه في بعض الايام ، جلس في مجلس عام ، وخفض
جناح النشاط للخاص والعام ، وطوى بساط النهي والامر ، ومد سماط الخمر
والزمر ، وحين غص بالناس المكان ، استدعى بشريعا ابن عثمان فجا وفواده
يرجف ، وهو في قيوده يرسف ، فسكن قلبه ، وازال رعبه ، ثم احسن
جلوسه ، وازال بالاهتشاش اليه عبوسه ، ثم امر بافلاك السرور فدارت ،
وبشموس الراح ان تسير من مشرق اكواب السقاة الى مغرب الشفاه فسارت ،
وحين تقشعت عن شموس السقاة سحاب الخدور ، ودار في سماء العيش نجوم

يحتها من مراتبه بروز وبدور، نظر ابن عثمان فاذا السقاة جواريه، وعامتهم
حرمه وسراريه، فاسودت الدنيا في عينه، واستحلى مرارة سكرات حينه،
وتصدع قلبه، وتضرم لبه، وتزايد كمده، وتفتتت كبده، وتصاعدت
زفراته، وتضاعفت حسراته، ونكى جرحه، وعذ قرحه، ونثر على جرح مصابه
من قصاب الاسى ملحه، وكانت هذه نكاية لابن عثمان بما اسلفه، في مكاتباته
بذكر النسا وخلفه، لانه قد سبق ان ذكر الحرم، عند الجغتاى بل وقبايل
الترك من اكبر الجرم، واعظم من الجناية في الحرم، وايضا مكافاة لما فعله
ابن عثمان مع حريم طهرتن في ارزنجان، ومن تمام اشانته لابن عثمان احتيانه
لاولاد ابن قرمان، وكان قبل ذلك ابن عثمان قد استولى على ممالك قرمان، وقتل
متوليها السلطان علا الدين بعد ان حاصره وقبض عليه، ونقل الى حبس بروسا
محمدا وعليا ولديه، فلم يزالا عنده في ضيق وضنك، حتى افرج عنهما بالحبس
عليه تمرلنك، فاخرجهما وخلع عليهما، واثرهما واحسن اليهما، وولاهما ما اواهما،

قلت — ولم يرفض معاوية محبا، علينا بل لان اورى يزيدا
وقيل — وليس لحبه يجنو عليه، ولكن بغض قوم آخرينا
وقلت بديهيا — اصادق صديق اعدائي وان لم، يكن بيني وبينهم ولاء
وابغض من يعادي لي صديقا، وان اثنى علي بما اشاء
وذاك لينتكي صدي وينبا، فتى قد سر لي منه الاخاء

والامير محمد هذا هو الذي قبض عليه الامير ناصر الدين محمد بن دلغادر امير
التراكمة المفسدين، وقتل ولده مصطفى في البلا، وجهزه الى الملك
المؤيد مكبلا، وذلك في شهور سنة وثمان مائة،

ذكر وفود اسفنديار عليه، ومثوله سامعا مطيعا بين يديه، ○

ثم ان الامير اسفنديار بن ابي يزيد، وهو احد ملوك الروم وله في السلطنة
قدم مشيد، وورث الملك عن ابيه وكان مستقلا بالامره، وبينه وبين الملوك

العثمانية

العثمانية عداوة موروثة ونفرة، وتحت حكمه بعض مدن وقلاع، ووهد وبقاع،
منها مدينة سينوب الملقبة بجزيرة العشاق، يضرب بظرافتها المثل في
الآفاق، وهي في النحو من البحر، في جزيرة كبيرة، سبيل الدخول اليها عبرة
بها جبل احسن من ارداف الحور، متصل بمعبر ادق من دقيق الخصور، وهي معقل
اسفنديار ومعاذه، وحرز خزاينه وملاذه، اعصى من ابليس، واوثق من كف
بخيل بحاف المفلس، ومنها قسطمونيه تخت ملكه، وبحر فلكه، ومنها
سامسون وهي قلعة على جانب البحر للمسلمين، مقابلها نظيرها للنصارى المجرمين
بينهما دون رمية حجر، وكل منهما آخذة من الاخرى الحذر، وغير ذلك من القلاع
والقرى، والقصبات في الوهد والذرى، لما بلغه ما فعله تيمور الغدار،
مع اولاد ابن قرمان والتتار، ومع قرايلوك وطهرتن حاكم ارزنجان، والامير يعقوب
ابن عليشاه متولي كرميان، ومن توجه اليه من حكام منتشا وصاروخان،
وانه لا يهيج من اطاعه، ويلبس لاوامره بالسمع والطاعة، سارع الى المثول بين
يديه، وتهيا للوفود عليه، فاقبل بالتحف العالية، والنفايس الغالية، فقابله
بالبشرى، وعامله بالسرا، واقره في مكانه، نكاية لابن عثمانه، ثم امر اولاد
قرمان ومن انتسب له بميسم الطاعة والاذعان من امراء تلك الاكناف
والاكنان، ان يخطبوا ويضربوا السكة باسم محمود خان، والامير الكبير تيمور
كوركان، فامتثلوا اوامره، وحذروا زواجره، وامنوا بذلك الغارة والمصا دره،
فصل ثم ان تيمور اخرج ما لابن عثمان وغيره من الذخاير، واستصفى خزاينه
ما كان ارثا وكسبا للملوك القياصرة من النفايس والاخاير، وشتى في
ولايات منتشا، والقى لذروتها مباحث تصريفه كيف شا، وانتهى الى اقصاها،
وحرر البحث في مسايل الخمس والمغانم فاستقصاها، وانبث جنوده في آفاقها،
وغاصت في بحار ممالكها من اثباج اطوادها الى قرار اعماقها، فمن فارع الى
حبال جباهها وقمم صياصيها، ومن متعلق باذان مراميها ومتسلق باذيال

نواصيها، ومن راكب اكتاف اكنافها نازل في سواحلها، دايس بارجل شغبه
خدود روضها الانف جايس بكلاكل اهلها، ومن دامغ دماغها باهداب ماجه
لاجل العين بالغ من غير حاجب له منها ما رام باليد واليدين، ومن خال
عاهد صدورها، تال رؤسها ووجوهها للجبين على ظهرها، ومن ماد انامل
تعديه من غير كف الى معاصمها ومرافقها، كاد باقدام الفساد في بطون
معادنها والخاذ مشارفها، فجزوا الرؤس، وحزوا الرقاب، وقطعوا الاعناق،
وفتوا الاعضاد، وبتوا الاكتاد، وخرقوا الاكباد، وشوهوا الوجوه،
واسالوا العيون، وابخصوا الابصار، واخرسوا الالسنة، وصكوا
المسامع، وارغموا الانوف، واذلوا العرانين، وهشموا الثغور، وحطموا
الصدور، وقصموا الظهور، ودقوا الفقر، وشقوا السرر، واذابوا القلوب،
وفطروا المراير، واراقوا الدماء، واستحلوا الفروج، واخرجوا الانفاس،
وابادوا النفوس، وسبكوا الاشباح، وسلبوا الارواح، ولم يخلص من
شرهم من رعايا الروم الثلث ولا الربع، وصارت جماعاتهم فيهم ما
بين منخنقة وموقوذة ومتردية ونطيحة وما اكل السبع، ن

ذكر فتح قلعة ازمير وحتفها، وشيء من عجيب وضعها ووصفها،

وحاصر قلعة ازمير، وهي حصن في وسط البحر منالة عسير، بهمزة مكسورة
وزاي معجمة، وميم مكسورة وياء ساكنة وراء مهملة، قلعة قد اقلعت
في البحار، واضرمت في قلب خاطبها بمنعتها وعصيانها النار، اعصى من
قلاع الجبال، واقصى في المنال ان ينال بخيل ورجال، فاعد لها انواعا من
الات المحاصرة، واخذها يوم الاربعاء عاشر جمادى الاخرة، سنة خمس وثمان مئة،
سادس كانون الاول من السنين الرومية، فقتل كبارها، واسر نساءها
وصغارها، وبنى من ابدان القتلى جوامع وشيد من رؤسها منارها، ثم سلب
عن القلعة غناها وافقرها، واقواها من ذخايرها واقفرها، واخلاها وقد

استصفى

استصفى منها ابيضها واصفرها، وطيرت هذه الامور اجنحة البشاير، واطارها على رغمه
في الافاق باسعد فال اسرع طاير، ذكر ما صنعه من امر مرموم، وهو في بلاد
الروم، من قصده بلاد الخطا، واستخلاص ممالك الترك والجتا، وافكاره
وهو في الغرب مشغول، في استصفاء سائر ولايات الشرق والموغول،
وكيف عاقه القضاء المبرم، بنازل الهب فؤاده واضرم، فصادمه الزمان
وعكس غرضه، وهذه كالجمل المعترضة، ثم ان تيمور كان قد استدعى من سمرقند
سبطه، محمد سلطان والامير سيف الدين ورهطه، كما ذكر اولا وكان محمد
سلطان هذا، للفضلاء ملاذا، وللعلماء معاذا، مخايل السعادة في غصون
جبهته لايحة، وبشاير النجابة من اسارير طلعته واضحة، شعر

في المهد ينطق عن نجابة جده … اثر السعادة لايح البرهان

وسيف الدين هذا هو احد رفقاء تيمور في مبداه، واس اركان دولته في منتهاه،
وهما اللذان كانا بنيا اشباره، واسسا فيها قواعد النهب والغارة، وهي
في نحر بلاد الموغول والجتا، واقصى حدود ما ينتهي اليه حكم تيمور ومبدا بلاد
الخطا، وولي بها اميرا يدعى ارغونشاه، وامداه بطوايف من العساكر وفي نحر
الموغول ارصداه، كل هذه الامور باوامر تيمور، ولما شرعا في ذلك، لم يرض
الموغول بهذا الفعل الحالك، لانهم كانوا يعلمون ان ذلك الافعى اذا جاورهم
لا بد انه في الفساد يسعى، فلا يامنون غايلته، ولا يطيقون مجاورته، فتشوشت
خواطرهم، وتكدرت ضمايرهم، فاستوفزوا للفرار، واخلاء الديار،
فزاد الجغتاي فيهم طمعا، ومد كل من اشرار الطايفتين الى الاضرار يد
التطاول ورجل الفساد وسعى، وشرب كاسات التجرم فاكل ما حل بيده
وما تزهد في تعففه وورعى، وفرح الجغتاي بذلك، ووقعت العداوة بين
الجانبين فسد كل على الاخر طرق المسالك، وجعلوا يرسلون اليهم
السرايا، ويجلون مما يصل يدهم اليه من متعلقاتهم البلايا، وجعل

الموغول ايضًا يفعلون مع الجغتاى ذلك، وتربصوا بتيمور لبعده عنهم ريب
المنون وتشبثوا بعشويات الهالك، واتصل الخبر بتيمور، فتزيد لك اشد
الشرور، ثم انهما حصناها بالاهبة الكامله، والعدة الشامله، والرجال
المقاتله، منهم طايفة من عساكر الهنود ومولتان، وقوم من جند عراق
العرب وادربيجان، وفرقة من فوارس فارس وخراسان، وشرذمة من اناس
تدعى جانى قربان، واضافوا هولاء الكماه، مع بوممان من باشاق الجغتاى
الى الامير ارغون شاه، ووصلا الى خجند، وقطعا سيحون وقدما سمرقند،
ووليا بها اميرًا يدعى خواجه يوسف، وكان فى قيد الطاعة والاخلاص
يرسف، ثم خرجا من سمرقند قاصدين ذلك العشوم، ثم انهما ماتا جميعًا
سيف الدين فى خراسان ومحمد سلطان فى بلاد الروم، فوقع تيمور فى
الاحزان على حفيده محمد سلطان، ولبس عسكره السواد، واقاموا شرايط
الحداد، ولم يكن بهم حاجة الى السواد المعلم، فانهم كانوا هم السواد
الاعظم، ثم جهز عظامه فى تابوت، الى سمرقند مع عظموت فى جروق،
ورسم ان يتلقاه اهل المدينه بالنوح والبكا، ويقيموا عليه شرايط العزا، وان لا
يبقى احد من العباد، الا ويلبس من فرقه الى قدمه السواد، فخرج اهل سمرقند عند
موافاته، وقد انغمسوا فى السواد لملاقاته، وصار الشريف والوضيع، والدنى
والرفيع، بالسواد معلمًا، فكانما اغشى وجه الكون قطعًا من الليل مظلمًا،
فدفنوه فى مدرسته الحسينه، المعروفه بانشائه داخل المدينه، وذلك فى
سنة خمس وثمان مايه، ولما اهلك الله تعالى جده، دفنوه كما سياتى ذكر
ذلك عنده، ذكر حلول غضب ذلك الصياد، على الله داد، ونفيه اياه
الى اقصى البلاد، ولما توجه النقل من ماردين صحبة الله داد، وفارقه تيمور متوجهًا
الى استخلاص بغداد، وكان الله داد لذ انداد، واكفا وحساد، واعدا
واضداد، والحسد فى عنق صاحبه غل قمل، وتحاسد الاكفا جرح لا يندمل،

وجد

وجد اعداؤه للطعن فيه مجالا، وفى مقام ثلب عرضه مقالا، فانتهزوا فرصة غيبته،
واكلوا بلا ملح لحمه وتنقلوا بغيبته، ووشوا به الى تيمور، وذكروا ما فعل فى الشام
من الامور، وانه التمس من ذخايرها ما لا يحصى، واختلس لنفسه من نفايسها وتعلق
به من اعلاقها ما لا يستقصى، وكان كما قالوا، وما اهملوا اكثر مما نالوا،
فبددوا امره، واوغروا عليه صدره، لا سيما وقد قص جناحه بموت سيف
الدين اخيه، وكان من الابهة والمهابة بحيث ان تيمور يخافه ويرتجيه، وله فى ممالك
ما وراء النهر ماثر مشهوده، ونتايج فكر بافقة معهوده، فلما وصل الله داد الى
سمرقند، اعقبه تيمور مرسومًا من عنده، بان يتوجه الى اشباره، ويستعد هناك
للنهب والغاره، وذلك كالنفى لالله داد، والقايه فى اقصى البلاد، وطرحه فى
بحر المخالفين وثغر ذوى العناد، وانتقل منها الى سمرقند ارغون شاه، ولم يزل بها
الله داد الى ان انتقل تيمور الى لعنة الله، فجعلت الموغول تحضر الى اشباره الفالق،
وتنهب ما تصل اليه يدها من صامت وناطق، وتغتنم الفرصه لبعد تيمور عنها،
وكان الله داد يحترز اشد الاحتراز منها، وهو مع ذلك يجهز لهم التجاريد، ويجهز
لهم بالمكر الاباير والاخاديد، ويقتل وياسر، ويطحن ويكسر، حتى افنوها بعد تيمور
وسياتى ذكر هذه الامور، انموذج يدل على عموم ذلك البحر المحيط، وما كان
تصل اليه غواص فكرى النشيط، ثم لما كان تيمور المشوم، مخيمًا ببلاد الروم،
ارد الى الله داد من اسله، فيها امور مجمله ومفصله، امره بامتثالها، وارسال
الجواب بكيفية حالها، ومنها ان يبين له اوضاع تلك الممالك، ويوضح له كيفية
الطرق بها والمسالك، ويذكر له مدنها وقراها، ووهدها وذراها، وقلاعها
وصياصيها، وادانيها واقاصيها، ومفاوزها واوعارها، وصحاريها وقفارها،
واعلامها ومنارها، ومياهها وانهارها، وقبايلها وشعابها، ومضايق طرقها
ورحابها، ومعالمها ومجاهلها، ومراحلها ومنازلها، وخاليها واهلها، بحيث
يسلك فى ذلك طريق الاطناب الممل، ويتجنب ماخذ الايجاز وخصوصًا المخل،

وبذكر مسافة ما بين كل منزلتين وكيفية المسير بين كل مرحلتين من حيث ينتهي
اليه طاقته ويصل اليه علمه ودرايته من جهة الترف وممالك الخطا وتلك
الثغور والى حيث ينتهي اليه من جهة سمرقند علم تيمور وليعلم ان مقام البلاغة
في معاني هذا الجواب هو ان يصرف فيه ما استطاع من حشو وتطويل واطناب
وليسلك في بيانه الطريق الاوضح من الدلالة وليعدل الطريق الخفي عن م
في هذه الرسالة الى ان يفوق في وصف الطلال وحدود الرسوم وتعريف
الدمن مصفعة النسيج والقيصوم فامتثل الله ذاد ذلك المثال وصور
له ذلك على احسن هيئة وانق تمثال وهو انه استدعى بعدة اطباق من
نقي الاوراق واحكمها بالالصاق وجعلها مربعة الاشكال ووضع عليها
ذلك المثال وصور جميع تلك الاماكن وما فيها من متحرك وساكن واوضح
كل الامور حسبما رسم به تيمور شرقا وغربا بعدا وقربا يمينا وشمالا
مهادا وجبالا طولا وعرضا سماء وارضا مردا او شجرا عبرا او خضرا منهلا منهلا
ومنزلا منزلا وذكر اسم كل مكان ووسمه وعين طريقه ورسمه بحيث انه
بين له فصله وعيبه وابرز الى عالم الشهادة غيبه حتى كانه مشاهده
ودليله ورايده وجهز ذلك اليه حسبما اقترحه عليه كل ذلك وتيمور
في بلاد الروم يمور ذكر ما فعله ذلك المكار عند تجهيز امر الروم من
الغدر بالتتار ولما صفا لتيمور شرب ممالك الروم من الكدر وقضى
الكون من افعاله العجب واهل الروم النحب وجيشه من الغارة الوطر
وامتلا من المغانم وادي سيله العرم وكان فتى الربيع قد ادرك وشيخ الشتاء
قد هرم واندرج الى رحمة الله المجيد السلطان السعيد الغازي الشهيد
ايلدرم ابو يزيد وكان في قفص من حديد واما فعل ذلك تيمور قصاصا
لما فعله قيصر مع سابور وكان قد قصد استصحابه الى ما وراء النهر
فتوفي معه ببلاد الروم في اق شهر وفي هذا المكان توفي حفيده محمد

عن م

اندراج السلطان الشهيد ايلدرم بايزيد لرحمات الله بالوفاة

سلطان

سلطان عزم على الرحيل وحزم احمال التحميل ثم جمع رؤس التتار وقد اضمر
لهم الدمار والبوار وقال قد آن ان اكافيكم بما صنعتم واجازيكم بما فعلتم
ولكن قد اضربنا المقام ومللنا الاقامة في مضايق الاروام فهلموا نخرج الى
الفضاء الفسيح ونشرح صدورنا من ضيق الزمان والمكان في المهامه الفيح
ضواحي سيواس متنزه الناس ومثوى الاكياس فهنالك نضبط احوال
هذا الاقليم الوريف ونقرر كلا منكم فيه حسبما يقتضي راينا الشريف
فانه لا بد من تفصيل جمله وامعان النظر في كيفية تدبيره وعمله وحصر
مدنه وقلاعه وضبط قراه وضياعه وحسبان نواميسه واقطاعاته والاحاطه
بافراده وجماعاته فاذا فصل لنا ما اجمل ووضح عندنا ما منه استشكل
فحصنا عن رؤسكم وجماجمكم وتوصلنا الى معرفة اخباركم وتراجمكم
وجمعنا رؤساكم وحصرنا زعماكم واحصينا اعدادكم واستقصينا اباكم
واجدادكم واعتبرنا اخوانكم واولادكم ونظرنا متعلقيكم واحفادكم
وتحققنا اشعار الروم ودثارهم اورثناكم ارضهم وديارهم ثم فرضنا
هذه المسئلة على اعداد الرؤس وقسمنا تفاريق هذه الممالك على النفوس
ثم رددناكم اليها مكرمين وكفيناكم دعا الكم العلة اذ كنتم عاشنا
معولين وعلى كل حال فانا نفعل مع كل منكم ما يجب فعله ونبقي عليكم
من افعالنا ما يخلد في بطون الدفاتر والتواريخ نقله فكل منهم ارتاح
لهذا القول وعول في هذه المسئلة على موافقة الرد ولم يعلم ما فيها من
الغول فلما توافقوا على هذه الحركة بنفس ساكنة لم يقع منهم في
هذه الموافقة على كثرة عدد رؤسهم المتماثلة مباينة فسار بالناس
حتى بلغ سيواس فصل ولما برز كام ركابه المنزل كم في آفاق سيواس ورعد
وجاز له ان يفي لطايفة التتار بما وعد جلس جلسة عامة واقام من
زبانية الجند طايفة طامة ثم دعا من التتار الوجوه والرؤس والظهور

والضروس ومن تخشى مضرته وتتقى معرته والمردة من شياطينهم والعتاة
من اساطينهم فاستقبلهم بوجه طلق ولسان بالحلاوة ذلق واجلسهم
مكرمين في مكانهم وزاد في تمكينهم وامكانهم ثم قال قد كشفت
بلاد الروم ونواحيها وتبينت جميع قراها وضواحيها وقد اهلك الله
عدوكم واستخلفكم فيها وانا ايضا افوض ذلك اليكم واذهب عنكم
واستخلف الله عليكم ولكن اولاد ابي يزيد غير تاركيكم ولا يرضون بان
يكونوا فيها مشاركيكم واما صلحهم فقد سدت فيما لكم مع ابيهم
طريقه فلا مجال لكم الى شر بعينه على الحقيقه ولا شك انهم يرأبون
صدعهم ويذيبون جمعهم ويستوحون عليكم اهل المدر والوبر ويلبيهم
بالاجابه كل من يبلغ دعوتهم لانكم في زعمهم آل غدر فيلبسون لكم
جلد النمر ويصلونكم الجمر بكل آمر ومؤتمر فيتفرصونكم من كل جانب
ويختطفونكم من الاطراف والجوانب لا سيما وبيدهم غالب الحصون
والدساكر وتحت اوامرهم من بقي من طوايف الجنود والعساكر فان
كنتم كما انتم في الناس فوضى فانهم يخوضون في دمايكم خوضا فعوا
واسمعوا وان كنتم لم تعقلوا ولم تسمعوا شعر

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سادوا

واما انا فلست منكم بدان ولا لي في المدافعه عنكم بدان فلابد
لعقد امركم من نظام وللصلاة جماعتكم من شرايط واركان يجب القيام
بها اولا والسلام واول شرايط ذلك امام يرجع الى الاقتدا بافعاله
الخواص والعوام ثم بعد ذلك ترتيب الجماعه وتنزل كل واحد في صف
السمع والطاعه ثم وضع الاشيا في محلها وزمام المناصب والوظايف
في يد اهلها وايصال كل مستحق الى استحقاقه وجمع الراي على
امر واحد باتفاقه فاذا اتفقت اراوكم وائتلفت اهواوكم عظمت

ابناوكم وكبتت اعداوكم وكنتم يدا واحدة على من ناواكم وانتصرتم على من خالفكم
وعاداكم وكان ذلك احرى ان لا تمتد اليكم بمكروه يد ولا ينالكم من مخالفكم
كيد ولا كد وهذا انما يتم بالنظر في احوالكم والتفحص عن امر خيلكم
ورجالكم وضبط الاهبة والسلاح فان ذلك آلة الظفر والفلاح فليذكر
كل منكم ولده واهله وليحضر خيله ورجله وليأت بعدده وعدده وجنده
وولده وليعرض ضرورته ان كانت ولا يستصعبها فقد هانت فمن كان
محتاجا الى اكمال شي اكملناه ومن كان مفتقرا الى ايصال شي اوصلناه واضفنا
الى كل ما يجب اضافته فيحصل امنه ويذهب مخافته فاول شي اعرضوا
علينا سلاحكم حتى نكمله ونعمل صلاحكم فاحضر كل منهم اهبته وعرض عليه
عدته وطرحوه في ذلك الجمع النظيم فتراكم فكان كالطود العظيم كما
فعل اول الزمان باهل مدينة سجستان فلما سلب تلك الاسود براثنهم
وانيابهم بهذه الاساليب وخلب اولئك الكواسر الجواسر على منافيرهم والمخا ليب
واولج صارم فكره الذكر في احشاء عقولهم وازل وصار سماك سماء عزهم
الرامح وقد نحره سعد الذابح الاعزل امر كل من عنده احد من التتار ان يقبض
عليه ويوثقه بقيد الاسار ثم امر برفع تلك الاسلحة الى الزردخانه وقد
اشعل قبايل التتار بجمر البوار واصعد الى العيوق دخانه ففت ذلك من اعضا دهم
وبت من اكبادهم وقصم ظهورهم واشعل نارهم واطفا نورهم ثم تلافى خواطر هم
بالمواعيد الكاذبه واستعطف قلوبهم بالاماني الخايبه واستصحبهم بالاقوال
المموهه والافعال المشوهه وحال بهم الحال وامر في الحال بالمسير
والترحال وقيل ان السلطان ابا يزيد قال لذلك العنيد اني قد
وقعت في مخالبك واعلم اني غير ناج من معاطبك وانك غير مقيم في هذا
الاقليم ولي اليك ثلاث نصايح هن خير الذراين لوايح اولاهن لا تقتل رجال
الاروام فانهم ردء الاسلام وانت اولى بنصرة الدين لانك تزعم انك من

المسلمين ، وقد وليت اليوم امر الناس ، وصرت لبدن الكون بمنزلة الراس ، فان
حصل لو نوى اتفاقهم من تعدى يدك بسط وتكثير ، تكن فتنة في الارض وفساد
كبير ، ثانيهن لا تترك التتار بهذه الديار ، فانهم مواد للفسق والفساد ،
فلا تهمل امرهم ، ولا تومن مكرهم ، فخيرهم لا تعدل شرهم ، ولا تذر على ارض
الروم منهم ديارا ، فانك ان تذرهم يملأوها من قبايلهم نارا ، ويجروا من دموع
رعاياها ودمائهم بحارا ، وهم على المسلمين وبلادهم اضر من النصارى ، وانت
حين تجدهم عني زعمت انهم اولاد اخوتك ، وبنوا عمك وذووا قرابتك ، والاولى
بجماعتك وناسك ان تتبعك ، وبكل من اولاد اخيك ان يقول لك عمي خذلني
معك ، فاعمل افكارك المصيبة في اخراجهم ، واذا ادخلتهم حبسا فلا تطمعهم
في افراجهم ، ثالثهن لا تمدن يد التخريب الى قلاع المسلمين وحصونهم ، ولا تجلهم
عن مواطن حركتهم وسكونهم ، فانها معاقل الدين وملجا الغزاة والمجاهدين ،
وهذه امانة حملتكها ، وولاية قلدتكها ، فتقبلها منه باحسن قبول ،
وحمل هذه الامانة ذلك الانسان الظلوم الجهول ، واستكثرها على عقل ابن
عثمان ، ووفى بها بقدر الطاقة والامكان ، ذكر ارتفاع ذلك الغمام ، ٥
بصواعق بلايه عن ممالك الاروام ، وسار وثار غبار ، اخذ عين الشمس منه
الانبهار ، وفار بحار التتار ، وكان البحر امده الله تعالى بسبعة بحار ، فلم لا يدخل
قرية الا افسدها ، ولا ينزل على مدينة الا ابحاها وبددها ، ولا يمر بمكان
الا دمره ، ولا ينجذب عن ربقة طاعته جيد الا كسره ، ولا يمتنع عليه شمراخ
حصن شامخ الا قهره ، فخلع على عثمان قرا يلوك حين وصل الى ارزنجان ، وقرره
في ولايته وزاده بعض معان ومغان ، ووصاه بتمرتاش الذي ولاه قلعة كماخ ،
وان يكون من كل منهما للاخر قوة وطباخ ، ذكر انصباب ذلك العذاب
ماء ونارا على ممالك الكرج وبلاد النصارى ، ثم لم يزل يلتج بذلك البحر اللج ،
حتى ارسى على بلاد الكرج ، وهم قوم يعبدون المسيح ، ملكهم عبد قسيح ، ولكنه

مصون بواسطة قلاع وحصون ، ومغاير وكهوف ، وجبال وجروف ، ٥
وقلال وحروف ، كل من ذلك اعصى في المنال ، من نفس كريم شيم شم
الانذال ، ومن مدنهم تفليس ، وكان اخذها ذلك الابليس ، وطرابزون
واب خاص ، وهي التخت بالاختصاص ، فمنعت هذه الاماكن عليه ،
ولم تسلم قيادها اليه ، فاقام يحاصرها ، وقعد يناقرها ويناقرها ، فمن ذلك مغارة
بابها في وسط جرف شاهق ، امنة من البوايق ، سالمة من الطوارق ، سقفها امن
من صواعق المجانق ، وذيلها ارفع من ان تتشبث به علايق المسالق ، مدخلها
اخفى من ليلة القدر ، وعدم التوصل اليها اجلى من القمر ليلة البدر ، فاولع
بمحاصرتها ، والتزم بمشاجرتها ، واستعمل فكره مهندسه ، وجعل الانفس
من الافكار والوسوسه ، ثم انتج رايه المتين ، وفكره الرصين ، ان يرسل
عليها عذابا من فوقها ، وان يصطاد تلك الحمامة الصاعدة في الجو بارجلها
من طوقها ، فامر ان يصنعوا له توابيت على هيئة الدبابات ، كانهن شياطين
النساء للرجال غلابات ، واوثقهن بالسلاسل المحكمة ، واوثقهن بالرجال ذوي
الشكيمة ، وادلاهن من تلك القلال ، واهواهن من شواهق الجبال ، فتدلين
في الهواء تدلية مبرم القضا ، فملان النفانف ، وارجفن من الجبال والرجال
الروانف ، وصار لسان حال تلك الصقور والشواهين ينادي كل من راه
الم تروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ، فحين وازوا
باب تلك المغاره ، اكبوهم بالنبال السحاره ، وكشفوهم بالمكاحل الطياره ،
وهاوشوهم بانواع الاسلحه ، وناوشوهم بالاوهاق والكلاليب المفلطحه ،
فلا زالت تلك الجوارح في الهواء صافات ويقبضن ، يقبلن الى ذلك الوكن
حايمات عليه ولا يعرضن ، ينفرن شره اهله بمناقير المناقيب ، وينشبن
فيهم مخاليب الكلاليب ، ويكره الناس بما نعهم على الولوج ، وتستعين في
مدافعتهم بمن فيها من العلوج ، فلم ينشب احدا ولئك الجوارح ، ان انشب

فى الباب كالوبه الجارح، ثم استعصد الفتح واستنهض الظفر، واعتمد على الله
ومن ذا تابته الى الوكن طفر، فاحتضنه ساعد المساعدة، واكتنفه عضد
المعاضدة، وقبض على رسغه كف السلامة، فنكصت النصارى على عقبهم
امامه، ولم يزل وحده مبيدهم، حتى قتل اوباشهم وصناديدهم، ثم
ادخل رفقته فيها، واخرجوا ما كان فى مخابيها، واسم هذا الرجل لهراسب
ستة احرف ليس فيها غير متحركين اللام مضمومة والهاء، والراء مفتوحة
والالف والسين والباء، واجتماع ثلاث سواكن فى الفارسى كثير، وفى
التركى ايضا موجود ولكنه عزيز غير عزيز ومن جملة هذه القلاع قلعة
شاهقة، حروف ذاتها حروف اسمها مناعتها ناطقة، لا يتمثل فى فتحها
لارتفاعها لعل وليت، لان اسمها كما زعموا كل كوز قيت، اى تعال
انظر ارجع بمعنى انه لا يبالى الوافد عليها، سوى النظر اليها، ثلاثة اطرافها
مبنية على قلل اكام، شمخت على ما حواليها من الهضاب فهى علم الاعلام
اعلام، وطريقها من الوجه الرابع وهو دقيق فى سلوكه عسر، ينتهى بعد انواع
المشقة الى جرف مقطوع بينه وبين باب ذلك الحصن جسر، اذا ارتفع ذلك
الجسر سدت دون الوصول الى الحصن الحيل، واعاد كل من لاذ بقلته بين
بنيه فصيح ان يقال له معاذ بن جبل، فلما اطلع على حقيقة امرها، وانكشف
له منشور خبرها، اى ان يرحل عنها، الا ان يصل الى غرضه منها، ولم يكن
بالقرب منها مكان ينزل فيه، ولا من يحمل ذلك البحر الطامى ويجوبه
بل انما كان حواليها جروف وهضاب، غضون جبينها كانها وجه شوهاء ناشز
عن زوج محب عفاف فى عقاب، فطمع منها فى غير مطمع، ونصب سرادقه بحيث
كان منها بمراى ومسمع، وصار من عساكره الاسود الخوادر بيننا وبين جارها
ما بين وارد وصادر، وهم يرفعون الجسر بالنهار، فيامنون مكايد القتال والحصار
لانه قد تقدم انه لم يكن حواليها مكان للقتال، ولا مفحص قطاة يتمكن منه

للنصال، وكانوا يرمونها بالنهار على بعد بسهام الاحداق ويرضون منها بنظر
من بعيد كقانع العشاق، فاذا اجنهم الليل شمروا الى جهة مخيمهم الذيل
لانه لم يمكنهم حواليها مبيت ولا مقيل، فتضع النصارى الجسر ويرمون الى
حاجاتهم السبيل، فلما لاح لديه امارات الحرمان، وبان له ان امل ظنه
من فتحها قد مان، كما قلت شعر

واعظم شىء فى الوجود تمنعا ، نتاج مرام من عقيم زمان

صمم العزيمة على الرحيل، ولكن خاف العار فطلب لهذه المسئلة الدليل والتعليل

ذكر سبب اخذه لهذا الحصن المنيع، وبيان معانى ما جرى فى ذلك من صنع بديع

وكان فى عسكره شابان نديدان اسدان حديدان، يتشابهان فى الخلق والخلق
لم يكن بينهما فى الرجولية والشجاعة كثير فرق، يتجاريان كل وقت فى
ميدان المناقب لاحراز قصب السبق، فكانا كفتى ميزان، وفى مضمارهما فرسى
رهان، فاتفق ان احدهما صادف علجا من الكرج، فى الجراة كالاسد وفى الجثة
كالبرج، فنازله ثم قتله، وقطع راسه والى تيمور حمله، ففخم شانه
واعلى على الاقران مكانه، فاثر ذلك فى نديده، وكانه قطع حبل وريده، ثم افتكر
فى شىء يصنعه، يضع من نديده ويرفعه، وكان اسمه بير محمد ولقبه
قنبر، فلم ير اكبر من مراقبة ذلك الجسر ولا اشهر، فاعتمد على الله سبحانه
وخدعه، واستكمل ما له من اهبة وعدة، ورصد نجمه فى بعض الليالى
واطائى مكان خال، ولا زال يترقب النجوم، ويترصد عليهم طوالع الانقضاض
والهجوم، ويتسبر تلك القنن بيديه ويذرع، ويمشى تارة على بطنه واخرى
على اربع، الى ان طرح الصوت نقابه، وسلخ الجو اهابه، ورجع النصارى
الى كنزهم، وتعاودوا على رفع جسرهم، ظفر بير محمد الى الجسر فقطع حباله
وتابع عليهم من خبيئته نباله، ولم يمكنهم من دفعه، ولا غير موضوعه عن
وضعه، فتراكموا عليه بالنبال والاحجار، وارسلوا عليه من ذلك السماء

المدار، وهو لا يرجع عما هو بصدده ولا يلتفت الى جنبه، ويتلقى ما يصدر
من مراسيم نبالهم واحجارهم بالقبول على رأسه وعينيه، ولم يزل على المكافحة
والمناصحة، والمكاشحة والمكالحة، حتى تعالى النهار، وعض الكون من
فعاله انملة العجب واخذ عن المكان الانبهار، وكان المحاصرون لها كفوا
عن القتال، وتيمور قد عزم كما ذكر على الترحال، وكان سرادقه منصوبا
بمكان عال، فناداه لسان الفتح، وخاطبه منادى النجح، شعر

لا تيأسن من مطلب، قطع الورى اسبابه،
ان اغلقوا ابوابهم، فالله يفتح بابه،

فرأى على باب القلعة من بعد كان ناسا يتواثبون، واشباح طايفة يتكالبون
ويتضاربون، فقال لقبيله اى اولى النجدة والعون، انى ارى ما لا ترون، فانعموا
معى النظر، ثم اسرعوا نحو المعسكر، واتونى بحقيقة الخبر، فاندفعوا يستشرفون
لذلك خبرا، ويستكشفون لسرايره سترا، وهم ما بين عاد من اليمن اعدى
وجار من الاسد اجرى، وكل منهم فى عدوه وعدوانه تأبط شرا، ولم
يزالوا يتجارون على ذلك ارسالا لا وترا، كانهم الشياطين نفاض ووثاب
وعدا، وهلم جرا، حتى ادركت مقدمتهم ابن محمد، وهو فى غمار الموت بناره
يتوقد، وقد صار لسهامهم غرضا، وكاد جوهره ان يصير عرضا، فلما راهم
من بعيد عاش، وحصل له الانتعاش، وزال عنه الارتعاش، وتلاحقت
بهم الصناديد، فكعت عنهم تلك الافيال الرعاديد، وحين عجزوا عن
رفع الحجر وولوا الاعقاب، عزموا ان يدخلوا الحصن ويوصدوا الباب،
فاختلط ابن محمد معهم، ودخل الحصن ومن ابصاده منعهم، فدقوه بالسيوف
ورضوه باحجار الحتوف، وهو يابى الا المدافعة، ويجتهد فى مراجعة الممانعة،
لا يشعر بما ناله من رض الحجر وجراح الحديد، كانه منا له عراه الفنا
فى الفنا فى التوحيد، الى ان غشيتهم تلك الليوث، واندفقت عليهم بصواعق

جراءة

الغضب من سماء النجدة سيول الغيوث، فتشبثت اسود المنايا بتلابيبهم، وخلصوا
ابن محمد من مخالبهم، ثم قبضوا على النصارى، واخرجوا اموالهم نهبا وحريمهم
سبايا واولادهم اسارى، وحملوا الى تيمور ابن محمد، واخبروه بما قصده فى
ذلك وتعمد، وتفقدوا ما به من جراح أدمى، فاذا هى ثمانية عشر جرحا كل
منها بضعى، فشكر له فعله، ووعده مواعيد جزله، واحله المحل العزيز
وجهزه الى تبريز، وامر بعد الوصية به الامرا من النواب والروسا، ان يجمعوا
عليه كل نطيس من الاطبا، وخريت من الاسا، بحيث يبذلوا فى معالجته جهدهم
ويستوعبوا فى اساه كدهم، ويتنوقوا فى المعالجة فتسمى العلم والعمل
فامتثلوا مراسيمه، وعالجوه بما امكنهم وازاحوا العلل، فاندملت جروحه
وربت احسن مما كانت قروحه، فلما نصل، والى تيمور وصل، جعله احد قواده،
ورئيس طايفة من اجناده، وقدمه على كثير بعد ان كان خلف، وصيره
امير مائة مقدم الف، **تتمة ما جرى للكرج، مع تيمور شيخ العرج،**
وهذه القلعة والمغارة كانتا عينى قلاع الكرج، وبازا اعلامهم والبواقى شرج
فحين قلعت من وجوههم عيناهم، تيقنوا ان قد نزل بهم عناهم، واحاط بهم عزاهم
فانحلت قواهم، وانخرمت عراهم، وقعدت بهم الحيلة وقامت عليهم القيامة
وتحمت بهم الى جهنم الزبانية واسلمتهم السلامة، وتفال تيمور بحصول الفلج
وانثنى عزمه الى استخلاص ممالك الكرج، وابثت شياطينه فيها فهزتهم هزا،
وقدت ثوب حياتهم قدا وجزتهم جزا، وحاطتهم اكفان المنايا بالسلاح فا وسعتهم
شلا وكفا ودرزا، وتلا عليهم لسان الانتقام الم تر انا ارسلنا الشياطين على
الكافرين تؤزهم ازا، **ذكر طلب الكرج الامان، واستشفاعهم الى ذلك الجان**
بجارهم الشيخ ابرهيم حاكم شروان، فاستدركوا تقصيرهم، واستنهضوا تدبيرهم،
ورقعوا خرقهم قبل الاتساع، ووصلوا حبل حيوتهم قبل الانقطاع، واستغاثوا
الامان الامان، واستعانوا فى خلاصهم بالشيخ ابرهيم حاكم شروان،

الشيخ ابرهيم حاكم شروان

والقوا الى ايادى تدبيره الزمام • ورضوا ان يكون لجماعتهم وان كان على غير ملتهم الامام • وجعلوه خطيب ذلك الخطب • واستحلوا ما ثمر لهم سحابته من يابس ورطب • وكان اذ ذاك وجيوش المصيف بجمع الكرج قد ولت • وجنود الخريف والشتاء كجيش تيمور قد اظلت • وسلطان الاجرد • قد صقل فرند المياه وجرد • ورفع من الاغصان الاعلام السلطانيه • ونصب على قلل الجبال الصيوانات البلاريه • والبس متن الغدير من نسيج نسيم الاصيل الدروع الداوديه • فكان ما فى الكون من جوامد ونوام • من جملة عساكر تيمور حام له او محام قلت

واذا اراد الله نصرة عبده • كانت له اعداؤه انصارا
واذا اراد خلاصه من هلكة • اجرى له من نارها الانهارا
فترى العقول تقاصرت عن نوكه • وترى له فى شوكه ازهارا

فدخل الشيخ ابرهيم عليه • وقبل الارض بين يديه • وحياه بتحية الاكاسره من الملوك • ووقف فى مقام اصغر مملوك • ثم استاذن فى الخطاب • واستلطف فى رد الجواب فاذن له فقال ان عموم شفقة مولانا الامير • وحسن حنوه على المسكين والفقير • وشمول عاطفته الكريمه ورحمته المنيفه • حملت المملوك على عرض ما عن له على الاراء الشريفه • وهو انه بحمد الله تعالى المرام حاصل • والمراد على وفق الاختيار متواصل • والولى مجبور • والعدو مكسور • وهيبة مولانا الامير فى الشرق والغرب • اغنته عن الاستعداد للضرب والحرب • ثم ان العساكر المنصوره اكثر من ان تحصى • وفيهم من الاسرى والرقيق الحال ما فات الاحصا • وخصوصا جماعات التتار • الذين ولى سعدهم الادبار • واحلوا قومهم دار البوار • فداخلهم البرد • وتردد نفس حظهم بين العكس والطرد • فان استمرت الامور على هذا الدستور • رق الجليل وهلك الرقيق ودق العظيم وانطحن الدقيق • وهذه البلاد بل وسائر الاقاليم • محال الا

بامرك ان تستقيم • وان رؤساها من الفجره والفسقه • علموا ما لمولانا الامير على مملوكه من الحنو والشفقه • فتراموا لعلة المجاوزة على المملوك • ورجوا من الصدقات الشريفه ما يرجوه من الغنى الكريم المحتاج الصعلوك • ومهما برزت به المراسيم المطاعه • تلقاه بالقبول كل من المملوك وهولاء الجماعه • وقابلوا اوامره الشريفه بالسمع والطاعه • وان كان المقصود جمع مال • فالمملوك يقوم به على كل حال • واين للمملوك مال الا من صدقات مولانا الامير • وما قصد المملوك بذلك الا رفع الكلفة عن الجانبين وتيسير الامر العسير • ورعاية لحق الجوار • عملا بقوله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصينى بالجار • والراى الشريف اعلى • واحرى ان لا يخيب رجا المملوك واولى • فاجابه الى سواله • وطلب منه مالا عوضا سوا كان من مالهم او من ماله • فقال الشيخ ابرهيم • انا به زعيم • وابلغ ذلك الى خزائنه اتم ابلاغ • ثم رحل واكمل شتويته فى قراباغ • وذلك فى سنه ست وثمانمائه

ذكر ثنى عنانه • الى اوطانه • وقصده بلاده • بعد استكماله فساده •

ولما رتبت ماشطة الكون عروس المكان • واقام من الجمادات قوام الزمان • ونتجت القوى النامية • وتبرجت مخدرات القرى الشاميه • وشبت الجمرات • ودبت الحشرات • تحرك للرحيل ذلك الافعى • ونفث على هوام اموات الزمهرير من احيا عساكره فاذا حية تسعى • فدق الكوس فجاوب صداه الرعد القاصف • ولمعت مرايا اللبوس فانعكس منها ايماض البرق الخاطف • وعرض خيوله فى التروس فاحاط بالاطواد قوس قزح • وسير خيوله فى اللبوس فتحللت كتائب الكثبان بشقيق الورد والريحان جايلة فى ذلك البر المنتزح • ومارت الجبال فمرت الجبال مر السحاب • وسارت الرعال فصعد العنان من النقع الضباب • وشرعت الذوابل فاذا رطيب الاغصان متمايل • وهزهزت القواصل فانساب فى القصيل

مرهف الجداول، ولصلصت ألسنة الخناجر والنيازك فبرزت عذبات العذبات
ونشرت أعلام الكتائب فانبثت تشاهير الأزاهير على عقبات العقبات، وعلى
الجملة فإن الربيع حاكى بروقه بوارقه، وبرعوده صواعقه، وبخمائله
وروابيه زرابيه ونمارقه، وبركامه قتامه، وبشقائقه أعلامه، وبأشجاره
المزهرة خيامه، وبأغصانه رماحه، وبعواصف أمره وهبه رياحه، وبكتائبه
السود كتبه الخضر، وبأزهاره الزرق مارقة الزهر، وبسيوله الجحافه
مسير جحافله، وباضطراب بحر قبائله تموج خمائله، عند هبوب أصائله
واستمر بين ذلك الغرار والرند، قافلا بالبال الفارغ إلى سمرقند، فسار
والسرور نديمه، والحبور خديمه، والأشر والنشاط مسامره، ومن
التفريط والإفراط موارده ومصادره، حتى قطع ولايات اذربيجان، وحل
ركابه بممالك خراسان، وفي خدمته ملوك الأقاليم وأرباب التيجان

ذكر نهوض ملوك الأطراف لاستقباله، ووفودها عليه مهنئة له بحسن ماله

ولما تسامعت أقطار البلدان أنه قفل قاصدا الأوطان، أقبلت
إليه الملوك من أطرافها، والمرازبة من أكنافها، وسارع إلى استقباله
المدارة والجحاجح، وبادر من ما وراء النهر وغيرها السراة والمراجح، وتطاير
من الأقاليم أساطينها، ومن الولايات والثغور ملوكها وسلاطينها،
ومن كان مرابطا في ثغر، أو مواطنا على أكيد أمر، أرسل نائبه أو قاصده
أو حاجبه أو رائده، يباشرون بقدوم أقدامه، ويهنئونه بما فتح عليه
من هنده وعراقه، وروميه وكرجه وشامه، ويقدمون التقادم
والحمولات، ويبثون الضيافات والإقامات، ثم أردفهم السادات
والعلماء، والمشايخ والكبراء، ورؤساء المرازبة ومرازبة الرؤساء، فجعل
يسمت لكل منهم سمتا، ويأمره فيخضع بالسمع والطاعة إجلالا وصمتا،
ويمهد له فيما ولاه قواعد ومباني فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ثم جهز

كلا منهم

كلا منهم بما اقتضاه رأيه وأجاره، ووصل إلى جيحون وقد أعدت له السفن والمراكب
تجاره، فخرج أهل المدينة للاستقبال، وكل منهم منشرح البال ملتئم الحال،
فدخل سمرقند أوائل سنة سبع وثمانمائة، ومعه من طوائف الأمم الأشتات
والسبعون فرقة، وأكثرهم قدرية ومرجئة، ثم أذن لمن اختاره من العساكر
فتفرقت، ولطوائف جند ما وراء النهر فتمزقت،

ذكر توزيعه التتار إرسالا شرقا وغربا ويمينا وشمالا

فلما استقر به الدار، أخذ في توزيع
التتار، وكانوا ذوي عدة وعدد، وشدة وشدد، فخشي تسلطهم عند كثرة
شوكتهم وشدتهم، ولكن أبى الله عدتهم، فخاف لذلك حدتهم، فشتت
جمعهم، وأقوى من اجتماعهم ربعهم، فبددهم في فياف وبطاح، ووزعهم في
قفار وضواح، وبددهم في أشطار غبراء وبراح، وبددهم في أقطار بكاء ونواح،
فسدد بهم أفواه الثغور، وأوصد بظهورهم أبواب النحور، فجهز طائفة إلى
كاشغر، وهو بين حدي الخطا والهند أحد الثغور، ووجه فرقة إلى دوبرم في وسط
بحيرة تدعى ايسي كول، وهو ثغر بين ممالك تيمور والمغول، فساعدهم بعض
السعد، فانقطعوا عمن أضيفوا إليه كما ينقطع عما يضاف إليه بعد، فانضموا
منهزمين ولم يلووا، وأخذوا من صوب الشمال وخرجوا على الدشت إلى ايدكو،
ثم أضاف سائرهم، وقبائلهم وعشائرهم، من كل حزين أواه، إلى ارغون شاه،
وجهزه بعزم وحزم، إلى ثغور الدشت وخوارزم، وهذا كان
هجيره، وما بنى عليه أوامره وأموره، فإنه كان من الشياطين النقالة، وفي
المكر واللعب بالناس كذلك المحتالة، كلما بنى في قطر قلعة، أو استولى في
بحر من بحور المخالفين على رقعة أو بقعة، أنزل بها من العساكر من هو في أقصى
جهات تقابلها من الحصون والدساكر، ونقل إليها من بها من الرجال، إن كان
في الشمال إلى اليمين وإن كان في القبلة أو الجنوب إلى الشمال، فإنه لما
استولى على ملك تبريز وما والاه، استناب فيه ولده لصلبه أميرانشاه،

خدايداد اخو الله داد

وامده من الجغتاى بطايفة غلاظ شداد، منهم خداىداد اخو الله داد، ونقل الى اطراف
الخطا وتركستان طوايف من عسكر العراقين والهند وخراسان، وولى تيمور قلعة ابن
التكريتى الذى اخذ من الشام كما ذكرنا، بها مدينة شيرام، وهى عن سمرقند الى جهة
الشرق نحو من عشرة ايام، وولى بلغا المجنون نيابة شكى تلاش وراء شيرام بنحو اربعة
ايام، وهما كورتان مختصرتان، وراء سيحون من معاملات تركستان، وهما كانا اقل
من ان يذكرا، فضلا ان يصيرا حكاما وامرا، وانما فعل ذلك، لينتشر فى اطراف الممالك،
ان عنده من رؤساء الشام، جماعة من اعيان الاعلام، وان فى ممالكه من الخدم،
ورؤساء الامم، حكام العرب والعجم، وان ذلك الطرف جال وشطا، وملك ما بين
الشام والخطا فصل ثم اخذ يتفقد ما حدث فى غيبته، من امور بلاده ورعيته،
ويتفحص عن قضايا الممالك، ويسلك لملوكها المسالك، ويدبر مصالح الاطراف
والثغور، والاكناف والنحور، ويراعى احوال الكبير والصغير، ويتعاطى مصلحة
الغنى والفقير، ويضع الاشيا على زعمه فى محلها، ويرمم المناصب والوظايف
فى بداهلها، ويبادر بما قال الشاعر شعر

لله در انوشروان من رجل، ما كان اعرفه بالوغد والسفل،

نهاهم ان يمسوا عنده قلما، وان يذل بنو الاحرار بالعمل،

واخذ يربى السادات، ويكرم الاولياء ذوى الكرامات، ويجل العلم
واهله، ويعلى الفضل ويعز محله، ويقمع المفسد ويقلع المارق ويخنق الزانى
ويصلب السارق، حتى استقامت فى زعمه امور السياسة، وتمت على تورات
جنكيزخان قواعد الرياسة، ذكر ما ابتدعه من منكراته، وطبع بخاتمه خواتيم
سيئاته، ووافى باستيفا آيه رايد وفاته، ثم شرع فى تزويج حفيده اولوغ بيك

زواج شاه رخ

ابن شاه رخ النبيه، الذى هو فى يومنا هذا اعنى سنة اربعين وثمانماية حاكم
سمرقند من قبل ابيه، فامر اهل المدينة، ان يشرعوا فى الزينة، وان يرفع عنهم
الكلف والمظالم، ويعفوا من الطروحات والمغارم، ويبسط لهم بساط الامان

ويعامل

ويعامل الكبير والصغير والرفيع والوضيع منهم بالفضل والاحسان، وان لا يشهر فى
ممالكه سيف، ولا يجرى فيها ظلم ولا حيف، وان يخرجوا بزينتهم الى مكان نحو ميل من
ضواحى سمرقند، يدعى كان كل هواؤه اذكى من المسك وماؤه احلى من القند، كانه
قطعة من روض الجنان، غفل عنها خازنها رضوان قلت شعر

رعى فيه غزال الترك شيحا، فصار المسك بعض دم الغزال،

روايح هوايه الطف من نسيم السحر، وروايح مايه اعذب من ما الحيوة صفا بلا
كدر، وتغاريد طيوره الذ فى السماع من نشاز الناى على الوتر، قلت شعر

بساط زمرد نثرت عليه، من الياقوت الوان الفصوص،

وقلت شعر كان مدور الازهار فيه، وورد فى محاسنه تنضد،

صحاف من لجين او عقيق، ومرجان وياقوت وعسجد،

فهذى حشوها مسك فتيت، وهذى ضمنها تبر مبدد،

اراد الروض يجلوها علينا، فصاغ لها اكفا من زبرجد،

صاغ القوة الخيالية يتعلم خلط اصباغ النقوش من تشاهير ازاهيره، ومواشط
عرايس الجمال ترتزعوا توق الكمال من تحاريز نصاويره، قلت

كان رباه شيما وقت هبة، حصت بانواع الحلى مرصع،

افسح من امل حريص طامع، فى جاه غنى كريم نافع، وانزه للابصار والبصاير من غض
شباب زاه زاهر، ساعده الدهر بوجه بسيط وادب كامل، وعمر طويل ومال
وافر، وهو احد الاماكن المذكورة، والمنتزهات التى هى بالنزاهة والرفاهية
فى الدنيا مشهورة، ومبدا السعد الذى جهاته بالنعم موقرة موفورة، قلت

شعر، شقايقه خدود ناضرات، تخشى من سواد المقلتين،

عساكر تيمور مع انها البحر المتلاطم فيه، تضاهى بنى اسرايل فى قطر من اقطار
التيه، ثم امر الملوك والسلاطين، وارباب التيجان من الاساطين، ان
يخرجوا اليه، ويبنوا عليه، وقرر لكل منهم فى ذلك المرج مقاما، ورتبه

ميمنة وميسرة ووراء وأماما. وامر ان يظهر ما امكنه من تجمّل وتحسين. ونصب
ما له من خيام وقباب متكلفة بانواع النقوش والتزيين. ثم رتب من دونهم
من الكبراء والاعيان ورؤساء الامراء والاعوان في ذلك الروض الاريض
والمرج الطويل العريض. فاخرج كل منهم ما حواه. وكاثر نظراءه ليبطروا اما قدمت
يداه. وفاخر ذوي الفخار منهم وباهى. واستقصى في المباهاة والمفاخرة وتناهى
فنشروا مما طوت صحايف ايامهم. على جمعهم اياه سجلات آثامهم. من طرف اطراف
الاقاليم والامصار. وتحف جواهر المعادن والبحار. ونفايس ذخاير تبنوا عليها
النفوس والهبوا الانفاس. وعرايس اخاير سقوا عليها الكؤوس وخرقوا الاكياس
ما ازرى على زهر تلك الروضة الخضراء بالانجم الزواهر. واشرى منظره البهيج
سرايا المسرات الى سر السراير. فزاد حسن حديث ذلك المكان نما. وعلا قدره
بهجة على كل ارض وسما. ثم امر بسرادقاته فجعلت مركز تلك الداره. ونقطة
دايرة تلك الافلاك المداره. وهي سور محيط مضروب. على ما له من خيام
وقباب منصوب. له باب واسع. يدخل فيه من دهليز شاسع. الى ما به من
معان ومغان. وله قرنان شامخان. تنكس لهما الرؤوس. وتذهل عند مشاهدتهما
النفوس. ولاجل هذين كان يلقب ذا القرنين. ونصبوا له داخل هذا الجناب
عدة من الخيام والاخبية والقباب. ومن جملتها قبة اعلاها واسفلها مزركش
وظاهرها وباطنها بلب الريش مريش. واخرى كلها بالحرير محبوكه. وبانواع النقوش
والوان الاصباغ مبنية مشبوكه. واخرى من فرقها الى قدمها مكللة باللالي
الكبار. التي لا يعلم قيمة احديها الا عالم الاسرار. واخرى مرصعة بانواع
الجواهر. على صفايح الذهب مدهشة للابصار والبصاير. وجعلوا المباني
ذلك سقفا من فضة. ومعارج عليها يظهرون. ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها
يتكئون. وبين ذلك الاروقة المنقشه. ورواقات الاخبية المزركشه.
والفساطيط والابنية المدهشه. وفيها مراوح الخيش لجالبات لبرد

العيش

العيش والمنافع والمرافق. والمفاتح والمغالق. واظهروا الذخاير الغريبه. واخرجوا
على ذلك الستاير العجيبه. ومن جملتها ستارة جوخ كان اخذها من خزانة السلطان
ابي يزيد. قطعة واحدة عرضها نحو من عشرة اذرع بالذراع الحديد. منقشة
بانواع النقوش من صور النباتات والعروش. واشكال الهوام والطيور والوحوش
واشخاص الشيوخ والشبان. والنساء والصبيان. ونقوش الكتابة وعجايب البلدان
والعروق اللاعبه وغرايب الحيوان. بالوان الاصباغ. المبالغ في احكامها
واجادتها احسن ابلاغ. كان صورها متحركة تناجيك. وثمارها الدانية
لاقتطافها تناديك. وهذه الستارة احد عجايب الدنيا. وليس المسمع كالمرأى
ونصبوا امام سرادقاته بمقدار شوط فرس الصيوان. الذي يجمع المباشرون
فيه وارباب الديوان. وهو حصن عالي الذرى. شامخ في الهوى. له نحو من
اربعين اسطوانه. وعواميد وسوار شيد واعليها اركانه. وسددوا ابنيانه
يتسلق الفراشون الى اعلاه كالقرده. كانهم مسترقوا السمع من الشياطين والمرده.
ويتعادون على سطحه. حين يرفعونه بعد بطحه. **فصل** واخرج اهل المدينة ما
عندهم من تجمل وزينه. ونصبوه تجاه تلك السرادقات على مد البصر. وتانق كل
واحد من اهل البلد فيما وصلت اليه القوى والقدر. واجتهد كل ذي حرفة فيما
يتعلق بحرفته. وبالغ كل من ارباب الصنايع فيما يليق بصنعته. حتى ان
ناسج القصب اخرج فارسا مكمل الاهبه. واستقصى في اكمال هيئته حتى
اظافيره وهدبه. واستوفى دقايق ما يتعلق به من الآلات. كقوسه وسيفه
وساير الاستعدادات. كل ذلك من القصب. ورفع ذلك في مكانه من غير تعب
ونصب. وصنع القطانون من القطن مئذنة رفيعه. محكمة بديعه. ذات قد
رشيق. وصنع وثيق. ومنظر انيق. ببياض جسيم يسمو على الحور. وكمال قوام يعلو
على القصور. ونصبوها فصارت بحسنها تستوقف النظاره. وبعلو قامتها ترشد
في ذلك المهمه المارّه. حتى غدت علما للسياره. وعلى جوامع تلك الابنية مناره.

وكذلك اهل الحرف من الصواغين والحدادين والحقافين والقواسين وساير
الطوايف، وارباب الملاعب واللطايف، ولقد كانت سمرقند مجمع الافاضل
ومحط رحال اهل الفضايل فرتبت كل طايفة ما اخرجته على حده في مكانه
امام سرادقه وصيوان ديوانه، ونصبت وراء ذلك كله الاسواق وضربت
بين الناس بوقات الابواق وزينت لقبول، وجياد الخيول، بافخر لباس
واطلق عنان الرخص والتمتع بانواع الملاهي والملاذ للناس فسارع كل طالب
الى مطلوبه، واجتمع كل محب منهم مع محبوبه، من غير ان يتعدى احد على
احد او يستطيل اعلى من يكون على ادنى من يكون من الجند واهل البلد او يجري
تعد ما من شريف ما على وضيع ما **فصل** ولما استتب الامر على مراد تسويل
قرينته، واخذت الارض زخرفها وازينت من جنده واهل مدينته، توجه الى
ذلك المرج على وقاره وسكينته، وخرج على قومه في زينته، ثم امر ان تجرى
يواقيت الصهباء على زبرجد ذلك المرج الاحوى، وسبلها لكل ناظر وعام
فسبح في تيارها كل خاص وعام، فدارت في سما تلك الارض للسرور افلاك
فاصبحت تلك الاسود للجوادر وهي ظباء جوادر، وتنزلوا من جحيم المنازله
الى نعيم المغازله، وتبدلت تلك الغلاظة والكثافة باللطافة والظرافة
فما صار يصول سيف الا ان كان صارم لحظ وهو مع ذلك مكسور، ولا
يجول ذابل الا ان كان رمح قد وهو في ذلك بالعناق مهصور، وصرت لا ترى
الا عودا يحرك او يحرق او قدحا يروب او يروق او شاديا يغرد او
شادنا يعربد او جارية تستقى او ساقية تجرى، او خد ورد يشتم او
ورد خد يخمش او كاس ثغر يرشف، او غصن خصر للعناق يقصف او
فرص عيش تغتنم، اولسان حال ينشد ويترنم، **قلت**

في ربيع الوصل لما ان وفي طيب السرود،
وسرت بشرى الصبا للروض تنبى بالورود،

خرت

خرت الانهار والاغصان مالت للسجود،
واجتمعنا في رياض حسنها يسبي الوجود، فالسحاب الصب فيها بالحنا امسى يجود،
نثر الدر علينا منه بلور الغمام،
فوق صحن سندسي فيه ملئنا قوت جام،
وثغور من عقيق زانها حسن ابتسام،
وعيون من لجين ناظرات لا تنام، وغصون الدوح حفتنا بانواع النقود،
طيرها فيه غنا اذ فقد علا عودا وطار،
وشذاها ضاع فيه المسك لما مد غار،
والصبا امسى عليلا في رباها حين سار،
جنة الفردوس فيها وجه بدري حين نار، اصبحت جنات عدن تشتهي فيها الخلود،
بالها من عيش جنات بانواع الهنا،
ليس فيها غير لثم وارتشاف واعتنا،
وكؤوس ذا ابراب وغناء وغنا،
لو راها زاهد من ريحها كان انثنى، لم يسعه عندها من زهده الا الجحود،
قم نديمي عاطني فالدهر لا يسوى الحزن،
كاس عيش يمتحي في مزجها صرف الزمن،
الطلا والماء والخضرة والوجه الحسن،
لا تطع في ذا عذولا انه خب لكن في حشاه غليان لا تقل خل ودود،
فحصل الامن والدعه، والفراغة والسعه، ورخص الاسعار وقضا الاوطار
واعتدال الزمان وعدل السلطان، وصحة الابدان وصفا الوقت
وذهاب المقت، وحصول المطلوب، ووصال المحبوب مطاع وعند التناهي يقصر
المتطاول، واتفق له في ذلك العرس من الابهة والعظموت، والسطوة
والجبروت، شي لم اظنه حصل لاحد من الخلفاء المتقدمين ولا يقع فيما

بعد لاحد من المتاخرين، وان كان المأمون فرش تحته ليلة عرسه حصيرا من
ذهب ونثر على رأسها اللؤلؤ المنتخب فلم يلتفت اليه، ولم يلتقط منه آبه
ولا من بين يديه، واستمر حتى قال قاتل الله ابو نواس كانه كان حاضرا حيث قال

كأن صغرى وكبرى من فواقعها ... حصباء در على ارض من الذهب

لكن تيمور الجبار كان في عرسه ذاك بنات الملوك وصبايف، وبنوها عبيدا
كل منهم في مقام العبودية واقف، واجتمع عنده قصاد الملك الناصر اجتماع القصاد عند لنك
فرج من مصر والشام، ومعهم الحمل والتقادم ومن جملته الزراف والنعام،
ورسل الخطا والهند، والعراق والدشت والسند، وبرد الفرج ومن
سواهم، وقصاد كل الاقاليم اقصاهم وادناهم، ومن كل مخالف وموافق
ومعاد ومصادق، فاخر الجميع حتى شاهدوا عظمته، وعاينوا جبروته
في ذلك العرس واهبته، فباشر ذلك على تلك الحال، لا يخاف النكال، ولا
يخشى الوبال قلت

قرير العين لا يرجوا الها ... خلي البال لا يخشى معادا

يتناول المحرمات ويبيحها، ويروج عنده مستهجنها وقبيحها، مهما امر به جاء عند
في ذلك امتثلوه، يتناهون في كل قبيح عملوه، ولا يتناهون عن منكر
فعلوه قلت شعر

تبدل من شفك وهتك حرمة ... احل بها ما حرمته الشرايع

وجعل يدعو الملوك والامرا، وسلاطين الافاق والكبرا، وقواد النوامين
ورعما الجيوش والمقدمين، ويسقيهم الكاسات بيده، ويجعل كلا منهم
محل اخيه وولده، ويخلع عليهم الخلع السنية، ويجزل لهم المواهب
والعطية، ويجلس كلا منهم بحسبه ذات اليمين، واما ذات الشمال
فانها للنساء والخواتين، فان النسا لا يستترن من الرجال، خصوصا في
مجالس الاجتماع والاحتفال، واستمر في ذلك بين جنك وقانون وعود
وارغنون، وناي مرقص مطرب، وشاد معجب مغرب، وساق فاتن ودهر

موات

موات، وهوى متبع، وامر مستمع، وشمس تدور، على نجوم وبدور، وكاس يملا
وكيس يفرغ، وامر يمضي وامل يبلغ، حتى استخفه الطرب والبطر، واستفزه
النشاط والاشر، فصبع الى من استعضده، ومد للنهوض اليه يده، فتعاضدوا
لمعاونته، وتعاونوا على معاضدته، وحين استوى قائما، تهادى بينهم
بشيبته وعرجته راقصا، قلت شعر

ومن عجب الدنيا اشل مصفق ... وابكم قوال واعرج راقص

رقص لنك

فنثر عليه الملوك والكبرا، ونسا السلاطين والامرا، الجواهر واللالي والفضة
والذهب وكل نفيس غال، ولم يزل على ذلك حتى استوفى من اللهو حصته، ودخل
العروس منصته، وانقضت تلك الامنية، وتفرقت هاتيك الجمعية، شعر

ما كان ذاك العيش الا سكرة ... لذاتها رحلت وحل خمارها

فصل ولما بلغ من دنياه المرام، وانتهى امله الى الكمال والتمام، وعرج
فيما يرومه الى ما عرج، وصعد في سلم ارتقايه الى اعلا الدرج، وقارب بدر
عمره الافول، وشمس حياته ان تزول، رشقه الزمان بسهم اصماه فما اصمى
وناداه بلسان فصيح لو تسمع فرع العرس يا بيت الاحما، قلت

وما الدهر الا سلم فبقدر ما ... يكون صعود المرء فيه هبوطه
وهيهات ما فيه نزول وانما ... شروط الذي يرقى اليه سقوطه
فمن صار اعلى كان اوفى تهشما ... ووفاه بما قامت عليه شروطه

فافاق من سكره، وعاد الى فكره، وارعوى وما ارعوى، وعلم انه اضل قومه
وما هدى، وراى انه قد فرط في امر الرياسه، وحط من جانب الايالة والسياسه،
وانه شام الملك حتفا، وشاين السلطنة وجد عليه ما به طريق في
التقصير والغا، فاخذ يتدارك ما كان فرط، ويطلب التفصي عما فيه تورط،

ذكر بعض حوادث، مقدمة لمتعلقات ذلك العابث

وكان تيمور قد راى في الهند جامعا، للبصير مرتعا وللبصر رابعا، عرشه

روبا جامع

في حسن بنايه ونقشه، من الرخام الابيض كبساط فرشه، فاعجبه شكله، واراد ان يبني له في سمرقند مثله، ففرز لذلك مكانا في فرزه، ورسم ان يبنى له جامع على ذلك الطرز، وان يقطع له احجار من المرمر الصلد، وفوض امره الى رجل يقال له محمد جلد، احد اعوانه، ومباشري دواوينه، في بنيانه، وتشييد اركانه، فاجتهد صح واستقصى جهده في تحسينه، من تاسيسه وتركيبه وترتيبه وتزيينه، واعلى له اربع مباذن، وتناهى فيه ائمة البنائين والاستاذين، وظن ان لو كان في ذلك احد عشره، لما قدر ان يصنع صنعه وتبير شبره، وان تيمور سيشكر له صنيعه، وينزله عنده بذلك منزلة رفيعه، فلما آب من سفرته، وتفقد ما حدث في غيبته، توجه الى الجامع لينظر اليه، فتجرد ما وقع نظره عليه امر بمحمد جلد فالقوه على وجهه وربطوا رجليه، ولا زالوا يجرونه، وعلى وجهه يسحبونه، حتى بضعوه على تلك الحال، واستولى على ماله من اهل وولد ومال

واسباب ذلك متعددة ومعظمها ان الملكة الكبرى، امراة تيمور العظمى، امرت ببناء مدرسه، واتفق المعمارية واهل الهندسه، ان يكون في مواضع مقابلة لبناء هذا الجامع، فشيدوا اركانها، وشددوا بنيانها، وعلوا على الجامع طباقها وحيطانها، فكانت ارسخ منه تمكينا، واشمخ منه عرنينا، وتيمور كان تبري الطبع، ابدي الوضع، ما تكبر عليه راس الا شدخه، ولا تجبر عليه ظهر الا فضخه، وكذلك كلما اضيف اليه، او عول في النسبة عليه، فلما راى قامة تلك المدرسة طالت، وعلى قد جامعه الجبتي ترفعت واستطالت، تغل صدره غيظا واشتعل، وفعل مع مباشر ذلك ما فعل، فلم يصادفه فيما امله سعد

وهذه الحكاية مقدمة لما اذكره بعد لكنه كان هذا الجامع كصاحبه احاطت اوزار الاحجار بجوانبه، وتثاقلت على غواربه ومناكبه، ودقت عنق طاقته عن حملها ورقت، وتلا لسان سقفه اذا السماء انشقت، وما امكن تيمور الاشتغال بهدمه ثم احكامه، ونقض بنائه واستيناف ابرامه،

فطوى ثوب عمارته على غره، واستبقى خشب اخشبه على وهنه وكسره، لكنه امر خاصته وذويه، ان يجتمعوا او يجمعوا فيه، واستمر ذلك في حيوته، وبعد وفاته، وكان اذا اجتمع الناس فيه للصلوة، يترقبون من تلك الحجارة ما يهبط من خشية الله، وصار ملك الجبال في تلك المحلة، يتلو واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة، ففي بعض الاحيان، وقد غص بالناس ذلك المكان، واخذ كل منهم حذره، سقط من حجارته من اعلاه شذره، ففر كل من كان جاثما، وانفضوا الى الابواب وتركوا الامام قائما، وكان من جملتهم الله داد، احد الاكفاء والانداد، فلما اطلعوا على حقيقة الخبر، تراجعوا وزال عنهم الخوف، فلما قضوا الفرض وانتشروا في الارض، قال لي الله داد، وكان من الدهاه ذوي الكباد، والاذكياء النقاد، لو حوالى كعبة الحجازي مائة شوط والقطوف ينبغي ان يلقب هذا الجامع بمسجد الحرام والصلاة فيه صلاة الخوف، وقال لي ايضا الله داد، وقد فهم معنى هذا الانشاد، وينبغي ان ينشد، في شان هذا المعبد، ويكون رقم طرازه، ونقش صدره ومجازه، قول الشاعر

قول

⁂ سمعتك تبني مسجدا من خيانة ، وانت بحمد الله غير موفق ⁂

⁂ كمطعمة الايتام من كد فرجها ، لك الويل لا تزني ولا تتصدقي ⁂

فصل ولما كان تيمور ببلاد الروم يصول، كان استخلاص ممالك الشرق في فكره يجول، وقد ذكر انه ارسل الى الله داد، يستوصفه اوضاع تلك البلاد، ولما انكشف له احوالها، وتبينت له قراها ومضافاتها واعمالها، حتى شاهدها عين بصيرته، واستقرت كيفيتها في سر سريرته، جهز لتلك النواحي رؤس هاتيك الضواحي، ومن جملتهم بيردي بيك وشكري بيردي وسعادات، والباش خواجه ودولت تيمور مع زيادات، واضاف اليهم طوايف من الاجناد، ورسم ان يتوجهوا كلهم الى الله داد، وان يجهز الله داد امره، ويتوجهوا فيبنوا قلعة تدعى باش خمره، وهي عن اشاره نحو من عشرة ايام، ومن متعلقات المغل

الطعام، وكانت امورها اضطربت، ولكونها مسارعة بين مملكتين خربت، فتوجهوا
الى تلك الداره، بالعساكر الجراره، واشتغلوا على خلاف عادتهم بالعماره، وكان
توجه هذه الفيه، في اواخر سنة ست واوايل سنة سبع وثمان مايه، وقصد
بذلك ان يكون لهم معقلا، وعند توجههم الى الخطا وايابهم ملجا وموئلا، فلما
احكموا اساسها، وصنفوا انواع بيوتها واجناسها، وصفوا من احجار الاساسات
اقدامها، ورفعوا على اعلام الاسوار اعلامها، ارسل اليهم من سوما انهم يرجئون
امرها، ويتناسون ذكرها، ويامرهم فيه بالرجوع، والاشتغال بتعليق البلاد
بالزروع، بحيث ان فيها الدرس والدياس من اهل القرى والامصار، والمشتغلين
بفقه المزارعة والمساقاة من فلاحي الانجاد والاغوار، واهل الرزداقات
والاكاره، من حدود سمرقند الى اشباره، يتركون مسايل المعاملة
والمبايعة، ويكررون البحث قولا وعملا في درس المساقاة والمزارعه، ويؤذنون
في جماعتهم ان يقيم كل منهم في الزرع صلاحه، وان اضطر احدهم ان يترك
صلاته فالحذر الحذر ان يترك فلاحه، ورام بذلك ان يكون لهم في سفرهم عتادا،
وان نقص لهم في الدرب قضيم وخضيم زادا، فتركوا العماره، وقصد كل من
الامرا دياره، واشتغلوا باستخراج البقر والبذار، واجتهدوا في احيا جميع
الموات كما رسم واشار، فما فرغوا من ذلك الا وقد طوى المصيف بساطه، ونشر
رايد الخريف على العالم اعلامه وانماطه، ذكر عزمه كما كان على الخطاء، ومجيه
سكرة الموت بالحق وكشفه عنه الغطاء، ثم انتقاله من سفره، الى سقره، فلما
افاق اخذ فيما كان عليه من التوجه الى الافاق، وقصد الحواشي والاطراف،
واستخلاص الممالك والاكناف، وصرف عنان الذهاب، نحو الخطا على عادته
وكان ذلك عين الصواب، فارسل الى امم عساكره ان يستوفزوا، وياخذوا اهبة رد الاهبه
اربع سنين او اكثر ويتجهزوا، فلبت كل امة دعوة رسولها، وشنفت بافراط سنين
من استماع آذان قبولها، وحمل كل اسد جوز اعتاده، وامتطى جدي بعيبه،

واعد كل ثور سنبلة زاده، ودب كل عقرب منهم دبيب السرطان،
وانسابوا انسياب الحوت في بحار الغدوان، بجار فين مظالم العباد بلا كيل
ولا ميزان، فابرد هلال القوس سهم برده بمرسومه الى كل صماخ، يخبر
ان جند الشتا على عالم الكون والفساد اناخ، فليستعد له الكفاة، وليحذره
العراة والحفاه، ولا يكتفوا في كفه بكفاياته فما كل كاف له كفوا،
لانه في هذه المرة آية من ايات الله فلا تتخذوا ايات الله هزوا، وان قصد
بقد ومه تبديد الانفاس، وتسويط الانوف والآذان واسقاط الاكارع
وقلع الراس، وان فصل الخريف رايد جنوده، وفايد بنوده، وانموذج
طلعته، ومرى عين غلته، وعنوان مكاتبته، ومقدمة كتيبته، ثم
زمجر بعواصف رياحه البارده، وخيم على العالم بخيام غيومه الصادرة
والوارده، فارتعدت الفرايص من زمهريره، ولاذ كل من الحشرات بقعر جحيمه
خوفا من زمهريره، وخمدت النيران، وجمدت الغدران، وارجفت الاوراق
ساقطة من الاغصان، وجرت على وجهها الانهار جارية من الانجاد الى
الاغوار، وتحيست الاسود في اجباتها، وتكنست الظبا في كناسها،
وتعوذ الكون من آفته، واصفر وجه المكان من مخافته، واغبرت خدود
الرياض، وذبلت قدود الغياض، وراح ما كان بها من النضرة والارياح،
واصبح نبات الارض هشيما تذروه الرياح، فاستسمح سمور لفظات هذه
السماف، واستبرد نفثات هذه النفحات، وامر باعداد لبوس القباب
واستعداد من كستوانات الجباب، واتخذ لصفاح الجمد وسهام البرد،
من المبطنات الدروع ومن الفرا الزرد، ثم ضاعف لملاقاة الشتاء مضاعفات
اللباس، وافرعها على قامة عزمه الثابت وامدها من كافات كفايته
بالراس، ولم يلتفت الى كلام وملام، واستكفى امر الشتاء بما البسه واعده
من كاف ولام، وقال لعسكره لا تكترثوا بشان الشتاء فانما هو برد

وسلام، وحين اجتمعت عساكره والتأمت اموره واوامره، امر ان يصنع له
خمس مائة عجلة، وتصبب بالحديد ليتحمل عليها ثقله، فبادر الشتاء خروجه
بالدخول، واورد بانقطاع جراية عمره من ديوان الفناء الوصول، فبرز
في شهر رجب، وقد اصبح البرد عجبا واي عجب، وسار لا يرق لمرتق ولا
يرثي لجسد من البرد محترق، فوصل في سباحته الى سيحون وقد تجمد
وبنى عليه رائق النسيم الصرح الممرد، قلت — قد بما

على البحر قد عاينت جسرا ممددا ، بناه اله العرش صرحا ممردا
بكت فخلت الدمع في جنباته ، رقيق رحيق في زجاج تجمدا

فعبره ومر، ومضى على ذلك واستمر، وتمادى على لجاجه واصر، فدمر الشتاء
عليه بالدمار، وانحط عليه من الجوانب بكل اعصار فيه نار، وحطم على
جيشه بكل نكباء صرصر، وضرب نبات عسكره بصرة صر طول فيها وما
قصر، وهو بذلك الجمع الكبير يسير، لا يحن لاسير، ولا يجبر وهن كسير
يسابق البريد ببرده، ويجاري اجرده بجرده ومرده، فجال فيهم الشتاء
بجراجف عواصفه، وبث فيهم حواصب قواصفه، واقام عليهم نائحات
صراصره، وحكم فيهم زعازع صنابره، وحل بناديه، وطفق يناديه، مهلا
يا مشوم، ورويدا ايها الظلوم الغشوم، فالى متى تحرق القلوب بنارك، وتلهب
الاكباد باوامك واوارك، فان كنت احد نفسي جهنم فاني ثاني النفسين
ونحن شيخان اقترنا في استيصال البلاد والعباد فاخسس بقران النحسين
وان كنت بردت النفوس وبردت الانفاس فنفحات زمهريري منك ابرد،
او كان في جرايدك من جرد المسلمين بالعذاب فاصماهم واصمهم ففي ايامي
بعون الله ما هو اصم واجرد، فوالله لا حابيتك، فخذ ما اتيتك، ووالله
لا يحميك يا شيخ من برد ريب المنون، لواعج جمر مجمرة ولا وهج لهيب في
كانون، ثم كال عليه من حواصل الثلوج ما يقطع الحديد ويفك الزرد،

وانزل عليه وعلى عساكره من سماء الزمهرير من جبال فيها من برد، وارسل
عقيبها زوابع سوافيه تحشيها في آذانهم وماقيهم، ودستها في خياشيمهم
فاستقبلت بها نزع ارواحهم الى تراقيهم، وجعلت تلك الريح العقيم
ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم، واصبحت مشارق الارض
ومغاربها من الثلوج المتقنة، كانها عرصات العقيد او بحر صاغه الله
من فضة، فكانت اذا بزغت الصفحات ولمع الصفيح ترى اي شيء عجب، سماء
من فيروزج وارض من بلور وملأ ما بينهما شذور الذهب، فان هبت فيما بين
ذلك والعياذ بالله نسمة ريح، على نسمة ذي روح، اخمدت نفسه
وجمدته وفرسه، وكذلك الجمل والجمال، حتى اتت على كل مرتق الحال
وانتهى الشان الى ان طابت النار وردا، وصارت لواردها سلاما وبردا
واما الشمس فانها ارتجفت، وجمدت عينها من البرد ونشفت، وصارت كما قيل شعر

يوم تود الشمس من برده ، لو جرت النار الى قرصها

فكان الرجل اذا تنفس جمدت انفاسه على سباله ولحيته، فيصير كانه
فرعون وقد رصع لحيته بحليته، وان لفظ من فيه لفظة نخامة عاقدة
لا تصل الى الارض مع ما فيها من الحرارة الا وهي بندقة جامدة، فانكشف
عنهم ستر الحيوة، وانشد لسان حال كل منهم شعر

فيارب ان البرد اصبح كالحا ، وانت بحالي عالم لا تعلم
فان كنت يوما مدخلي في جهنم ، ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

فهلك من عسكره الجم الغفير، واتى الشتاء على كثير من كبير منهم وصغير
وساط منهم انوف واذان وسقط، وانحل عقد نظامهم وانفرط، ولا زال
الشتاء يصب وهبت عليهم رياحا وبحارا، حتى اغرقهم فيها وهم عاجزون
حيارى، ونودي عليهم مما خطيئاتهم اغرقوا فادخلوا نارا، فلم يجدوا لهم من
دون الله انصارا، وهو مع ذلك لا يلتفت الى من مات، ولا يتاسف على ما فات

ذكر مرسوم أرسله إلى الله داد، تفتت منه الأكباد، وفتت القلوب والأعضاد، وزاد ما حمله فيه من هموم بأنكاد

وكان تيمور بمخرجه من سمرقند أرسل الى الله داد باشاره، مرسوما اذهب فيه قراره، ونفر طائر نومه عن وكر اجفانه واطاره، وفهم من فحواه بالاشاره، انه طالب دماره، ومؤتم اولاده ومخرب دياره، شدد عليه فيه المضايق وسد في وجهه الطرق والطرائق وامره عليه فيه بامور، يسهل عندها قطع الجبال ونقل الصخور، ويعذب عند ادناها شرب البحور، من اقلها ان يهيئ له بمفرده، اقامة ليوم قدومه دون عدده، خبزا (?) يأكله ليله، وقضيما يطعمه خيله، ومن غرض ذلك مائة حمل جمل طحينا خاصه، وهو مخصوص به لليلة واحدة خاصه، وانه مع عساكره الجراره لا يبيت سوى ليلة واحدة باشاره، الى غير ذلك فلما اطلع الله داد على هذا الكتاب، وفهم ما تضمنه فحوى هذا الخطاب، علم انه قد حل به العذاب، فسلب وعيه، وبذل سعيه، واخذ في اعداد الطحين، واجتهد في ادارة الطواحين، وكانت الطواحين وقف من حال ادبب (?)، في هذا الزمن العجيب، ومجاري مياهها ايبس من كف شحيح، كلف زمن القحط تذرية الدقيق في الريح، ودماء الانهار في مجاري عروق الجبال ناضبه، ودموع العيون في آماق العروق غاربه، فبذل ما كان اعده، لكل نائبة وشده، واهان نفائس الاموال، واستعان على اجراء الماء بالمال، واستغاث باولي النجدة من الرجال، واستمد المدد من كل عدد ومدد، واستنهض آراء المشفقين من الاصحاب، واستدفع بهم ما نزل به من مخلب للبلاء وناب، وقرع لفتح ما ارتج عليه مما لا طاقة له به كل باب، فاستجابوا دعاه، واجابوا صداه ونداه، واتوا وهو المضطر (?)، واستطبوا المرضه، وجمعوا من العملة والفعلة الاتود (?) والسراحين، فعملوا في سوق الانهار من الاعمال ما يدير الطواحين، وجعلوا يعاندون البرد، ويقطعون في طريق الماء الجمد، وكانوا كالضارب في حديد بارد، والمكابد يترنون (?) وعظه تلين قلب الجاحد، وصاروا لا يقطعون من الجليد، مقدار ذراع بالحديد، حتى اذا انتهكت حزونه، ورق لمكابدتهم فدمعت عيونه، الا وهبت نسمة يابسه، على تلك الوجوه العابسه، فاذا هب بارد النسيم، قابله الماء بوجه بسيم، فيبرد قلبه عن نارهم، ويصير دليله عن اوارهم، فيجمد ما فوق ذلك، فتضيق عليهم المسالك، فيرجعون القهقرى، ويمشون كالحبال الى ورا، والله داد مع ذلك يبذل الاموال، وينادي مستغيثا بالماء يا للرجال، قلت

وكان كل منهم كالحمار، يخرج ما امكنه بالمدار
يوقفه الماء لاجرائه، وكلما اوقفه البرد دار

الى ان وقع الاتفاق بين الرفاق، ان هذه مسئلة تكليف ما لا يطاق، وحين تبين له امرهم، وتعين عنده عذرهم، قال انه الحظ الحالك، وتيقن انه لا محالة هالك، وانه قد وقع في البلاء العريض الطويل، وان مجرد وجود ما طلب منه في ذلك المحل الدقيق الا لامر جليل، وكان قد بلغه ما وشاه به اضداده، ونقل الى تيمور عنه اعداؤه وحساده، وعلم ان خاطره تغير عليه، وفعله مع محمد جلد شاد جامعه قد نقل اليه، وكيف قتله شر قتله، ونهب امواله واسر اولاده واهله، وكان متوقعا من تيمور، اضعاف هذه الشرور، لا يقر له قرار، ولا يسكن له ليل ولا نهار، وقد غسل من الحيوة يده، وودع حيوته واهله وماله وولده، وقد قرب شهر الصيام، وصار بينه وبين تيمور نحو من عشرة ايام، وقد انقطعت الدروب، وضعف الطالب والمطلوب، شعر

اذا تضايق امر فانتظر فرجا، فاضيق الامر ادناه الى الفرج

ذكر سبب انكسار ذلك الجبار، وانتقاله الى دار البوار، واستقراره في الدرك الاسفل من النار

ضعف تيمور وجع (?) تيمور

وجعل تيمور يواصل التسيار، حتى وصل الى كوزه تدعى اترار، ولما كان يظاهره من البرد امنا، اراد ان يصنع له ما يرد الابردة عنه باطنا، فامر ان يستقطر له من عرق الخمر المعمول فيها الادوية الحاره، والافاويه

والهارات النافعة غير الضاره، وأبى الله ان تخرج تلك الروح الخبيثه، الا على
صفات ما اخترعه من الظلم واشبهه، فجعل يتناول من ذلك العرق ويتفوق
افاويقه من غير فرق، لا يبال اخبار عسكره وابناهم، ولا يعتابهم ولا يسمع دعاهم،
حتى سقته يد المنية كاس وسقوا ماء حميما فقطع امعاهم، فانه لم يزل للقضا
معاندا، وللزمان مجاهدا، ولنعم الله تعالى جاحدا، ولاشك انه جا ناقصا وتحمل
مظالم فراح زايدا، فاثر ذلك العرق في امعايه وكبده، فتزلزل بنيان جسمه
ودخ اركان جسده، وطلب الاطبا، وعرض عليهم هذا الدا، فعالجوه في ذلك
البرد، بان وضعوا على بطنه وجبينه الجمد، فانقطع تلك لتال، وعكم احمال
الانتقال، الى دار الخزى والنكال، وتفتتت كبده، ولم ينفعه ماله وولده،
وصار يتقيا دما، ويأكل يديه حسرة وندما، شعر

وإذا المنية انشبت اظفارها، الفيت كل تميمة لا تنفع

وجرعه ساقي المنية امر كاس، وامن جيشه بما كان يخاف فلم ينفعه ايمانه
لما راى الباس، فاستغاث فلم يوجد له مغيث، ونودي عليه اخرجي ايتها النفس
الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة ظالمة اثيمه، وابشري بحميم
وغساق ومجاورة الفساق، فلو تراه وهو يغط غطيط البكر المخنوق ويحمد
لونه ويزبد شدقاه كالبعير المشنوق، ولو ترى ملايكة العذاب وقد اظهروا
استبشارهم، واخنوا على الظالمين ليخربوا ديارهم، ويطفيوا انارهم ويهدموا
منارهم، ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة يضربون وجوههم وادبارهم
ولو ترى نساءه وحاشيته وهم حواليه يتجارون، واعوانه وجنده وقد ضل
عنهم ما كانوا يفترون، ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملايكة باسطوا
ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير
الحق وكنتم عن آياته تستكبرون، ثم انهم احضروا من جهنم المسوح، وسلوا اسل
السفود من الصوف المبلول تلك الروح، فانتقل الى لعنة الله وعقابه،

واستقر في اليم زجره وعذابه، وذلك في ليلة الاربعا سابع عشر شعبان ذي
الانوار، سنة سبع وثمان ماية بضواحي ازرار، ورفع الله تعالى برحمته عن
العباد العذاب المهين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين،

الدهر دولاب يدور، فيه السرور مع الشرور،
بينا الفتى فوق السما، واذا به تحت الصخور،
كم من شموس في سما، فلك العلا لها بدور،
لما استوت في عزها، زالت واكسفها الفتور،
وملوك دنيا اضرمت، من نار عدواها البحور،
ملكوا البلاد واهلها، ماضي الاوامر والامور،
اغراهم الدهر الخؤون، وغرهم بالله الغرور،
ضحك الزمان بثغره، لهم وقد ملكوا الثغور،
فغدوا ذيابا في الاذى، وعدوا اسودا في الشرور،
عنا لهم فترا قصوا، مثل الشخوص بلا شعور،
وحكوا على بابا بتهم، طيف الخيال اذا يدور،
وتوهموا ان الزما، ن مطاوع غير النفور،
او ان ما نالوه من، دنيا يفوز ولا يغور،
فتواثبوا وتضاربوا، وتكالبوا شبه النمور،
وتلاكزوا وتلاحزوا، وتناحروا الضرب الهصور،
وتناحروا وتدابروا، وتنافروا نفر النسور،
هذا وان يتصالحوا، يتصافحوا مينا وزور،
فيها فتوا في نارها، منصور من النار نور،
بينا هم في عزهم، والدهر مكار غيور،

انقضى فيهم صرفه * كالصقر في دقل الطيور
امسوا وكل منهم * كاللحم يلقى للصقور
لا ملك رد يد الردى * عنهم ولا املاك ودور
كلا ولا جيش ولا * ولد ولا مدد نصور
ثم امحت آثارهم * محو الحيا نقش السطور
لم يبق منهم دهرهم * شيئا سوى ذكر يدور
ناهيك منهم فتنة * كالاعور الظلما تمور
الاعرج الدجال من * قصم الجماجم والظهور
داخ البلاد ودارها * ونوائب الدنيا تدور
املى له الله الحليم * فزاد عدوى في فجور
وامده مستدرجا * اياه في شيء يبور
ليراه في امضائه * حكما اعدل ام يجور
فاجتاح كل الخلق من * عرب ومن عجم الفطور
ومحا الهدى وغدا الردى * بحسامه الباغي يمور
افنى الملوك وكل ذي * شرف وذي علم ووقور
وسعى على اطفاء نو * ر الله والدين الطهور
بفروع جنكز خان ذا * ك الظالم النحس الكفور
فاباح اهراق الدما * من كل صبار شكور
واحل سبي المحصنا * ت المومنات من الخدور
ورمى على النار الصغا * ر كانهم فيها بخور
واضاف في هذا الى * فعل الزنا شرب الخمور
طورا يرى نكث العهو * د وتارة نقض النذور
وعدا على السادات من * اهل الصيانة والوقور

من كل ذيب صايل * منهم ومن كلب عقور
فتكوا وقد بتكوا القلو * ب وبعد ما هتكوا الستور
وشووا اجبا هاطالما * سجدت لدى الرب الغفور
وكووا جنوبا قد جفت * طيب المضاجع والظهور
واستخلصوا الاموال من * ايدي البرايا بالفجور
وسقوهم كاس السمو * م وجرعوا كاس الحرور
واستاسروا آل النبي * المصطفى الطهر الطهور
باعوهم من مشتري * كي الاتراك في اقصى الكفور
وكذاك واحد امه * من كل مقلاء نزور
وجروا على هذا الجرا * يم واستمر لهم مرور
ما بين ايران وتو * ران البلاد لهم عبور
وامتد ذاك من الخطا * اخرا الى اقصى الفطور
لما انتهى افسا ده * وتكاملت تلك الشرور
هجم القضاء لاخذه * ولكل تكميل قصور
خذفته ايدي الموت من * ذاك القصور الى القبور
وتبدلت منه الكرا * مة بالمذلة والعثور
ومضى الى دار النكا * ل بما تحمل من وقور
وتفرقت تلك الجمو * ع وهد ما شاد الدثور
ابقت عليه فعاله * لعنا على مر العصور
وتخلدت آثار ما * آذى على كر الدهور
فانظر اخي ثم افتكر * في ذا المسيء وذا النكور
لا فرق عند الموت بين * شكور فضل او كفور
اين الذين وجوههم * كانت تلألأ كالزبور

اهل السعادة والحجى ، وذووا السيادة والوقور
المطفيوا بدر السما ، والمخجلوا فيض البحور
كانوا عظاما في الصدو ، ر وهم صدور في البدور
طحن الردى تلك العظا ، م وفتت هاتيك الصدور
وسقتهم ريح الفنا ، سفي الرمال يد الدبور
اين السرور ومن غدا ، للقلب افراحا ونور
كانوا اذا رفع الحجا ، ب وزحزحت عنهم ستور
تلقى الدنا قد اشرقت ، كالشمس من سجف الخدور
من كل ظبي احور ، او ظبية تزري بحور
نشر الجمال عليهم ، ثوب الدلال على حبور
وفدتهم مهج الورى ، من شر احداث الدهور
كانوا اذا اسكنوا امكا ، نا حركوه من السرور
كانوا على وجه الدنا ، حدقا وللاحداق نور
وحدايقا لرياضها ، وعلى حدايقها زهور
بيناهم في سكرهم ، قد مازج الذل الغرور
والعمر غض والزما ، ن مسلم لهم الامور
واذا بساقي الموت فا ، جاهم بكاسات الثبور
فسقى رياض جسومهم ، قدحا اعاد الكل بور
تركوا فسيح قصورهم ، رغما الى ضيق القبور
وسقوا كوس فراقهم ، صبرا لكل شج غيور
من شق حزنا جيبه ، ولفقدهم دق الصدور
لو كان ينفعهم الرشا ، او كان يجديه النذور
لفداهم ووقاهم ، ورعاهم رعي الخدور

سكنوا

سكنوا الثرى فتغيرت ، تلك المحاسن والشعور
ورعاهم دود البلى ، وفراهم فري الجزور
امسوا رميما في الثرى ، وثووا الى يوم النشور
يسعى المحب مخاطبا ، اجداثهم يوما يزور
يبكي ويندب نايحا ، قبرا اتينا وشد الدثور
ويمرغ الخدين في ، ترب يراها كالذرور
يدعو فليس يجيبه ، الا الصدا اصم الصخور
بينا تراه زايرا ، واذا به امسى مزور
هذا بتقدير الاله ، وحكم فعال صبور
دنياك جسر فاعتبر ، واحرص على زاد العبور
واطمح الى الملك الهني ، فجميع ما فيها قشور
لو لم تك الدنيا وما ، فيها هبا خبثا عثور
ما كان يزوي سرها ، عن كل صبار شكور
كلا ولا انقادت لمن ، قد صار ربحا لا فخور
هذا وغالب من عنا ، في ارضها عوج وعور
خلقوا الحق فانثنوا ، عنه الى مين وزور
يارب ثبتنا على ، ما ترتضيه من امور
واغفر لنا ما قد علمت من الخطايا يا غفور
واختم لنا بسعادة ، تكفي بها شر الغرور
واسمح لنا بتجارة ، من باب فضلك لن تبور
وادم سحايب رحمة ، تهمي على بدر البدور
خير الانام محمد ، الشافع الزاكي الطهور
والال والصحب الكرام وتابعيهم يا شكور

فصل في ذكر ما وقع بعد وفاة تيمور، من حوادث وامور، وما ظهر من شرور وشرور،
وكان الله داد احد الخلان، يدعى سعادات نايب مدينة اندكان،
من ذوي النباهة والشهرة، وهو احد الامرا، الذين توجهوا العمارة باش خره، فارسل
قاصدا الى الله داد، انه ارتفعت مادة الفساد، وان تيمور ترك تبعة الممالك،
وتوجه بتبعاته الى درك مالك، فوصل القاصد بهذا السرور، رابع عشر
شهر رمضان من العام المذكور، ففرج عن الله داد همه، وازاح عنه غمه
وغمه، فكانه استانف له الحيوة، اورد عليه راحلته التي عليها طعامه
وشرابه بعد ان اضلها في فلاه، وسياتي حكاية الله داد وامره، وما جرى له
بعد ذلك الى آخر عمره،

ذكر من ساعده البخت، واستولى بعد تيمور على التخت،
فلما قضى تيمور نحبه، وانكشف عن العالم كربه، لم يكن معه في احفاده،
من اقاربه واولاده، سوى خليل سلطان بن اميرانشاه حفيده، وسوى سلطان
حسين ابن اخته الذي هرب الى السلطان في الشام عند وروده، فارادوا كتم
هذه القضية، وان لا يشعر بها احد من البرية، فشاعت وراعت، وعلى عمهم
ذاعت، فاضطربوا واضطرموا، واصطدموا واصطلموا، فاطلع الناس
كلهم على ذلك وفهموا، وعلموا انه قطع دابر القوم الذين ظلموا، فحفلت العساكر
واحتفلوا، وحملوا عظامه والى سمرقند قفلوا، وساعد خليل سلطان
البخت، وخلا له الجو فاستوى على التخت، وكان ابوه اميرانشاه، متولي
ملك اذربيجان وما والاه، وعنده ولداه عمر وابو بكر، وبينهم وبين ما ورا النهر من
الاطواد والاشجار مائة سباسب والف سكر، وكان ابو بكر هذا في الجغتاي من
الفوارس، والضاربين بالبيض الهام والقوانس، يذكر انه كان يوقف بقرة
او ثورا بكره، ويضربها بالسيف ضربة لا ضرس، فيجعلها قطعتين مفصولتين
واميرانشاه هذا قتله قرا يوسف بعد تيمور واستخلص منه ممالك اذربيجان،
وولده عمر قتله اخوه ابو بكر وابو بكر قتله ايدكو متولي كرمان، ومصافاتهم

مذكورة

مذكورة، وحكاياتهم مشهورة، وشاه رخ كان في هراة وممالك خراسان، وبير عمر
كان في ولايات فارس وتلك البلدان، وتيمور كان جعل ولي عهده محمد سلطان
وهو وان كان من احفاده، لكنه قدمه على اولاده، لما لاح له من فلاحه، وظهور
رشده وصلاحه، فعاندته القضا فيما يروم، ومات كما ذكر في آق شهر من بلاد
الروم، وكان له اخ يدعى بير محمد فجعله تيمور ولي عهده من بعده، فلما هجم
عليه رائد الموت، واهاب بروحه الخبيثة بازعج صوت، كان مستغرقا في بحار
غفلته، مسترجيا ارتخا مهلته، فذبحه اغتباطا، وشام عسكره اختباطا،
وكان اذ ذاك وكل من اولاده واحفاده بعيد الدار مستقر القرار، امنا من
البوار، فارغا عن الدمار، وهم كتيمور غافلون وبير محمد في قندهار، وهي
بين حدي خراسان والهند وبينه وبين ما ورا النهر سباسب وقفار، فلم يكن
اقرب الى دار الملك الذي انشاه، وهي سمرقند سوى خليل سلطان بن اميرانشاه،
مع ان قطان الشتاء وندافه، كان قد بسط على فراش الارض لحافه، وندف عليه
من اقطان الثلوج ما غطى وجه العالم واطرافه، وطم ظهره واكنافه، فلم
يقدر احد من اولئك الحشرات ان يخرج راسه من اللحاف، او يضحك ثغر زهرة
انملة في كم خوفا من جاني النسيم ان يبادرها باختطاف الاقتطاف، فضلا
ان يتمطى في فراش اهبة الى حركة سفر فيمد يده نحو بطش او رجله نحو
طراف، فاستولى خليل سلطان على ذلك المغنم البارد من غير منازع وعديل
واستبدل الملك بل العالم من جحيم الكوثر السلسبيل، ونادى لسان السلطنة
في رفعتها نعم البديل، تبدلت عن بغيض بحبيب وعن عدو بخليل، وتمكن من
العساكر وساير الامرا، وخلاصة الجند واساطين الزعما، واحتوى على تلك
الامم، وطوايف الروس من العرب والعجم، وادخل عنق الجميع في ربقة المتابعة،
وفتح لهم في اسواق الصداقة حوانيت الصلات فعاملوه بعقود المبايعة،
ولم يمكن احدا منهم الخروج عن الدخول في الطاعة، والتخلف عن المبادرة

قد هذبتهم الامور، وشذبتهم بلايا تمور، استفتح بهم المغالق، واستوسع بعد ما ضيق بهم
المضايق، وتخلص بحملاتهم من شدة كل مازق، وتوصل بعزمهم الى نيل المآرب،
وتوسل بعزيمتهم الى كنوز المطالب، فكان هو البدر وهم الهاله، وهو الفاعل
وهم الآله، وهو الروح وهم الحواس، وهم الاعضا وهو الراس، فلما كورت شمس
مواكبهم، وانتثرت كنتش كواكبهم، ورحل زحلهم، وخاب املهم، قلت

وعوض الكون الدجى بالضحى، وبدل المريخ بالمشتري

اجال كل منهم قداح فكره، وتدبر في ذلك الحادث وعاقبة امره، واستصغر كل م
خليل سلطان، وعلم ان شانه موج المنازعة من مكان، وانه لا يصفو له
ورد الملك من مكدر، ولا هواه من معتر، واقل الاشيا ان يقول له رسول الكبار
اقاربه كبر كبر، فاعد لكل شدة شده، ولكل عدة عده، ولكل حزة
فزه، ولكل جزة جمزه، ولكل بوسا لنسا، ولكل نهم رنسا، ولكل نابية
نابا، ولكل بابقة بابا، ولكل خطب خطابا، ولكل خطاب جوابا، ولكل
حرب حرابا، ولكل امر امرا، ولكل عذر عذرا، ولكل ازمة حزمه،
ولكل نصب نصبة، ولكل كسره جزمه ولكن شكيمة البرد كانت ردت
جماح كل جموح، وصفيحة الجمد قدت جناح كل سبوح، فما وسع كلا منهم
الا الاطاعه، والانقياد لامر خليل سلطان بالسمع والطاعه، واستمروا
معه على القفول، مضمرين لخليل ما اضمره للحبيب عبد الله بن ابي بن سلول،
وكان احدهم يدعى برندق فرام الى التخلص بقلعة المخالفة التسلق فقال
لخليل سلطان ان اقتضت الارا ان اتقدم، وامهد لك الامور الى حين تقدم،
فاكون رايد دولتك، وقايد سلطنتك، فاشيد القواعد، واشتر الصادر
والوارد، فيكون كلا مستعدا للملاقاه، ومهيئا اسباب الموافاه، فاذن له
وامامه ارسله، فوصل الى سيحون وقد عقد عليه جسر بالمراكب، وهيئت
اسباب عبوره لكل راجل وراكب، فعبر بجماعته، ثم امر بقطعه من ساعته

الى ما بعده في ذلك اليوم ولا ساعه، فاطلق لهم البشره، واحسن معهم العشره
وكان يوسفي الخلق محمدي الخلق خليلي الرفق اسمعيلي الصدق جمع حروف
الملاحه، وحاز صنوف الصباحه، نقش محاسنه كاتب الصنع بقلم الكاف
والنون على احسن ما يكون من الحركات والسكون، وقال ما مشق على لوح
الجمال الف قده القويم، فبا له كل من فاعر لام عذاره منقوشا في خدمته
كالدال والجيم، وحسن لكل راء ما فيه من زين، وما بين سين ثغره وميم
فمه مذ فاها بخلف ولا مين، فاستقفى بوابله كل قاف، واستكفى بنايله
كل كاف، وامطر من عين كفه العين فصاد من الجند كل ذي لام وبا، ودال
بذلك على كل من تاعر وعد ورجع عن عهد وفا، ففدت الواقيات مهجته ورقت
من عين الحوادث بجنه، وعوذت منه الارداف، بالطور والاحقاف، وحمت
نون حاجبه وفاه وطرفه وطرته وردفه نجم عشق، وفتحت له الملوك بالثنا
فاها، وخفضت لارتفاعه خدودها معوذة له وقالت باسم طاها،

ذكر خلاص العساكر من البند، وقفولهم مع عظامه الى سمرقند ن

ولما ذبح قصاب الفنا تيمور ونحره، جزره كالجزور فجعل نحوره كالثور
وبقره، ثم اراد ان يصليه من تنور الجحيم حفره، فاستغاث بخليله فاجاره
واخره، وقال لا تعجل عليه وحمله في محفة بعد العجلة وصبره، والوى
راجعا الى سمرقند، وكان قد اعتل نهر خجند، وطالب الشتا قد ادرك ثاره
وبرد قلبه وسكنت الحراره، قلت

ورق للعالم قلب النسيم، واقبل الدهر بوجه بسيم

ثم هجم جيش الربيع المنصور فانهزم جند البرد فولى وهو مكسور

ذكر ما اضمره وزرا تيمور، واخفاه كل منهم في التامور، وكان في افلاك ذلك العسكر
سيارات نجوم بهم سماوه تزهر، وباراهم يقتدى، وبرايهم يستضى، قلت شعر

من كل منتجب للامر منتخب، كالشمس رايا وكالضرغام اقداما

فر

واعلن العصيان، وقصد سمرقند مجاهرا بالطغيان، نظم اتفاقي فكسرت اسوارها
في وجه ابنائها، واخذت عصمتها على بابها حجابها، وسدلت على جبين ممتنعها
نقابها، فاستدرك فارطه، وسلك في مسألة منطقه المغالطة، ووصل
خليل سلطان الى الجسر فوجد عقده قد انحل، ونظامه قد اختل، فلم يكترث
برندق بما فعل، بل عقد مرة ثانية ودخل، وولى ما وراء سيحون من
البلاد متوليها اولا وكان يدعى خداي داد، وهو من اكبر اعوانه، ومن
رفقاء تيمور ونظرائه، ومنسوبا الى السلطان حسين، وهو في تلك البلاد
بمنزلة الراس والعين، فلم يسع خليل سلطان الا مسالمته، واقراره في
بلاده ومهادنته، اذ اموره كانت في اوائلها، ففوض اليه امرها والقلوب في
غوائلها،

ذكر وصول خليل سلطان بما ناله من سلطان الى الاوطان

ثم توجه الى سمرقند فاستقبله كبراؤها، وخرج اليه نابهها وزعماؤها،
ووفد عليه نواب البلاد، منغمسين في السواد، لابسين اثواب الحداد،
وجاء الاكابر والعظام، معظمين هاتيك العظام، ومهنئين خليل سلطان
بالسلامة، وبنيل سرير الزعامة، قلت

ووجه كل قد غدا مثل الربيع القادم
بعين سحب قد بكت وثغر زهر باسم

وجعلوا يقدمون التقادم السنية، والحمولات البهية، وهو يقابل كلا منهم
بما يليق بحشمته، وينزله في منزلته، وقابل برندق بلا تثريب، وقابله مقابلة
الخليل الحبيب، ومهد له بساط المباسطة، وسلم اليه مسألة المغالطة،
وحين ثبتت اوتاده اقتلعه، والقاه على غفلة في فم اسد المنية فابتلعه،
ثم اسلى على دياره كلاب النهاب، وشهاب الالتهاب، فمزق اديمها، وهتك
حريمها، ومحا حديثها وقديمها،

ذكر مواراة ذلك الجثة، والقائها في قعر الجدث

ثم انه اول ما اشتغل بمواراة جثته، وتجهيزه والقائه في حفرة لحده،

[illegible]

فوضع في تابوت من آبنوس، وحمله الرؤوس على الرؤوس، ومشى في تشييع جنازته
الملوك والجنود، حاسري الرؤوس لابسي الثياب السود، ومعهم طوائف الامراء
والاعيان، وانزلوه على حفيده محمد سلطان في مدرسة حفيده المذكور
بالقرب من مكان يسمى روح آباد وهو موضع مشهور، فكان هناك على اثاف
في سرداب معلوم غير خاف، واقام عليه شرائط العزاء من اقراء الختمات والربعات
والدعاء، وتفريق الصدقات، واطعام الاطعمة والحلاوات، وستر قبره ونجز
امره، ونشر على قبره اقمشته، وعلق على الجدران اسلحته وامتعته، كل
ذلك ما بين مكلل ومرصع، ومزركش ومصنع، ادنى شيء من ذلك يخراج اقليم
وحبة من كذش تلك الجواهر يفوت التقويم، وعلق نجوم قناديل الذهب
والفضة في سماء غواشيها، وبسط على مهادها فرش الحرير والديباج الى اطرافها
وحواشيها، ومن جملة هذه القناديل قنديل من ذهب زنته اربعة آلاف مثقال
رطل واحد بالسمرقندي وبالدمشقي عشرة ارطال، ثم رتب على حفرته القراء
والخدمة، وارصد على المدرسة البوابين والقومة، وقرر لهم الادرارات
من المسانهات والمياومات والمشاهرات، ثم نقله بعد ذلك بمدة الى تابوت
من فولاد، صنعه رجل من شيراز ماهر في صنعته استاذ، وقبره في مكانه
المشهور، تنقل اليه النذور، وتطلب عنده الحاجات، ويبتهل عنده بالدعوات
وتخضع الملوك اذا مرت به اعظاما، وربما تنزل عن مراكبها اجلالا له
واكراما

فصل في اعتدال الزمان، واخبار خليل سلطان

ولما اخذت
تيمور الصيحة بالحق فصار غثاء، وقعد خليل على التخت وقام الشتاء بعد ان كان
جثا، مد الشعراء السنتهم للزمان بالمدح ولخليل سلطان بالتهنئة ولتيمور بالرثاء،
فتشعع الشتاء وغنى صوته واجاره، ورفع عن العالم في نهوضه الكلاكل والاعجاز،
فابتهج الكون بورود الربيع، وشكر الروض للسحاب ما اسداه من حسن الصنيع،
ورفع على الروابي من الشقائق اعلامه، ونصب ثمار زهره خيام الصنع من ازهار

قبر تيمور الآن [illegible]

الأشجار خيامه، ونور الحدق بانوار الحدائق، واستنطق بتسبيح الخالق من
خطباء الاطيار على منابر الاغصان ما استنصت بلغاته كل ناطق، من
كل معرب في ديوان الفصاحة رائق، ومعجب باسرار البلاغة فائق، ورقصت
الاشجار لغنا الاطيار، وصفقت الانهار، واعتدل الليل والنهار، واكتسى
البسيط الاغبر خلع السندس المزهر، وتبدلت الاغصان من قطنى الثلوج،
كل ثوب باصباغ القدرة مزهر وبنقش الازهار منسوج، وكل قباء
صار مزهرا في كل دف اغن لكل طائر فروج، وبسط الكون على المكان
لاقدام قدوم خليل سلطان شقق الورد والريحان، ولما فرغ خليل سلطان
من ذلك، شرع في تمهيد الممالك، وتسليك المسالك، وعلم انه لا ينقاد به
انسان الا بنقد الاحسان، ولا يجتمع له الناس الا بتفريق المال،
فعقد القلب على فك طلسمات الختوم وحل الرموز، وصرف الموانع والنوابع
عن تلك المطالب والكنوز، وقوى العزيمة على فتح الخبايا، وصيد عصافير
القلوب ببذر حبات الهبات تحت شباك العطايا، ففرق ما كان شتته
جده في جمعه شمل البرايا، وثقل الكواهل بتخفيف ما اثقل ظهر غيره بالمآثم
والخطايا، واوسق احمال الآمال وربوع الاطماع بالاموال، وامطر
ايادي سيبه بالنوال مدرارا فغاض الخبر من صوب الشمال، وملا الافواه
والمسامع والمقل من الناس، بما افرغ من حواصل الكنوز والصناديق على اغنام
الجند والاكياس، فنثر اغصان الدوح عند ورود الربيع اصناف ازهاره،
وكانه انامل كفه المنتظمة في نثار درهمه وديناره، وجاد السحاب لدر
دره وامطاره، فضاهى جود جوده الهامي على العالم واقطاره، فقيد الناس
كلهم بهذا القيد، وخواصا بذلك معربين لا بالاطاعة ترك عمرو وزيد، ذكر
من اظهر العناد والمراء، وتشبث بذيل المخالفة والعصيان من الامراء والوزراء
غير ان بعض تلك القواد، وزعماء الوزراء والاجناد، اعلن ما كان استر، ووضع

المصر من العصيان موضع المظهر، فاول من شهر سيف العصيان وفوق سهام العدوان
وشرع بالمخالفة الرديئة خدايداد الحسيني متولي ما وراء النهر سيحان واطراف تركستان
فوجد من كان قد عزم على نقض يده من عقد الطاعة، اماما تما يقتدى به في البغي
ومفارقة الجماعة، لا سيما وقد كان صوالج الربيع قد اذاب بحرارته شبابيك الجمد
والثلوج، ورصع بما اخرجه من ذلك ديباجة الارض ورياض الجنات وارباض
المروج، واستمعت اموات الحشرات صيحة الرعود بالحق فقالت ذلك يوم الخروج،
فاقتفى خدايداد، في العصيان والعناد، شيخ نور الدين وكان عند تيمور من المقدمين
وذوي الآراء والتمكين، فانخزل جهارا، وسار ليلا ونهارا، فوصل الى خدايداد،
وقوى منه الظهر والاعضاد، وشاركه في التمرد والفساد، ثم بعده قرط نظام
الطاعة شاه ملك، واخذ في طريق المخالفة وهو منهمك، وخرج من سمرقند
وهو يتبرج، وقطع جيحون ووصل الى شهرخ، وكان نظير شيخ نور الدين وذا راي
مكين، وفكر رصين، فلم يكترث خليل سلطان بالعاصي واكرم من لم يعص
وعمم بتاج انعامه كل ذي رايش وما حص، ذكر اخبار الله داد صاحب اشباره
واخلائه اياها وقصده دياره، وما صنع من تدبير الملك واثاره، قولا وفعلا
واشاره، الى ان ادرك في ذلك دماره وبواره، ثم ان الله داد جمع احصاه ليلة ورود
الخبر اليه، وشاورهم فيما يصنع وما يبني اموره عليه، فاتفقت كلمتهم، واجمعت
مشورتهم، على قصد دياره، واخلائه اشباره، فانهم كانوا في ذلك المكان
كالفستق في شهر رمضان، والزنديق بين قراء القرآن، فلما طوى الجو ملاءته
المسكية، ونشر على المكان مروطه الكافورية، والقى ثعبان الفجر من فيه على
هذا السقف المرفوع خرزته المضية، حضر الله داد، امراء الجيش على عادتهم

الى خدمته صح

ورؤس الاجناد، من الترك والخراسانيين والهنود والعراقيين، فاختلى بافاضلهم
ومداره مقاولهم، ونشر لهم من هذه القضية طيها، وطلب من آرائهم فيها رشدها
وغيها، واستكتمهم امرها، لئلا يستفشي الموغول نشرها، وابى لعين الشمس في الصحو

الاستتار، وكيف يخفى على ذي عينين النهار، فكل منهم فوض الأمر إلى مرسومه، وطرح
قصة هذه القضية في جيب مكتومه، فاستدعى من أولئك الرفاق، أن يكونوا
معه فيما يراه على طبق الوفاق، فأجابوه إلى سؤاله، وربطوا أفعالهم بأقواله،
فأكد ذلك بطلب أيمانهم، أن أسرارهم في ذلك كإعلانهم، فشرع كل في
المخالفة، أنه ليس في موافقته مخالفة، وأنه مهما رآه الله داد امتثله، وما
أمره به فعله، وحين أمن غائلة مخالفتهم وعصيانهم، وحصل له اليسار بربطة
أعناقهم بأيمانهم، قال أي جماعة الخير، وفتيان القرى وكفاة الضير، أرى أن
أكون في صلاء هذا الأمر أمامكم، فأتقدم بجماعتي إلى سمرقند أمامكم،
فأمهد الأمور لكم، وأرسل إلى بلدكم هذا بدلكم، وايم الله لا يأخذني قرار
ولا هدو، ولا أترككم مضغة لضاغم في ثغر العدو، فإن رأيتم أن تضبطوا بحبل
الاتفاق أموركم، وتحموا قريحة ورد قلعتكم من سورة شارب العدو وسوركم،
فلن أمهلكم إلا بقدر ما أقطع نهر خجند، وأصل إلى سمرقند، فأمهلوني ريثما أصل
وبخليل سلطان أتصل، فتبعوا مراده، واقتفوا ما أراده، وعاهدوه أن لا يخلفوا
من بعده، ولا يحلوا بعد ارتحاله من رقابهم حبل عهده، فأمر عليهم رأس جنود
العراق، وكان هو أكبر الرفاق بالاتفاق، وفرز لكل مسلحة في أسوارها من كل
سالح جزءا مقسوما، وصار زعيم أولئك السالحين كالنبي في أمته مع أنه كان
يدعى معصوما. فصل ثم أمر الله داد بتنجيز الأمور، وخرج سابع عشر شهر رمضان
المذكور، ولم يلتفت إلى برد وحر، وكان قد استوطن اشباره واستقر، ونقل إليها
حرمه وأولاده، وبذلك أمر حاشيته وأجناده، فاقتلع الكل معه كبيرا
وصغيرا، ولم يدع بها مما يتعلق به فتيلا ولا نقيرا، فساروا تارة دبيبا وحينا
زحفا، وطورا تسومهم الأرض من ثلجها خسفا، وآونة تسقط السماء عليهم
كسفا، فأدركهم العيد المرموق، في مكان يدعى قولاجوق، من أبرد البلاد،
كأنه ينبوع ريح عاد، قلت

إذا احتاجت جهنم زمهريرا، تنشق منه أنفاس الهجير

ذكر ورود مكتوبين إلى الله داد، من خليل سلطان وخدايداد، تخالفت معانيهما، وتصادمت فحاويهما

فورد عليه مرسوم من خليل سلطان بذكر
فيه ما حصل لجده من حادث الزمان، وأنه استولى على سريره، وأطاعه من الملوك
كل كبير القدر وصغيره، وأن الأمور بحمد الله مستقيمه، وقواعد الملك على
عادتها القديمة مقيمه، فلا يحدث أمرا، ولا يخرج من تحت يديه ذرا، وليستدرك
بمكانه، وليثبت باشباره مع طوائف جنده وأعوانه، وليطيب خاطر الجزء
والكل، فإنه عقيب ذلك يرسل إليهم بدل الكل من الكل، فتحير الله داد
وتفكر، وحاسب نفسه هل يربح في سفره ذلك أو يخسر، ففكر وقدر، فقتل كيف
قدر، فبينما هو في أمره يعيد ويبدي، ويلحم في شقه أفكاره ويسدي، وإذا بقاصد
خدايداد الحسيني ورد عليه، يستحثه على الخروج من اشباره والوصول سريعا
إليه، فوجد لخروجه من اشباره عند خليل سلطان مندوحه، وعاش فنام وهو
مغمض العينين بعد أن مات وعيناه مفتوحه، فطوى بساط تردده، وتوجه
ببسيط أمله نحو مقصده، ولكن كان بينه وبين المراد، خرط القتاد، والموانع
التي ذكرها طالب الوصول إلى سعاد، مع زيادة نهر سيحون وخدايداد، فواصل
التأويب والإسآد، حتى وصل إلى خدايداد، فابتهج برؤيته، واستنجح مقصوده
بطلعته، ثم قطعا نهر خجند، وقصدا ضواحي سمرقند، ووصلا على حين غفلة
وفترة إلى مكان يسمى تيزك، وقد شهرا للعدوان الحسام وشرعا للفتك النيزك،
فأحاطا على خيار تيمور فنهباه، وتعلقا على ما وصلا إليه من نقد وجنس
فسلباه، وأكثرا هناك شرا وفسادا، وأشبها في ذلك تسعة رهط ثمود وعادا،
وكانت هذه أول شرارة شر وبدعة سقطت من سقط الزند، وبسطت يدها
بالفتن بعد قبض تيمور في ممالك سمرقند، لأن أهلها كانوا قد أمنوا الشرور
ووقوع الفتن في حياة تيمور، فجبر دهمهم أولئك المغترون أنهم العذاب

من حيث لا يشعرون، وذلك في شوال سنه شبع، وهو العام الذي خلا فيه من
تموز الوبع، وما امكن السلطان خليل تدارك هذا الخطب الجليل، ٥

**ذكر من خلفه الله داد باشباره من الطوايف، وما وقع بينهم من التشاكس
والتخالف**، واما امر من خلفه الله داد في اشباره من طوايف الاجناد، فانهم
خافوا من الموغول حلول حينهم، فتحزبوا واختلف الاحزاب من بينهم، فمنهم
فرقة قال قايلهم انا على عهدي قوي فلا اخون وامين، وقد استمسكت يدي بعروه
عهد مكين، وارتبطت بحبل حلف فلا اصير من اهل الشمال باليمين، واري ذلك
ان نصبر حتى يصل من الله داد رسول او كتاب، وننظر ما تبين فيه من سلوك سنن
فمتى يصايب نظرنا الخطا في ذلك من الصواب فان وافق مرادنا امتثلنا ما يقول،
واتبعنا في ذلك الكتاب والرسول، وتوجهنا في تلك الساعه سالكين السنة
مع الجماعه، وان جالحنا في كتابه بخطاب الجلح عدلنا الى الاعتزال ومال كل
منا في مصلحة نفسه الى القول بوجوب رعاية الاصلح، ومنهم شيعة مالت الى
رفض تلك الداره، والمبادره الى الخروج من اشباره، وانتقلوا من تكرار هذه المجادله
الى القتال، وقطع راس احد روس الخراسانيين في مصاف النزال، ومنهم طايفة
اهمتهم انفسهم فلم يلبثوا الا عشية او ضحاها، ثم تحملوا وخرجوا من المدينه وتركوا
الدار تبكي من بناها، فلم يتبع الناس الا اتباعهم في الخروج، لان مقاماتهم من اول
الزمان هناك كانت كبنيان القصور على الثلوج، فحملوا بقضهم وقضيضهم، وجهزوا
بصحيحهم ومريضهم، وتركوا البلد بما فيه من غلات ومستغلات، ونعم وخيرات
واموال وامتعه، ونفايس مدهشه، ولم يبق فيه من تلك الامم المشحونه، سوى
ما به مما عجزوا عن حمله من اموال مشحونه، وسوى امراة واحدة مجنونه، ولحقوا
بالله داد، وهو عند خدايداد، فلم يعنف واحدا منهم بما فعل، واعتذر اليهم بان خدايداد
منعه ان يتوجه الى سمرقند وجهز لهم البدل، وامرهم بالاقامة معه مستوفزين
وان يكونوا للفرصة التوجه الى سمرقند اذا لاحت منتهزين، **ذكر ما تم لالله داد،

مع خدايداد، وكيف ختله وختلبه، واسترق عقله وسلبه**، ثم ان خدايداد
تحقق بوقوع هذا الفساد، تاكد العداوه بين خليل سلطان والله داد، فركن
اليه بعض الركون، وجعل يستشيره فيما يصير من امره وما يكون، وكان عند
خدايداد، طايفة من مماليك الاجناد، تخلفوا من العساكر في تلك البلاد، وقد
ضيق عليهم المسالك، واراد ان ينقلهم من ممالك الى ممالك، فلم ينعم له الله داد بذلك،
وقال ان عادة الاكياس استجلاب خواطر الناس، خصوصا في مبادي الامور،
وحدوث اوايل الشرور، فلا تنفر عنك الخلق، وعاملهم اولا بالاحسان والملق،
واي فايدة في قتل هولاء، وتمزيق ادبهم، سوى نفي الصداقة وتاكد العداوه بيننا
وبين مخاديمهم، وربما يكون في خاطر احد من مخاديمهم نفرة من خليل سلطان
ويروم لذلك ظهرا او ملجا يلوذ به من رفيق ومكان، فتلجيه الضروره الى ان
يقصد ممالك تركستان، فاذا اذيته في متعلقيه اني يبقى له اليك ركون،
واطمينان، واقل ما نفعل مع هولاء يا انسان، امساك بمعروف او تسريح باحسان،
ومخاديم هولاء لنا رفقا، وبخليل سلطان اصدقا، فان زرعت معهم الجميل ملكت
كل رفيق وجليل، والقيت العداوه بين من عاداك من صديق وخليل، فلما سمع
كلامه، القى الى يده من ذلك الامر زمامه، فاشار عليه بسراحهم، والاحسان
اليهم في غدوهم ورواحهم، فزاد في نجاحهم، ورايش مقصوص جناحهم، وصرفهم
بالعز في طريق مراحهم، فدارت بالسعد افلاكهم، واجتمعت بهم املاكهم وملاكهم
ذكر ورود كتاب من خليل، فيه لفظ رقيق لحل امر جليل، ثم ان وافد
خليل سلطان، وفد على الله داد، يطلب منه السعي في لم الشعث فيما وقع بينه
وبين خدايداد، وان يستعطف خاطره الى الرضي، ويستقبل المودة في الحال
ويعفو عما مضى، ومهما طلبه يتكفل به، ويعد قربه من افضل قربه، ويكون
هو السفير بينهما، ويقرب الصلح عنهما، فتوجه الله داد، الى خدايداد، وابلغه
هذه الرساله، وبين له ما في هذا القول من رقته وجلاله، **وسبب العداوه**

التي كانت بين خليل سلطان وخداداد على ما ذكر ان خليل سلطان كان في اوايل الزمان
مجاوراً لخداداد في تلك البلاد، وكان جده جعله ناظراً عليه، وفوض امور تربيته
اليه، وكان كزاً جافيا، وجلفا جانيا، وكان يعامله بالفظاظه، ويقابله
بالكثافة والغلاظه، وكان خليل سلطان لطيف الذات، ظريف الصفات،
نسيم اخلاقه لا يحتمل من خداداد زعازعه، وبرد مزاجه اللطيف لرقة حاشيته
لا يثبت لمجاذبة المشاقة والمنازعه، فتولد من تلك القساوه، بينهما العداوه،
وسعت بينهما الوشاه، الى ان دس له مهلكا فسقاه، وكانه احسه، فتدارك
نفسه، وتعاطى علاجه، وما يصلح مزاجه، فقضى الزمان ان نصل من تلك الداهيه
وليتها كانت القاضيه، وبقي فيه من ذلك اثر، اورثه العرج، فصارت العداوه
الخاصة عامه، وغدت هذه الفعلة لهذا المعلول علة تامه، **فصل** ثم ان
الله داد، حلف لخداداد، الايمان الغلاظ الشداد، واكد هذه الايمان
بان استصحب معه القران، واشار اليه، ووضع يده عليه، وزاد تاكيدا بايمان
الطلاق، وبالالتزامات والنذور والعتاق، انه لا ينقض عن طاعته يدا، ولا
يستحيل عليه ابدا، وانه ان توجه الى سمرقند يجهد في رأب ما انصدع، ورد ما
انقدع، ورتق ما بين الجانبين انفتق، ورقع ما في خواطرهما من الشحناء والعداوة
انخرق، وان يجهز له تومان احدى نساء تيمور، وحاصل الامر انه تكفل بحسم مواد
الشرور، واصلاح الامور، وان عجز عن رفع الشنآن، ومحو سطور العدوان،
فانه لا يستحيل عن مصادقة خداداد في السر والاعلان، وصار يملق ويترقق
ويتوصل بمموهات زخارفه الى مجاري فكره ويتسلق، ويشدد ايمانا ترجف
القلوب وتصدع، بالله الواحد ويثني بالطلاق الثلاث من زوجاته الاربع، وكان
مخيمهم على ساحل سيحون ممتدا، وهو عن شاهرخيه نحو من بريدين بعدا، فعبر
سهم ختله الى سويدا قلبه بمكر ودخل، وعربله اذ طحن معدنا عما مارزع بيمينه
في ساحله ونخل، الى ان سمح باطلاقه، بعد تاكيد عهده وميثاقه، فرجع الله

داد الى وثاقه، واجتمع بحاشيته ورفاقه، وكانوا في شاهرخيه، واخبرهم بهذه
القضيه، وكان قد هيأ قبل ذلك امره، واخذ من كل جهة اسلحته وحذره،
ثم انه شمر الذيل، وقطعوا سيحون بالمراكب تحت جنح الليل، **ذكر لحوق
الله داد بخليل سلطان وحلوله مكرما معززا في الاوطان** وحين حصل
على هذا الجانب، ولم يتول له في ذلك الجانب حاضر ولا غايب، امر في الحال بحكم
الاحمال، وشد الاثقال، قبل التهبه، فافرغوا عليهم سوابغ
السلاح، واذن بصلاة الرحيل قبل الفلاح، وقدم ضعفة اهله والاثقال امامه،
ونقض بهذا الاذان شروط الاقامه، وطير الى خليل سلطان بخبر هذه الاخبار،
وما جرى بينه وبين خداداد وكان وصار، ويستمده باستقبال المدد، وارسال
العدد والعدد، لاحتمال ان خداداد الابله، يتفطن لغايلة هذه الفعله،
فيخطر بباله ردهم، ويرسل وراهم من يصدهم، ثم ساروا كالسهم الصايب،
وطاروا كالنجم الثاقب، فما اصبح لهم الصباح، الا وقد ظهر لهم من السعد فلاح،
وجازوا كل قاتم الاعماق خاوي المخترق، وقطعوا على انوال المتين مما اسدى
مطاياهم من زهر الرياض الوان الشفق، فوصلوا بالسير سراهم، فساروا نهارهم
اجمع حتى غشيهم مساهم، وحين اخذ منهم اللغوب، وكل الراكب والمركوب،
وسدلت عليهم عنقاء الظلام الجناح، عدل بهم الى بعض البطاح، وحط عنه
واستراح، ورسم ان لا توقد نار، ولا يطمع احد في طعم النوم بغرار، ولا يشام
في جفن طرف سيف ولا سيف طرف، ثم التهموا ما يسد الرمق فصلوا صلاة
الخوف فعبدوا الله على حرف، وامهلوا ريثما قطعت الدواب العليق، ثم امر
فحملوا وركبوا متن الطريق، **ذكر تنبه خداداد، بان الله داد، ختل
عقله بانكال وانكاد،** ثم ان خداداد تنبه من رقدته، وارعوى من ليلته،
وعلم ان الله داد ختله نهاره ذلك وسحره، وكسف شمس عقله ولعب به في
دست حلفه وقمره، فعض كما يعض الظالم على يديه، وعبى في الحال عسكرا

جرارا وانفذه اليه، فاسرعوا وراه، والتمسوا لقاه، فلم يروا له عينا ولا اثرا،
ولا رووا عنه من احد حديثا ولا خبرا، فلم يزالوا في طلبه حايرين دايرين، ثم
عادوا من هنالك وانقلبوا صاغرين، ووصل الله داد الى مقصده، فوجد وظيفة
الوزارة شاغرة، فاستولى عليها بمفرده، اذ قبل دخوله كان شيخ نور الدين قد خرج
وشاهملك وكل من رام العصيان كان قد دب ودرج، فانتهج بقد ومه خليل
سلطان، وقدمه كما كان على ساير الوزراء والاركان، فتمكن الله داد كيف شا،
وتصرف في معاني الملك ببديع بيانه اخبارا وانشا، وتعاطى في الحال تمهيد الامور،
وتجهيز السرايا وحفظ الثغور، فتراجع امر الناس وانضبط، وانتظم عقد الملك بعد
ما انفرط، واستقر حال الناس، وتمكنت القواعد على الاساس، وكان هو
وارغونشاه واخرون على حول يدبرون مصالح المملكة، ويسلكون بكل احد
مسلكه، ولكن الله داد هو الدستور الاعظم، والمشار اليه المحتم، وعليه
مدار القبض والبسط، ونظام عقود الحل والربط، واستمر شيخ نور الدين وخداداد
يغيران على البلاد، ويزيدان في الشر والفساد، واستوليا على اطراف تركستان،
وممالك تلك البلدان، منها صبرام وتاشكند، واندكان وخجند، وشاهرخية
واترار وسغناق، وغير ذلك مما في تلك الاكناف والآفاق، وكانوا يقطعون
سيحون، ويتوجهون الى ممالك ما وراء النهر ويغيرون، فتارة يتوجه اليهم خليل
سلطان، وتارة يجهز لهم طوايف من الجند والاعوان، وعلى كل تقدير فانهما
كانا لا ينثنيان عن هذا الشان، وسياتي ذكر ذلك كما كان،

ذكر ما وقع في توران من حوادث الزمان

تعد موته من حوادث الزمان، واما الموغول، فانه لما اتصل بهم خبر
ذلك المخذول، وكان بلغهم انه قد صوب الجار كيده الى هشم تلك الثغور، وفوق
نبال قصده الى خرق تلك البطون والنحور، لم يشكوا في ان ذلك شرك مكيدة،
واحبولة مصيدة، فلم يقر لهم قرار، ونادوا الفرار الفرار، وتشتتوا في
البلاد، وتشبثوا باذيال القلاع ورووس الاطواد، ولجاوا الى الحصون

والجروف، وتماوتوا في قعر المغارات والكهوف، وكذلك كل ذي يمين من اهل
الدشت والشمال، توزعوا في الاحقاف والرمال، وصار اهل المشرق
والخطا الى حدود الصين ومن في ذلك الوجه يترجون لو يجدون ملجا
او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون، ولحوا انه كان في هيبته
وعتوه قد عرج، الى ان اهلك العالم شرقا وغربا بالارج، وصار كما قيل شعر

تكاد قسيه من غير رام ... تمكن في قلوبهم النبالا
تكاد سيوفه من غير سل ... تجد الى رقابهم انسلالا
تكاد سوابق حملته تغني ... عن الاقدار صونا وابتذالا

فلما ترادف هذا الخبر، وتكرر رسم قند هذا السكر، واشتهر اسناده
حتى ترقى من الاحاد الى التواتر، وتقرر هذا الحق عند كل احد فلم يسع فيه
جحود ولا تناكر، تراجع نواد كل الى جوفه، وتبدل امنا من بعد خوفه،
ونادوا باللثارات، وشرعوا في شن الغارات، وقصد كل مستحق استرجاع
حقه، وكل مسترق لمسترق استفكاك رقه، فاول من نهض من
الشرق الموغول، وقصدوا اشباره واشي كول، وامتدوا في تلك
البلاد، حتى جاوزوا واخذ انداد، فهادنهم وصافاهم، وشرط لهم رد
ما اخذ تيمور من ماواهم، وان يكونوا ابدا واحدة على من ناواهم، واحتسب
كل منهم مع الاخر الجوار، واطمانت بواسطة هذا الصلح تلك الديار،

ذكر نهوض ايدكو التتار، وقصده ما وراء النهر وتلك الديار

ثم نهض من جهة الشمال، ايدكو بعساكر كالرمال، وتوجه نحو خوارزم
الى ممالك خوارزم، وكان نايبها يدعى موسيكا فلما احس بالتتار خاف
على نفسه البوار، فاخذ اهله ومتعلقيه وشار، وذلك بعد ان هجمت
التتار الرومية المضافة الى ارغون شاه، وعبروا جيحون وهو جمد،
ورجع ارغون شاه الى ماواه، فوصل ايدكو الى خوارزم واستولى عليها،

واستنطر بخيله الى بخارا فنهب ما حواليها ، ثم رجع الى خوارزم وقد اذكى
في الحشاي اللهيب ، وانكى ، وولى من جهته في خوارزم وولاياتها شخصا يدعى
انكا ، فتمهدت بتلك الاماكن ، واطمانت الطواعن والسواكن ، بواسطة
ان خليل سلطان قابل كل من اسا اليه بالاحسان ، وصار يسترضي كل
ساخط ، ويستدني بمكارمه كل شاحط ، ويصطاد النفوس بالنفايس ،
ويفترس الاسود بالفرايس ، فاحبه الاجانب والاباعد ، ورغب فيه كل
صادر ووارد ، غير ان شيخ نور الدين وخداينداد ، تماديا في الفساد ، والجنا
في العناد ، وخرب ما بجوذب بين الطرفين من البلاد ، ذكر پير محمد
حفيد تيمور ووصيته ، وما جرى بينه وبين خليله ووليه ، ٥
ثم ان پير محمد ابن عم خليل سلطان ، وهو الذي عهد اليه تيمور كان بعد
فوت اخيه محمد سلطان خرج من قندهار ، وقصد سمرقند بعسكر جرار ،
وارسل الى خليل سلطان ، وساير الاكابر من الوزراء والاعيان ، بانه هو
ولي العهد ، وخليفة جده تيمور من بعد ، فالسرير حقه فاني يغتصبه
والملك ملكه فكيف يسلبه ، فكل منهم جاوبه ، بما يليق بما خاطبه ، واما
خليل سلطان فتصدى للمعارضه ، وقابل كل مسئله من الخطاب بما ينافيها
من المعاكسه والمناقضه ، وقال لا تخلو مسئلتنا يا فلان ، من ان الملك
في هذا الزمان ، اما ان يكون بالانتساب ، او يظفر به بطريق الاكتساب ،
فان كانت الاولى ، فثم من هو احق مني ومنك واولى ، وذلك اي امير انشاه
وعمي شاه رخ اعني اخاه ، فيكون بينهما بالسويه نصفين ، فما لك كلام مع
وجود هذين ، وانا اولى ان اكون صاحبه ، فارعى جوانبه ، واسلك مذاهبه ،
اما بان يقطع كل منهما عني المشاغبه ، ويترك لي ما انا فيه ولا يتابع المطالبه ،
ويقنع بما هو فيه من مملكته ويحفظ جانبه ، واما بان يجعلني خليفته
في سلطانه فاصون نصيبه ونايبه ، وان كانت الثانيه ، فكلامك لا

يستقيم

110

يستقيم ، لان الملك كما زعموا غنيم ، ومن قبلي وقبلك قيل في الاقاويل شعر
صونوا جيادكم واجلوا سلاحكم ، وشمروا انها ايام من غلبا
وان زعمت ان جدك عهد اليك ، او عول في وصيته عليك ، فهو من اين استولى لك
الا بطريق التغلب ، والى حصل له ملك وملك الا بالاغتصاب والتالب ، وعلى
تقدير التسليم ، وان امر وصيته مستقيم ، فانه كان في حيوته قسم بلاده ، ووزع
عليها اولاده واحفاده ، فولى والدي ممالك اذربيجان ، وقرر عمي في ولايات خراسان
وابن عمي پير عمر في عراق العجم وتلك الديار ، وولاك انت من جملة ذلك قندهار ،
وجعلك وصيه كما رسم واشار ، وتحمل هو المظالم وانتقل ، فاين نصيبي انا من هذا
النقل ، فاجعلوا حصتي من ذلك ما استوليت عليه ، وليقنع كل منكم بما تقرر فيه
وفوض اليه ، ومع هذا ان تابعك ابي وعمي تابعتك ، او صادفاك على الوصيه
وبايعاك بايعتك ، وان سلكا في ذلك طريق الحق ، فالملك صيد والاولى به من
حازه فيه قصب السبق ، وان الله ازاح علله اذ شتتني باسبابه ، واتاحه لي سماحا
ومن سبقت يده الى مباح فهو اولى به ، هذا وان كلا من مدرسي فقه الملك
تابعني ، ومن له في عقود السلطنه شركه ترك المضاربه وطاوعني ، وقد عقد
توليتي مرابحه ولما وقف على شيري الذي الى السلم وبايعني ، واما الوزرا والاعيان
فاجابوه بما لا طايل فيه ، سوى ما نمجه اذن مستمعيه ، غير ان الخواجا عبد
الاول ، وهو صدر صدور العلما ، والمتصرف في رؤسا ما وراء النهر من السادات
والكبرا ، والمنفذ سهام احكامه في جميع الامراء والزعما ، اجاب فاجاد ، واصاب
وافاد ، واختصر واقتصر ، وهو من پير محمد والخليل سلطان انتصر ، فقال في
جوابه ، مجاريه في خطابه ، نعم انت ولي العهد ، وخليفه الامير تيمور من بعد ،
ولكن ما صادف طالعك سعد ، ولو ساعدك البخت ، كنت قريبا من التخت ،
فالاولى بحالك ، ان تقنع بما لك وما لك ، وتبقى على خيلك ورجالك ، وتضبط ما
في يدك من ممالك ، وان ابيت الا طلب النما ، ولم تقنع بما قسم الله لك وقضى ،

وخرجت من مملكتك الى هذا الفضا، فانك تقع في العنا، وتخرج ولا ثبات من
يدك فتصير مذبذبا، لا الى هولاء ولا الى هولاء، **ذكر تجهيز خليل سلطان سلطان
حسين للمناصرة، وخروجه عن خليل سلطان وقبضه على امرائه ومخالفته،**
ثم ان خليل سلطان لم يقنع بدقايق هذه الاقوال، واردفها بحقايق الافعال،
وامر بتجهيز جند مجند، الى استقبال بير محمد، واضافهم الى ابن عمة والده
السلطان حسين، وعين فيهم من امرا الجغتاى كل راس وعين، وضم اليهم
الظهور والاعضاد، ومنهم الجوك وارغون شاه والله داد، فساروا ابناء
العدة كاملى العدة، وذلك في سنة سبع منتصف ذى القعدة، فعبروا
جيحون الى بلخ وخيموا في ضواحيها، وانبثوا في اقطارها ونواحيها، وبيناهم
مرفهوا الحال، فارغوا البال، قريروا العين، نما رض السلطان حسين،
ثم انه دعا الامرا، ليقرر معهم فيما هم بصدده الارا، وقد اكمن لهم كمينا،
وارصد لهم الرجال شمالا ويمينا، وحين دخلوا خيمته، ودخلوا كيسه،
وثب عليهم وثوب الليث على الفريسة، واغرى بهم اسوده فوقعوا فيهم وقوع
الجياع على الهريسة، ثم نادى من معه من الرفاق، ضرب الرقاب حتى اذا اثخنوهم
فشدوا الوثاق، وكان كما ذكر ذا طيش وشجاعة، وتهور ورقاعة،
وصولة وجولة، يسبق فعله قوله، فاهرق في تلك الساعة، دم واحد
من اوليك الجماعة، يدعى خواجه يوسف كان في حيوة تيمور نايب الغيبة
بسمرقند وهو امير مشهور، ففي الحال قتل، والى الدار الاخرة نقل، ثم استقل
لنفسه بدعوى السلطنة، ودعا الخلايق من ههنا ومن ههنه، فدهشت
اوليك الروس، وعلموا انه قد حل بهم النحس والبوس، **ذكر خداع الله داد
سلطان حسين وتلافيه تلافه بالمكر والمين،** غير ان الله داد ثبت جاشه المزود،
واستحضر تلك الساعة عقله المفقود، فابتدر سلطان حسين مناديا،
واستثبته في امرهم مناجيا، وقال له بعبارة فصيحة، اني اليك نصيحة،

ثم

ثم استحلاه وقال، انا كنت مترقبا منك هذه الفعال، ومترصدا منك اظهار
ما انت بصدده، ومن ابن لخليل سلطان ان يحتوى على الملك بمفرده، غير ان
هيبة مولانا كانت باسطة، ولم يكن بينه وبين المملوك واسطة مباسطة،
ولو كان عندي من ذلك ادنى شعور، لرتبت المصالح على ما تقتضيه الاوامر
الكريمة والامور، ثم ان الخاطر الكريم، يشهد بصدق هذا الحديث وانى
عبدك من قديم، وسل من كان لك من المماليك والاجناد، الذين كانوا
محصورين في اسر جد ابداد، من خلصهم من حبايل اسره، وانقذهم من ضرام ضره،
واطفا عنهم ما التهب من شرار شره، اذ لولا انا لكان اباد هم، وابتر اولادهم،
ونجع بهم طريفهم وتلادهم، فانك ان تسلهم يخبروك، وعلى حقيقة الامر وجلية
الحال يطلعوك، وربما اخبروك بذلك لما اتوك، ومع هذا اشتغف قلبك
وان افتوك وافتوك، ولا زال يطفى بما اخر غلايه شواظ تفرعنه ولهيبه،
ويذكى في خياشيم رعونته عنبر احيا له متمسكا بمسكنة وطينه وربه
عن قوس خلله الى سويدا احيا لانه نبال مكر انفذت فيه نصال القضا، والقدر
لانها كانت مصيبة، فاشرب مكره، وتبع امره، وجعله ظهيره، واستقدح
في اموره فكره، ثم انه بعد ان امتن عليه باستبقايه، استشاره في قتل
رفقايه، فقال له لا شك ان خليل سلطان، ملك الناس بالانعام والاحسان،
وهو وان كان في الشجاعة، فاضل اليد قليل البضاعة، لكن استعبد ابطال
الرجال، بحسن الخلق وبذل الاموال، غير ان المال بمعرض الفنا والزوال،
وانت بحمد الله ماثرك مشهورة، ومنازل نازلاتك لابطال الابطال
معمورة، ورايات كسرك قرون الاقران على جبين الكباش منشورة، وروس
مناطحاتك ثيران الوغى على قرون الزمان ابدا منصورة، قلت

فكم لزت شجاعا في البراز بمد، راى محياك ولى ضارطا وجرى

وانا اعلم ان عامة الجند ستبتهج بطلعتك، وترقص فواده للحصول

سكونه فرحا بحركتك، فانه لا بد من ان يستوحشهم، وضابط همام يصان
تبدّد بين نفايسهم ونفوسهم، وقرم كالليث الخادر، والسيل الهامر، بل
كالبحر الغامر منصور ان دعا وان دُعي فناصر، موصوف بما قال الشاعر شعر
اضاف الى التدبير فضل شجاعة، ولا عزم الا للشجاع المدبر، وبما قال
شعر، لا يكشف الغماء الا ابن حرة، يرى غمرات الموت ثم يزورها
وهل ثم في هذا العصر موصوف بهذه الصفات الا انت، وما النجدة والكرم
والحسب الا رواحل حيثما رحلت وساكن اينما سكنت، ولو حدثت شيخا هملك
وشيخ نور الدين ان وراهما منك الحصن الحصين، لا اسندا اليك رواية ذلك
السند الشديد، ولاويا من جنابك العالي الى ركن شديد، وحاصل الامر
انك مولى الكل وجميعهم لك عبيد، واذا كان الامر كذلك فقد ملكتهم
فسوا عندك ابقيت عليهم او ابدتهم، ولكن الابقا اولى، ولا زالت العبيد
تترقب مراحم المولى، فان اقتضى الراي السعيد، ان نكون كلنا موثقين في
الحديد، مع زيادة قيد ايمان اكيد، فرايه اعلى، واتباع ما يقتضيه
احرى واولى، فاتفق رايه، واتخذ علما لامورهم ورايه، فاستسعد نجيبه
وقال اسلك ورايه،

ذكر اخذ سلطان حسين على الامرا الميثاق وتشبه على خليل سلطان وهم معه في الايثاق

ثم انه احضر الامرا، وهم في قبضة سطوته
اسرى، وقد ناوح كل من متعلقيهم مهب ناحية، وتوجه الى دار كل
المحزون فقامت عليهم النايحة والناعية، واوثقهم بقيدي الحديد
والايمان ان يكونوا معه في السرا والضرا على خليل سلطان، فمد كل منهم
الى القيد رجله والى اليمين يده، وعاهده على ما يختار وان يقدم له نفسه
واهله وماله وولده، فحين استوثق منهم، ازاح بالاماني السو عنهم،
وتركهم موثقين في البند، ونكص قاصدا سمرقند، وارسل الى خليل سلطان
بخبر ما دب من امره ودرج، فليستعد لمبادرته فها هو قد عبر جيحون وخرج،

وانه

وانه هو ايضا طالب من ملك خاله حصته، ومنازع خليل سلطان في السرير
منصته،

تبرز خليل سلطان من سمرقنده للاقاه سلطان حسين بطوايف جنده ورجوع سلطان حسين بما رومه بخفي حنين،

فاستعد له
خليل سلطان، وخرج من سمرقند لاستقباله في اسرع زمان، ثم ان السلطان
حسين احضر الله داد، ومن معه من السلاطين المقربين في الاصفاد واستانف
عليهم العهود، واكد عليهم قيود العقود، واحل كلا منهم محله، واجاز
عقده وحله، وخلع عليه واجازه، واحترم حرم حقيقته ومجازه، وبسّ
بانعامه الى متعلقيهم وهش، وسار بهم حتى وصل الى مدينة الكش، والله داد
كان قبل ذلك بزمان ارسل الى خليل سلطان يخبر بوقوع هذا الهم، وما جرى
عليهم من شرور وما تم، ثم قال له ان فالك سعيد، وامرك حميد، فانهض
براي رشيد، وعزم شديد، وجنان حديد، فان صدك مصيد، والله
تعالى ناصرك فربما غير بعيد، فلا تخف وان كنت طفلا فانك فتى شبت هوا
القلوب بنسمات محبتك نصرت شيخ السلطنة وكل الانام لك مريد، فوصل
خليل سلطان الى ذلك المكان، فعبى السلطان حسين جيشه، واستعمل
تهوره وطيشه، وجعل الله داد على الميمنة، ورفيقيه على الميسرة، ولما
تراى الجمعان، وتدانى الزحفان، وحقت الحقايق، وشدت المضايق،
وتعادت الاسود والقرانق، بادر كل منهم من مكانه، وقصد كل من الله داد
واقرانه عساكر خليل سلطانه، فتخبطت عساكر السلطان حسين، وسلب
ثوب عزه ونبذ بالعرا، ملتحفا من ظنونه ثوبي خيبة ومين، وذهب من
البلا ما نساه سلبه فرجع بخفي حنين، ومر على وجهه قاطع الفلاه، حتى
وصل الى ابن خاله شاهرخ صاحب هراه، فلم يطل له عنده مدة، فاما سفاه
مهلكا واما مات حتف انفه عنده، وكان ذلك اخر العهد بسلطان
حسين، ورجع خليل سلطان الى دار ملكه قرير العين، ٥

بقية ما جرى لابن محمد مما قصده من فرح وهم، وكيف آل ذلك إلى وبال
وحزن فنقص ومآتم، ثم ان ابن محمد تمادى في خروجه، واستمر يرتع في روض
الطلب في مروجه، وتكررت بينهما دروس المراسله، وتحررت مسايلهما بعد
مطاولة المقاوله، ان ينزلوا منازل المنازله، ويحلوا ابروج المقابلة والمقاتله،
وكان متولي امور ديوانه، ومشيد قواعد ملكه وسلطانه، شخصا يدعى بن
علي تار، حامي حقيقة باب الملك وحارس الحجاز، شرة بطحا مملكته، وقطب
سماء دايرته، وقدوة علما عوالمه، وقوة خوافي عسكره وقوادمه، فجرد من
عساكر قندهار، كل طود لو مال على الهند هار، وتوجه بعزم امضى من
البتار، وحزم انفذ من الخطار، قاصدا ذلك الخصم الهدار، والسيل الثرثار،
والغمام المدرار، حتى وصل الى جيحون فوقف منه التيار، ثم امر ذلك البحر العجاج
ان يركب من جيحون الاثباج، ويصادم منه ملاطم الامواج، فمرج الله البحرين
هذا عذب فرات سايغ شرابه وهذا ملح اجاج، فمخروا منه بسفنهم البحر،
وجاوزوه مجاوزة بني اسرايل البحر، وسار بذلك الاخشب، حتى ارسى على ضواحي
نخشب، **ذكر مقابلة العساكر الخليلية، جنود قندهار بصد وريه،**
والقايهم بهن بمهم اباهم في شربليه، وكان قبل ذلك خليل سلطان
قد بحر امره كما كان، ونفث اعطار مندل الايثار، وقوى العزايم على الملوك
بالاستحضار، ليجنوا من اشجار الجرايات وثمار الادرار، ما يستعدون به لملاقاة
شياطين قندهار، فلبى دعوته العام والخاص، وكل بنا من عفاريت الجنود
وغواص، واجتمع من اعيان اوليك الاعوان، كل مطيع مقتطف ثمر احسان
ذلك البستان من انس وجان، وجاد ذلك البحر افواج امواج العساكر من كل
مكان، وهم ما بين روس الجغتاي والجتا، وكل فرعون من بلاد تركستان قد علا وعتا،
وفوارس فارس والعراق وسمدار، وجان قربانية خراسان والهنود والتتار، ومن
كان تيمور اعده لمضايق الامور، ولم يفارقه في سفر ولا حضر، وارصده لكل نايبة من

الحصر

خير وشر، شعر، فوارس لا يملون المنايا، اذا دارت رحى الحرب الزبون،
فاستانف عليهم فواتح الفتوح، واستنجب منهم لما دهاه كل صديق نصوح،
واسبغ عليهم من دروع عطاياه السابغات، وضاعف على قامة املهم من
خلع انعامه المضاعفات، ففتحت عليهم الارض خزاينها، وصبت عليهم
من معادنها وفلزاتها ظاهرها وكامنها، وصار كل راجل منهم وفارس،
وقد تحلى فيما تحلى به من تلك النفايس، يزري بحسن هيته على مخدرات
العرايس، فساروا ونسمات النصر من انفاسهم فايحه، ولمعات الفتح من بوارق
بيارقهم لايحه، والسبع المثاني لابواب النجح والفتوح في وجوههم فاتحه،
ولازال ذلك الراس يرشي ويمشي، حتى حط على ضواحي قرشي، وهي المدينه
المذكوره، فاستقرت تلك العساكر المنصوره، وذلك يوم الاحد مستهل
شهر رمضان، سنة ثمان مايه وثمان، فبات كل من ذينك البحرين وقد ضم
ذيله، وكف عن التبذر والتبدد سيله، وحفظ من الاعدا رجله وخيله،
واحيى في معتكف المراقبة الى الصباح ليله، قلت شعر،
الى ان بدا لمع الضيا في ظلامه، يلوح كموج الما بين سحب طحلب،
ولما سل الفجر صارمه الفضي وابرز ابريز رشته، ومسح عن لوح الجو
ما طرشه مسود الليل من دخاني نقشه، تهيا كل من اوليك الاطواد
للاصطدام، واشتعلت في قلوب تلك القبايل نار الحميه للاصطلا
والاصطلام، فعبى كل عسكره، ما بين ميمنة وميسره، ومقدمة
ومؤخره، ثم تدانوا وتكانوا، وتعاونوا وتعانوا، وتزاجروا وتعانوا،
وتعانقوا وتهانوا، وتناخروا وتفانوا، والتف الرجال بالرجال
والخيل بالخيل، وارتفع ظلام القتام على روس الاسنة فراوا في صلوة
الظهر نجوم الليل، وجرى في ذلك القسطل من كل قناة عيون السيل،
ثم عند منتصف النهار، انكشف الغبار، عن ان طود قندهار زهار،

وتبعد اوليك الكبار بار، وعليهم غبار العثار ثار، وخبرهم بالانكسار سار،
وصيت خليل الى الاوطار طار، والى الآفاق بالانتصار صار، فولى بير محمد
وعلى راسه بحر الدمار مار، وفي قلبه زناد البوار وار، حتى كان في قلبه
جمر الغضا والغار غار، او في كبده نار المرخ والعفار فار، وخذلت
رجاله، وابطلت ابطاله، ونهبت اثقاله، وتحولت احواله، وسبى حريمه
وعبيده، وسلب طريفه وتليده، وتشبث هو باذيال الهزيمه، وعلم ان
ايابه سالما نصف الغنيمه، كما قيل شعر

ايابك سالما نصف الغنيمه، وكل الغنم في النفس السليمه

ورجع خليل سلطان وقد استنار به الكون والمكان، واستقرت دولته،
واستطارت صولته، وشكر الله الملك، واتم صيام رمضان في مكان
يسمى چكدليك، **ذكر خروج عسكر العراق على خليل سلطان، وتجاهرهم
بالخروج وقصدهم الاوطان** ثم في ليلة الاثنين غرة شوال، خرج من العراقيين
الروس والابطال، ومعهم حريمهم واتباعهم، واولادهم واشياعهم، وكبيرهم
شخص يدعى حاجي باشا، وهم جارون تحت امره كيف ماشا، وكانوا ذوى
صوله وجوله، وصحبهم السلطان علا الدوله، ابن السلطان احمد البغدادى
لصلبه، وكان قد وقع في اسر تيمور ورهنه في سجن محنته وكربه، فافرج عنه
خليل سلطان، وجعل عنده ذا مكانة ومكان، فبينا الناس مشغولين بامور
العيد، رفع ايديهم اوليك الصناديد، وكانه كان قد تقدم لهم بذلك مواعيد،
فخرجوا تحت جنح الليل، وشمروا الى عرابين العراق الذيل، وطلقوا مخدرات ما
ورآ النهر ومالوا عنها كل الميل، لانهم كانوا قد سمعوا ان دارا العراق ازلت
بابنيها، ومباه انهر سلطنتها عادت الى مجاريها، فلم يقف احد امامهم ولا مشى
خلفهم، ولا قدر على ان يربط عن المسير رجلهم وكفهم، فقطعوا جيحون
ووصلوا الى خراسان، فتصدى لهم كل من سمع بهم من كل مكان، فانفرط

نظامهم

نظامهم لعدم اتفاقهم، فتقطعوا في البلاد قبل وصولهم الى عراقهم، واين ايران من توران
ودجله من جيحان، وقعد خليل سلطان في ذلك المكان، ثم الوى راجعا الى الاوطان
ذكر ما فعله بير محمد بعد انكساره، وما صنعه بعد وصوله الى قندهاره، ولما
وصل بير محمد الى قندهار، واستقرت به الدار، وتلملمت اموره، وحامت حول
قصوره صقوره، ودارت من سيارات عسكره بدوره بدوره، تسعرت سمومه
وحروره، وتطاير شراره وشروره، فتازق وتمزق، وتحرق اسفا قلبه وتحرق،
وتمزق غيظا اديمه وتفرق، وكان ذا حماقه، وقلة لباقه، فطيرا جنحة
مراسيمه، الى سكان اقاليمه، واستنهض على خليل كل حبيب صحيح الود وكليمه،
واستنطت لجريح قلبه كل قريح الطعن والضرب وكل لديغ القلب وسليمه، فلبوا
دعوته بالاطاعه، واجابوا نداه بالسمع والطاعه، ثم سالت الاوديه والجبال
بالخيل والرجال، وارسل الى خليل يقول، ضمن كتاب مع رسول، ان اول مصافنا
كان فلته فتمت، وشراره تسوهل في اطفايها فالتهبت وطمت، ولو اني استقبلت
من امرى ما استدبرت، وتحذرت ما استحقرت، واستكبرت ما استصغرت،
لانتصرت وما انكسرت، ولعثرت على مرادى وما عثرت، لكن اضعت الحزامه
فحرمت السلامه، وتناولت امرك رووس الانامل فاكلت يدى ندامه، مع ان
صلبه جندك، وقوة ظهرك وعضدك، ونبال نبالتك وساعد سعدك
وعضب غضبك ورمح رشدك، وحد صارمك وصرامة حدك، انما كان
رووس العراق، وما حصل لك منهم من الانفاق، واما الآن فقد وقع منهم نفاق
واتفق لك منهم عدم اتفاق، وظهر تباعد وشقاق، ففت لذلك كبدك، واختل
فكرك وجندك، وها انا قد جيتك بجد جديد، وبالحد والحديد، فاستعد
للقا، وتيقن عدم البقا، فان الحرب كما علمت سجال، وكما اديل لك علينا بالامس فان
غدا لنا عليك يداك **ذكر توجه بير محمد لمقاتلة خليل سلطان ثاني كره، وما
حصل عليه في ذلك من كره وفره، وتوليته الدبر كما بدا اول مره**، ثم

توجه بتلك الجنود والاعوان، وقطع جيحون ووصل الى مكان يسمى حصار شادمان،
فتوجه اليه خليل سلطان، ومعه من عساكر الرجال والفرسان، وجراد الجيش
وقمله وضفادعه مايجرى من الدم الطوفان، فمر بتلك الاطواد والبحار،
وسرى وهو مابين رابض وثائر، حتى وافى جنود قندهار، وكان كماذكر قبل قد قدح
فى حراق احشاء العساكر القندهاريه من خوف نار الخليل زناد النبل، فكانوا
ملسوعين والملسوع يخاف من جر الحبل، فقبل ان ينعق النفير ويضرب الطبل،
نفر من كل فرقة منهم طايفه، وتنادوا ازفت الازفه، ليس لها من دون الله
كاشفه، فالبس بير محمد خلعة الخلع، ولم يكن له بها طوق، فانقلع الى القلعة
القلع، واوصد الابواب واحكم الاسوار، واستعد فى حصار شادمان للحصار،
فاحاط به من العساكر، كل جارح وكاسر، ودار عليه من بنى يافث كل
سام وحام، وجد فى المحاصرة منهم كل طاعن وضارب ورام، فندم بير محمد
على ما قصد فى ذلك وتعمد، وتذكر ما قال له اولا، الخواجا عبد الاول
لكنه اعتذر بالقضاء والقدر، فرماه القضا بسهم جواب احاد فيه واصاب
وقال شعر وعاجز الراى مضياع لفرصته، حتى اذا فات امر عاتب القدرا
فانعكس منه كل راى وفال، وتغير عليه كل امر وحال، وذهب عنه منعطفا ما
بيده من ملك ومال، ونفر عنه كل اسد اصلى للحرب نارا حاميه لما سطا على
كل حام وصال، ورجع عنه لسوء تدبيره كل ذى قرابة حين لمع له بالامانى
الكاذبه كل سراب وآل، وتمزقت شقق تدبيره على منوال نفكيره سدا ولحمة
فلم يبق له من دون الله من وال ۝ **ذكر ما صنعه بير محمد من حيله عادت عليه**
بافكاره الوبيلة، لان جدواها كانت قليلة، ولما عدم حوله اخذ فى اعمال
الحيله، فاستدعى عدة مضبوطه، من الجلود المحطوطه، المجادة الدباغ،
المصبوغة بالوان الاصباغ، ثم فصلها لبوسا، لكل بوشى، وسمر عليها المرايا
المصقوله، وبعض صفائح معموله، وموهها واحكمها بالمسامير، واحضر من سوقة

بلده رؤس الجماهير، واستكثر من الرعاع والهمج الجموع، ثم احضر تلك الدلاص والدروع
ووزع على تلك الوحوش والظهور هاتيك النطوع، فصاروا كلما صارت الشمس
بازغه، اصعد الى الاسوار وخارج البلد تلك الاسود وعليهم تلك الدروع
السابغه، فاذا راهم الناظر من بعيد، توهمهم رجالا ولم يعلم انهم بندق
العبيد، واذا راى ذلك الهباء، والخيتعور الذى ملا الفضا، كسراب بقيعة يحسبه
الظمآن ماء، واستمر على ذلك مدة يقاسى معاناته ويعانى شدته، وكان الذى
تعاطى هذا المكر الجلى دستور مملكته اعنى بير على، ومع ذلك كله لم ينفعه
هذه الحيله، وعادت عليه افكاره الوخيمه ووشاوشه الوبيله، وانكشف
سره، وانهتك ستره، فضاق ذرعا وقصر منه باع المجال، ومد نقص عدده
وعدده وزاده الدهر بانكال **ذكر اعتراف بير محمد انه ظلم، وطلبه**
الصلح والقايه السلم، فبسط بساط التضرع، وطلب وسايط التشفع،
وعلم انه لا عاصم من امر الله الا من رحم، فناشد خليل سلطان الله والرحم،
وقال معنى ما قلت شعر يعطى الكريم ولا يمل من العطاء، والعفو شيمته
اذا وقع الخطاء ۝ فاجاب خليل سلطان مقاصده، وتاكدت من الطرفين
معاقدة المعاهده، بان لا يقصد احد منهم بلاد صاحبه، واذا كان الله
تعالى رفعه فلا يضع من جانبه، ويسلم اليه ما فى يده، ويبقى على الود والصداقة
فى يومه وغده، ثم تحالفا، ان لا يتخالفا، وتواثقا، ان يتوافقا، وتصادقا، ان
يتصادقا، وتفارقا، على ان يترافقا، وتوافقا، ان لا ينافقا، وراقبا الال
والذمه، وراعيا القرابة والحرمه، واستمر كل عن صاحبه بما معه من
فيئه، وذلك فى سنة تسع وثمان مائة، **ذكر مخالفة ونكد، وقعت بين**
بير على وبير محمد، ازاحت ثوب الحيوة عنهما، وازاحت مخالفيهما منهما ۝
ولما وصل بير محمد الى وطنه، واستقر بين خدنه وسكنه، خرج عليه بير
على نائره واستقل بدعوى الملك وامتاز، ثم قبض عليه وكبله، ثم انه خذله

وجدّله، وشرع يقول، وهو يصول ويجول، امور الدنيا اضطربت، واشراط
الساعة اقتربت، وهذه دولة الدجالين واوان تغلب الكذابين والمحتالين
مضى تيمور وهو الدجال الاعرج، وهذا زمان الدجال الاقرع، وسياتي بعد
هذا الدجال الاعور، وان كان احد يجزع، من قرع باب السلطنة فانا اقرع،
فلم يجبه احد من الروس والاذناب سؤاله، ولا انعم له بما اقر عينه وانعم
باله، اذ لم يوجد في تناول هذا المحظور امر مبيح، ولم يكن لذلك الوغد في تهام
الملك غير المنيح والسفيح، فدعا ارباب ممالكها تضرعا وخيفه، فكسر كل في
وجهه انيابه وجاذبه هذه الجيفه، فلم يتسق له قرار ولا ثبات، فشد يده ومد
رجله صوب صاحب هراة، فبمجرد وقوعه عنده في شرك الاقتناص، قبض
عليه واجرى عليه احكام القصاص، وصفت له ممالك قندهار من غير مضارب
ولا مضار، واستراح خليل سلطان ايضا من الانكاد والمضار، **ذكر ما وقع من
حوادث الزمان في غيبة خليل سلطان**، وفي هذه السنة بادرت بالهجوم تتار الروم
ووصلوا العزم، وقطعوا جيحون بالرجل وهو جمد من خوارزم، وقصدوا بلادهم
فتصدى لهم من كل جانب من شتتهم وابادهم، وحصل لهم من عدم الاتفاق
ما حصل لعساكر العراق، وايضا في غيبة السلطان خليل، واشتغاله بهذا
السفر الطويل، اغتنم الفرصة خدايداد وشيخ نور الدين، فتوجهوا الى سمرقند
مطمئنين، واناخوا عليها، ونهبوا ما حواليها، فتحصنت منهم، وترفعت عنهم،
فنهبوا خارجها ورجعوا، ونحو بلادهم انقلعوا، **ذكر تجريد خليل سلطان
الاجناد، وتوجهه الى شيخ نور الدين وخدايداد**، ولما رجع خليل الى سمرقند
اراح طوايف عسكره وجنده، ثم دعا اصحابه، ووجه نحوهما ركابه، وجعل
دابهما ودابه، وسار بتلك القبايل المضطرمه، والاسود الجوادر والفحول
المغتلمه، واستمر ذلك الطود الركون بين حركة وسكون، حتى وصل الى
سيحون وحين شرع ذلك الطود والنار ذات الوقود على نهر سيحون في العبور،

رايت البحر المسجور، فاذعن له شاه رخيه وجند، وتحصنت منه تاشكند،
فتوجه لحصارها وعزم على هدم احجارها، فبعد ان حاصرها مدة، واذاقها
لباس الجوع والشدة، لجات الى طلب الامان، وسلمت اليه قياد الاذعان،
فاجاب سؤالها، ورفع بالصلح حالها، ثم قفى آثارهما طالبا دمارهما، **ذكر
ايقاد شيخ نور الدين وخدايداد، نار التخليل بحرقاه، فاطفاها الله تعالى ووقاه**،
وكان خدايداد وشيخ نور الدين يحومان حول الحمى، ويترقبان من فرص النهب والسلب
معاني عشى ولعلما، فتوجه وراهما، ورام لقاهما، فجعلا يرحلان بمراى منه ومسمع
وينزلان بامل فيهما ومطمع، وجعل يقتفيهما في كل منزل، فاذا رحلا يتبع
قفاهما وينزل، وكان خليل سلطان معتمدا على عسكره، مستيقنا بحلول نصره
وظفره، فكانه في بعض الليالي غفل عن التحرس، وكان لهم في جيشه من داب
التجسس والتحسس، فنبهه الظن وخانه، وحط على مكان يسمى شيراجانه،
وكان قد تقدم على الثقل، فطار جاسوسهما اليهما بما فعل، فاقبلا كالسيل،
وبيتاه بالليل، فخرج من عسكره جماعه، وكانما قامت القيامة في تلك الساعه،
ثم تركاه وركبا، ومرا عنه ومدا، وتشتتا في المهامه والموامي، ومرا من السلطان
اقتناص الحرامي، فكف عنهما عنان الطلب، وقصدا بالسلامة دياره **وانقلب
مفارقة شيخ نور الدين خدايداد، وتقاسمهما تلك البلاد**، ولما كانت
مودة خدايداد وشيخ نور الدين كالجرة الفخار، واساس ما بينهما من الصداقه
لكن اسس بنيانه على شفا جرف هار، اختلفا، وما ائتلفا، وتجاذبا شقة الشقاق
وتفوق في تنابعهما بضايع النفاق، ولم يعلم احد من راق، وظن انه الفراق
فقهقر شيخ نور الدين نحو سغناق، واستولى على تلك الاطراف والافاق،
**رجوع شيخ نور الدين الى الاعتذار، والتنصل عند خليله بما كان
منه وصار**، ثم راسل شيخ نور الدين خليل سلطان، واعتذر عما صدر منه من
العصيان، وطلب ان يقابل اساته بالاحسان، ورجع اليه عوايد صدقاته

كما كان فاجابه الى سؤاله واسبل على سوءة جرمه ذيل النسيان وارسل
اليه امراة جده تومان فضل ولم يزل على الوفاق وشق شقة الشقاق
مرتقبا دبقة الرفاق حتى وقع خليل سلطان في الوثاق وصفا لشاه رخ ملك
سمرقند وراق توجه اليه شاه ملك مظهر الصلح ومضمر النفاق واستنزله
بالمكر من قلعة شغناق بعد ان احكما العهد والميثاق ووقع بينهما الاتفاق
ان يلتقيا فيبار كبا ثار بينهما تار الاشواق بعد السلام والاستلام والعناق
وكان في جماعة شاه ملك شخص يدعى ارغوداق ثم اقبل شاه ملك بجماعته
ونزل شيخ نور الدين من قلعته وساق شاه ملك وحده من غير عدة وعدة
وتعا توهو وذلك المغرور وبثه ما نابه في غيبته من امور وشرور وشرور
فاكد عليه الميثاق والعهد ووصى كل منهما ما يفعله الاخر من بعد ثم
ودعه وانصرف واتصل بجماعته ووقف وشارع كل من جماعته بمفرده
الى مصافحة شيخ نور الدين وتقبيل يده حتى افضت النوبة الى ارغوداق
فتوجه بما اضمره من الخداع والنفاق وكان في الشجاعة اسدا وكالفيل
قوة وجسدا فوصل اليه وقبل يديه ثم التزمه عناقا فاقتلعه من
سرجه واهبط نجمه من برجه وقطع راسه وفجع به ناسه ولما
سمع بذلك شاه رخ طفق يذب ويصرخ ولعن شاه ملك ونهره وضرب
ارغوداق وشهره ولكن ما امكنه وصل ما قطعاه ولا غرس ما قلعاه كما قيل
وليس لما تطوى المنية ناشره واستمر مدة لا ينظر اليهما ثم بعد ذلك رضي
عليهما واستمر خدايداد متشبثا باذيال العناد مشركا بين العقوق
والفساد غير مسلم الى الصلح القياد الى ان اباره الدهر واباد وسيذكر
كيف جاد باعدامه واجاد ذكر امر خليل سلطان ببناء ترمذ الى خربها
جنكيز خان وتجهيز العساكر لهذا الشان ثم في شهر صفر سنة عشر وثمانمائة
ارسل خليل سلطان من الجنود فئة واضافهم الى الله داد وضم اليهم من

الروس والاجناد منهم الناس خواجه وابن قماري منصور ونوكل قرقرا ودولت
تيمور الى ترمذ مع آخرين ليعمروها فاستمروا سائرين حتى وصلوا الى ترمذ
فجمعوا في الحال احتياجاتهم من الاحجار والاخشاب والقرميد ثم تقاسمت
تلك الروس ابدانها وعلوا عن ان تنسور قلة اسوارها حيطانها وجعلوا يعملون
ولا يلبثون ويبنون بكل ريع منها آية يعبثون وتركوا بالنهار اكلا وبالليل
نوما فاتموا بنيانها في نحو من خمسة عشر يوما وحين تموا محلاتها وفرزوا
دروبها وطرقاتها ورفعوا اعلام مساجدها ومناراتها وبنوا مواضع اسواقها
وابنيتها امروا الباقين من ذرية النازحين عنها من اهلها وكل من رحل من
خراب وعمرها الى عمران سهلها ان يرجعوا اليها ويخيموا عليها وكان اولئك
الساكنين قد استوطنوا امنها البساتين وبنوا فيها اسواقهم وبيوتهم وجمعوا
فيها اسباب معايشهم وقوتهم واستمر ذلك من وقت جنكيز خان والى وقت
تيمور كوركان وكانوا في وطنهم آمنين وعن حركات الازعاج والتقلقل ساكنين
فلما مات تيمور وحدث شرور وامور اراد خليل سلطان ان يحصنهم فارسل
من شيد حصونهم وكانت الجديدة عن العتيقة نحوا من فرسخ وصارت العتيقة
احصن من الجديدة وارسخ لا سيما وقد علا البانون منارها وهم يجيئون بصالح
اقدام طود حمل اسوارها بخلاف الجديدة فان قصور مساكنها غير مشيدة
وهي عن النهر بعيدة فلما نادوا الناس ان ادخلوا الى دار قراركم وكانهم كتبوا
عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم فلم يثقل الله داد عليهم ولا كرب
في ذلك ولا التفت اليهم ولم يظهر في ذلك عنادا ولكنه حشر فنادى
ان كل من سبقت يده من اهل البلد الى شيء من هذه الاماكن والعمار الجدد
فهو له من غير منازع ولا ممانع ولا مدافع ثم امر بانتقال الخبازين والقصابين
والطباخين والسمانين ومنازلهم ومأواهم ولم يتعرض لمن سواهم فجعلوا
يبيعون على العساكر ويشترون ويربحون في ذلك ولا يخسرون فاختل نظام

سائر الجمع، اذ الانسان مدني بالطبع، فالجاهم الاضطرار ان يدعوهم بالاختيار،
فتفقد ما يليق به احوال كل من كبيرهم وصغيرهم، وقرر على ما اقتضته ادامة
قواعد امورهم، ثم جمع رؤوس جنده، وقفل الى سمرقند، ذكر ما فعله شاه رخ
من جهة خراسان، في مقابلة ما فعله خليل سلطان، ولما سمع شاه رخ بما
فعله خليل سلطان، جهز طائفة من عساكر خراسان، وجعل مقدم ذلك السحاب
المنجاب، من كبار امرائه اميرا يدعى مضراب، وهو اخو جهان شاه، الذي كان يتمور على
محاصرة قلعة دمشق ولاه، وامر رؤوس تلك الجنود، ان يبنوا قلعة تسمى حصن
الهنود، وهي من اقصى بلاد خراسان، يفصل بينها وبين ترمذ نهر جيحان، ففعلت من
البناء العساكر الخراسانية، نحو ما اعرب عنه العساكر الخليل سلطانية، وفي
اثناء مدة البناء تراسل الله داد ومضراب وتصافيا، وتواصلا بالاحترام والاحتشام
وتهاديا، اشارة الى ما حدث في اقاليم ايران، وما جرى من سيول الدماء عند نضوب
ذلك الطوفان، ثم ان سلطان احمد وقرا يوسف رجعا الى العراق، ووقع بينهما
على سياسة الملك الاتفاق، واستقر سلطان احمد في بغداد، ووثب قرا يوسف
على الجغتاي ليستخلص منهم البلاد، وكتب الفتح على راياته ايات نصر من الله،
فاستخلص ممالك اذربيجان بعد ان اباد طوايفهم وقتل اميرانشاه، ومد عنان
الكلام، في استيفاء هذا المقام، يخرجنا عما نحن بصدده من المرام، واما عراق
العجم، فانها كانت احصن اجم، فاستقل بدعوى الملك متوليها بير عمر، فنهض
عليه ذو قرابة له يدعى اسكندر، فقابله وكسره، ثم قبض عليه وحصره،
واستقل بدعواه، فتوجه اليه شاه رخ صاحب هراة، فقبض عليه واباده،
وفجع به اهله واولاده، واستصفى بلاده، فخلص لشاه رخ ممالك العجم كلها،
وانثال الى خزائنه من اموالها وابلها وطلها، من غير ان يعاني في ذلك نصبا
او يقاسي في تحصيله تعبا ووصبا، مع ان مملكته كانت اوسط الممالك، فلم
يتطرق اليه احد بسوء لذلك، وانه كان حسن الجوار قليل الحركة، وابوه قد

سلطان احمد
[قرا] يوسف

حسم عنه بقتله ملوك العجم مادة كل شر وهلكه، فثبت في مكانه بين اسود
شمخت وبثت، وكبت ما له من اعداء بما له من اصدقا وثبت، فاهتزت رواسي
دولته بنبات لنبات وربت، وكان عيون السعد كانت تراقبه، وعرائس
الملك تناجيه وتخاطبه، بقوله شعر

نزه فؤادك عن سوانا والقنا ... فجنابنا حل لكل منزه
والصبر طلسم لكنز وصالنا ... من حل ذا الطلسم فاز بكنزه

ذكر خروج الناس من الحصر، وطلبهم اوطانهم من ما وراء النهر، وفي اثناء هذه
الحالات، قصد الناس من سمرقند التبدد والشتات، وطلب كل غريب
وطنه، وتحرك يبغي سكنه وقطنه، اما باجازة واحتما، واما بهزيمة واختفا،
وول من استجار من اهل الشام ودام المنبر، شهاب الدين احمد بن الشهيد الوزير،
ثم تفرقت الطوايف عجما وعربا، وتبددوا في الآفاق شرقا وغربا، ووقع في
سمرقند القحط وعلا الاسعار، ولم يرخص بين الناس سوى الدرهم والدينار،
ثم حصل بعد ذلك الرفاهية، واجتمع للناس الرخا والامنية، وطاب
الزمان، وحصل الامان، وذهب المقت، وصفا الوقت، مصراع وعند صفو
الليالي يحدث الكدر، ذكر ما اثار الزمان الغدار، من دمار وبوار، القى به
لخليل في النار، وكان خليل سلطان تزوج شاد ملك زوج سيف الدين
الامير، وملكه سلطان هواها فكان فيه كالاسير، مال بكل جوانحه اليها
بحيث انه قصر نظره عليها، وصارت محبته كل يوم تزداد، وانست قصته
قصة قيس وليلى وشيرين وفرهاد، وكان كما قيل

اعانقها والنفس بعد مشوقة ... اليها وهل بعد العناق تداني
والثم فاها كي تزول صبابتي ... فيشتد ما القى من الهيمان
كان فؤادي ليس يشفي الذي به ... الى ان يرى الروحين يجتمعان

واستمر ذلك الى ان ران هواها على قلبه، واخذ بمجامع لبه، وربط جوارحه

وكان خليل
تزوج شاد[ملك]

وحلّ جوانحه، وفصّل قميصًا واسعًا فكانا يلبسانه، واتحدا فصار ينطق بلسانها
وتنطق بلسانه، وصارا ينشدان، والى حالهما يرشدان شعر

انا من اهوى ومن اهوى انا، نحن روحان حللنا بدنا

بل كانت القضية بالعكس قلت انما كانا بروح نفخت مذ براها بها في بدنين
فكان لا يصدر امرًا الا عن رأيها، ولا يستقضي في سياسة الملك الا بآرائها،
فسلمها قياده، واتبع مرادها مراده، وهذا من غاية البله والعته، وكيف
يفلح من ملّك قياده امرأه، وكان لها خادم قديم، ليس من بني الاحرار ولا
بكريم، بل كان من اطراف الناس، يبيع في اول امره البزّ والكرابيس، يدعى
بابا رمش، بطرف معمش، ووجه منمش، وصورة قبيحه، وسيرة غير مليحه،
وكان يتقاضى حوائجها ويدخل عليها، قبل وصول خليل سلطان اليها، فلما
وصلت مخدومته الى ما وصلت، وحصلت لها المرتبة التي لغيرها ما
حصلت، ارتفعت درجة خدمها، وزادت حشمة حشمها، فاستفاد بابا
رمش من اضافته اليها التعظيم، وبحسب كرامة المخدوم يحصل للخادم التكريم،
فصار رأس جماعتها وكبيرهم، وبمجالستها تحلى بخلعة هم القوم لا يشقى
جليسهم، ثم ترقى حتى صار عليه مدار امرها، ثم تخطت قدمه الى التكلم
في اسباب الملك وغيرها، ثم تدرج الى ان وصل المحاكمات الديوانيه،
واجرا القضايا السلطانيه، ثم ترفع الى التولية والعزل، وتعاطى ذلك
على سبيل الجد لا الهزل، وانتهى في ذلك فصار دستور الممالك، ولم يقدر
احد على رد كلمته، لحدة شوكته بقوة مخدومته، فبسط يده ولسانه
كما اختار، وامتثل كل ما امر به واشار، واستطال على الله داد وارغونشاه،
فصار يبرم ما ينقضانه وينقض ما ابرماه، وبلغ في قلة الادب الى ان
كان يمد رجله بحضرتهما، ولا يقيم بذرة من واجب حرمتهما، ثم حجر
ان لا تنفصل قضية الا بمشورته، وان كان غائبا فينتظر حضوره او يتوجه

كان لها / خادم

الى حضرته، ومن حين نبغ، الى ان بلغ ما بلغ، كان نحوا من ثلاث سنين، وعفاريت
الجغتاي وجنهم لا يثون معه في العذاب المهين، فحصل لالله داد وارغونشاه
من هذا التدرج غاية التضرر ونهاية التحرج، وبلغا الغاية من الاهانة
والنكايه، واعضل داؤهما، واعجز دواؤهما، واستسلما لذهاب العيش وزواله
على البقاء على هذه الحاله، ذكر ما انكره الله داد، ودبّره في مراسلة خدايداد،
ثم ان الله داد استعمل فكره، ولكن اخطأت استه الحفره، فطبخ قدرًا فانقلبت
عليه، ونسج كدود القز شبكة حتفه بيديه، قلت

اذا انعكس الزمان على لبيب، تحسّن رأيه ما كان قبحا
يعاني كل امر ليس يغني، ويفسد ما رآه الناس صلحا

فلم يجدا لتبريد الاكباد، الا مراسلة خدايداد، فجليا عليه صورة هذه
البليه، واخبراه بها عن وضوح وجليه، واشارا عليه ان يتوجه بأمل
فسيح، ويقصد بعساكره سمرقند وخاطره مستريح، فنهض من ساعته،
وتوجه بجيشه وجماعته، ودبّ دبيب الدبا، فوصل الى مكان يدعى
اوراتبا، فلما سمع بذلك خليل سلطان ارسل الى الجنود والاعوان،
وتعجب من وقاحته، وتعوذ من كلاحته، وجهز الله داد وارغونشاه،
مع العساكر الجراره للملاقاه، فسارا حتى داناه، فقابلاه وما قاتلاه، ثم
ارسلا الى خليل سلطان يستدعيان المدد ويقولان ان هذا الرجل بلغ
من ملاحاته، وشدة دعارته وقلة مبالاته، انه لم يتزعزع من مناخه،
ولا دخل ريح هيبتنا في صماخه، فامدهما بما في العسكر، وجعل يتشوف
لما يكون من الخبر، فارسلا ايضا ان هذا، قد آذى وزاد فسادا، وجارى في
عداوته ثمود وعادا، فامددنا بنفسك، وادركنا بحدسك وحسك،
فان هيبتك اقوى، وطلعتك اضوى، وما ارتكب هذه الجرأه، ولا اقدم على
هذه الجنيه، الا وقد اضمر شرا كبيرا، وطوى في باطنه قارا وقيرا، فادركنا

يبافى المقاتله، فان هذه المره تكون الفاصله، فخرج خليل سلطان بقلب
مطمين، وخاطر عن حلول الحوادث مستكن، وامل فسيح، وصدر منشرح،
معجبا بشبابه، مغرما باصحابه، متمايلا بين احبابه، متهاديا بين اترابه، فى
شرذمة قليله، وطايفة نبيله، ابعد ما عنده نزول همّ، واشرد ما لديه
حلول نكد وغمّ، تفديه الكمال، وتناديه لسان الجمال بقوله شعر

تِه دلالا فانت اهل لذاكا، وتحكم فالحسن قد اعطاكا

فوصل تلك العصابة السلطانيه، الى قصبة تسمى سلطانيه، فارسل
الله داد، الى خدايداد، ان الركاب السلطانى خرج من سمرقند فى اليوم الفلانى
وفى الساعة الفلانيه، يحل فى كورة سلطانيه، **ذكر ما قصد خدايداد
من الكيد، ووقوع خليل سلطان فى قنص الصيد**، فقصد خدايداد المخاتله،
وترك ثقله مقابل المقاتله، ونبذ العساكر وراء ظهره، وتابط شر شراره
وهراوة هرّه، واستصحب من ابطال القتال، ورجال النضال والنزال،
طايفة جاشية غير خايفه، شعر

رزان اذا لاقوا خفاف اذا دعوا، كثير اذا شدوا قليل اذا عدّوا

والتحف ذيل الليل، ولطى فى ظهر الخيل، واستطرق الى مطلوبه طريقا
عوجا، واستقود الى مقصوده قواد الدجى، كما قيل شعر

لا تلق الا بليل من تواصله، فالشمس نمامة والليل قوّاد

حتى وصل الى سلطانيه وهى قصبة انشاها تيمور، ولم يكن لاحد به شعور،
فلم يفجا خليل سلطان الا وقد جاءه موج البلاء من كل مكان، فنهض كل
من معه من الاصحاب، واخذوا فى الحرب والضرب الحراب، وقاتلوا اقتتال
الموت، وايقنوا حلول الفوت، فعضت عليهم الحرب العضوض، وطرحتهم
ما بين مشوم وموقوذ ومرضوض، فقتل حقيرهم وجليلهم، ووقع فى اسار
عدوهم جبيلهم وخليلهم، ثم رجع خدايداد الى معسكره، فايزا بنجحه مستبشرا

نظفره، **فصل** ثم ان خدايداد حلف لخليل سلطان باشد ما يكون وابلغ من انواع
الايمان انه لا يقصده باذى، ولا يرى فى عين معيشته نخالة قذا، ولا
يوذيه بقول ولا عمل، ولا يسلط عليه من يوذيه بمكر ودخل، وشرب
نتيجة ما حلف، وان الله تعالى عفا عما سلف، **فصل** ثم التمس منه ان
يرسل الى الله داد، فمن دونه من الاجناد، ان يستسلموا الخدايداد، وارسل
خدايداد ايضا الى الناس، بانى قد استوليت منكم على الراس، فان اطعتمونى
اطعته، وان لم تصلونى قطعته، ولما وقع خليل سلطان فى هذا
الكرب، تصور ان هذا تهم غريب، ثم ظهر له مكان ذلك المكر، وتحقق كيف
اخذ فى المامن، وعلم من اين صبّ ذلك البلا عليه، واتى اخذ من الجانب
الذى يامن اليه، فقال بلسان الحال شعر

جزى الله عنا الخير من ليس بيننا، ولا بينه ود ولا نتعارف
فما سامنا خسفا ولا شفنا اذى، من الناس الا من نود ونالف

ثم ارسل الى سائر الامرا ورؤسا الجيش والوزرا، ان يستسلموا الخدايداد ولا
ينازعوه، ولا يدا يغوه فيما يريد ولا يمانعوه، فاستسلم الكل اليه
واستقبل ذراه وسلم عليه، فاستولى على تلك الجنود المجنده، وتحصن
من غوايل المخاتل بالرماح المسدده والسيوف المهنده، وقدم جنود
خند وخجند، واغنام تركستان وطغام اوزكند، واخر من سوى
اوليك وتقدم الى سمرقند، ولم يلتفت الى الله داد فمن دونه، وتحقق
الله داد ان صفقته فى ذلك مغبونه، فسلخ الزمان عنه ما كان
البسه من ثوب عز وسلب، وفر من بين يديه ما كان فيه من جاه ومال
وذهب، وكان قيام هذا الخبر فى سنة ثمان مايه واثنى عشر ○
ذكر ما جرى من الفساد، بسمرقند عند قدوم خدايداد، فوصل خدايداد
الى سمرقند ودخل، فتغيرت تلك الرسوم والدول، وكانت ظهر

اختلاف الملل والنحل، وكان له ابن يدعى الله داد، فدعاه بالسلطان على رؤس
الاشهاد، وتفحص عن مكامن الخزاين، ونقب فى اطوادها عن الفلزات والمعادن
ونقر عن مضمرات الضمار وبحث عن الخبايا والدفاين، وتغيرت الاوضاع،
وتبدلت بالفظاظة رقاق الطباع، وصاروا كما قيل شعر،

اما الخيام فانها كخيامهم، وارى نساء الحى غير نسائها،
وتنكرت الصفات حتى كانما تحولت الذوات، او بدلت الارض غير الارض والسموات شعر
وتنكرت ارض الغوير فلم يكن، ذاك الغوير ولا النقا ذاك النقا

ذكر بلوغ هذه الامور شاهرخ بن تيمور، وتلافيه تلك الحوادث وحسمه مادة
هذه الغوايل، ولما اتصل بشاه رخ هذا الخبر عبس وبسر، وتضجر وزمجر، وازور
واكفهر، وتحير وجهد وتمعر، واستغاث وتقلق، وولول واسترجع وحولق،
وتحرق وتنكد، وتاوه وانشد شعر

لقد هزلت حتى بدا من هزالها، كلاها وحتى سامها كل مفلس

ثم طير بطاير مراسيمه كل مطير، الى اطراف ممالكه بجمع العسكر، وامر شاهملك
ان يسير غير مرتبك، ويستديم السير، ويسابق بعنانه عتاق الطير، فيتدارك
ما انفرط من النظام، ويطارد عن ورد المملكة الاغنام الطغام، فلا يدع راىدهم
ان يحل، ويعاجل مستعجل قديرهم ان يمل، فسار شاهملك فى الحال، بعساكر
فى المدد كالجبال، وفى العدد كالرمال، ثم اتبعه شاهرخ بساير الاساوره،
وكواسر الاكاسره، وسار لا يلوى على احد، ولا يركن فى حركته الى طايع ولا
رصد، فحين وصلوا جيحون وعبروه، غطوا وجهه وستروه، فانبسط ذلك السيل
على وجه الما، فكان البحر غطى بالغمام المراكب وغرق فى بحر الخبا، فصل ولما
قطع البحر تلك الاطواد، واتصل الخبر بخداىداد، تيقن انه لا طاقة له بدبابه
وفروده، بذباب جنود شاهرخ واسوده، وان حل عسكره يفرغه ويسلمه،
او يقبض عليه ولشاه رخ يسلمه، فاسرع فى تنجيز مآربه، وبادر الى تجهيز

مطالبه،

مطالبه، واخذ ما وصلت اليه من اموال، واوسق ما بلغت طاقته من نفايس
واحمال، واستصحب خليل سلطان، وتوجه الى اندكان، واودع الله داد
وارغونشاه وبايزيد [illegible] فى القلعه، وانف ان يستصحب احدا منهم معه،
وترك شادملك ايضا فى المدينه، بفراق خليلها رهينه، ويسلب ما كانت
فيه من العز مهينه، ذكر ما جرى بسمرقند بعد خروج الجنود الجندية، وقبل
وصول الشواهين الشاهرخية، ثم لما رحل خداىداد وانفصل، ولم يكن احد من
جهة شاه رخ وصل، وما كان للناس ظهير ولا رايس، اراد الله داد وارغونشاه،
ان يتوجها الى شاهرخ ويستقبلاه، فرفع خواجه عبد الاول عليهما يده،
واقام لمنعهما عن الخروج من القلعه رصده، واستعان عليهما بشطار
المدينه، وكان الله داد قبل ذلك انكاه نكاية اورثته ضغينه، مصراع
من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا، فلم يختلف فى رياسته اثنان، ولا
انتطح فيما يامرهم به عنزان، فصارت اشارته الامرة الناهيه، وجداول
مراسيمه فيما بين الناس جاريه، واوامره المطاعة فى تلك الايام الخاليه،
مصراع والعلم يرفع كل من لم يرفع، ولم يزل خواجه عبد الاول يسوس
الرعيه، ويوصى على الله داد ورفيقه ومن معهم ويشدد مضايق
القضيه، الى ان طلعت طلايع شاهملك واعقبتها العساكر الشاهرخيه،
بدور بدور الدولة الشاهرخيه، فى سما ممالك ماوراء النهر بعد غروب النوبة
الخليليه، فخرج اهل المدينه لاستقباله، مستبشرين برؤيه جبين هلاله،
فنزل كل احد فى منزلته، ووضع كل امر الناس فى مرتبته، ثم قبض
على الله داد ورفيقه وعاقبهم بانواع العقاب، وصنف فى تعذيبهم
واستخلاص الاموال منهم انواع العذاب، ثم قتلهم صبرا، ونقلهم من
الدنيا الى الاخرى، الا بايزيد فانهم عاقبوه، وبانواع العذاب
الهبوه، ففى بعض الايام، وقد انكت فيه من العذاب الالام، اخذ

التقف على الله داد دوىلك

الموكلين عليه ليطلعهم على قضيته، او يذهب بهم الى خبيته، فمروا به وهو
في قيد وثيق على حوض ماء عريض عميق، فاستل من قراب ايديهم عضب
يده الذلوق، ورمى بنفسه وزج في ذلك الما على غفلة فغرق، فصل
ثم ان شاهرخ زار اباه، واقام شرايط عزاه، وجدد ترتيب القرآء على تربته
والقومه، واستانف معالم المرتبين في ذلك والخدمه، ونقل الى الخزانه
جل ما كان على حفرته من اقمشته وامتعته واسلحته، وعفى بيادر
الخزاين وحفر تخوم تلك الكماين، وشرع في تمهيد القواعد، وترتيب
مراتب الاقارب والاباعد فصل وقبضوا على شاد ملك واهانوها، القبض على شاه ملك
وشانوها ابتذالا لما صانوها، وعصبوها بالعذاب عصب السلمه،
وهزوها لاستخراج الاموال منها هز اعوان الظلمه، ثم بعد ذلك
الابتذال، واستخلاصهم منها انواع المال، خزموها وشدوا منها الوثاق
وشهروها منادين عليها في الاسواق، واستقرت على شاهرخ الامور،
وارتفعت صدور وانقصمت ظهور، وعلا انسان وانحط انسان، فسبحان
من هو كل يوم في شان، عز شانه، وتعالى سلطانه، يغير الدول
ولا يعتري سلطانه تغير ولا انتقال، ذكر ما قصد خدايداد من اثام النكد
والفساد، وكيف آل ذلك النكال الى ان جرى عليه وبال، واما خدايداد فحين
حل في مكانه، وخلا بخليل سلطانه في اندكانه، جدد معه عهوده
ومواثقه، انه آمنه مكره وبوايقه، وذكر ان ذلك النكال والنكاد
انما فعله معه ارغونشاه والله داد، مع احسانه اليهم، واسباله
ذيل انعامه عليهم، وانهم كافوه مكافاة التمساح، وقابلوا بافسادهم
منه الاصلاح، ثم قال له اذكر صنيعك معي اولا وظاهرا، وانظر
ما افعله معك باطنا وآخرا، وسافعل معك ما تحقق به خلوص الطويه،
وصدق النيه، بحيث يذهب الكدر ويبقى الصفا، ويمحى الجفا ويثبت

الوفا ونعيش باقي عمرنا متصافين، وفي رياض الهنا متوافقين متكافين،
وسار ذلك ان شا الله تعالى الى دار عزتك، واجتهد في تحصيل ما يعيدك
الى نشاطك وهزتك، ثم خطب باسمه في اندكان، وامر بذلك في اطراف
تركستان، تتمة ما جرى من خليل وخدايداد من المعاقدات وتاكيد العهود والمودات
الى ان ادركهما هادم اللذات، ثم اكدا بينهما وثايق الايمان، وذهب
خدايداد بتمهد الموعول لخليل سلطان، وترك خليل سلطان باندكان
وكان الموعول، لما بلغهم فوت تيمور المخذول، سلبوا ازرارهم، واخلوا
ديارهم، ولجاوا الى الحصون، وتشبثوا باذيال كل كهف مصون
كما ذكر اولا، فلما تحققوا موته، واستثبتوا فوته، نادوا بالامن
والامان، وجاوروا خدايداد في ذلك المكان، وارسلوا يهنئون خليل
سلطان، وبعثوا اليه هدايا سنيه، وتحفا فاخره ملوكيه، من
جملتها كرسي من ذهب، افرغه صايغه في قالب العجب، فاكرم خليل
سلطان رسلهم، واعظم نزلهم، واجمل معهم جوارا واجرا، وجازاهم
بكل حسنة عشرا، شعر
لحرائفي وان طال الزمان به والشر اخبث ما اوعيت من زاد
ولا زالت حلق الود بينهم تلتئم، ووجوه المكارمه والمحاشمه يوما فيوما
تبتهج، حتى عرا له ما عرا، وجرى عليه من بحر القضاء والقدر ما جرى
فساعة وصول خدايداد اليهم قبضوا عليه، وارسلوا الى خليل سلطان
يهنون صورة الحال اليه، وقالوا تعلم ما بيننا وبينك من خالص الوداد
وانا عالمون بما وقع بينك وبين خدايداد، وانه كان السبب في تبددك
وخروج ملكك من يدك، وقد جا بتمهيدنا لك، فارسم لنا ما بدا لك
فان رسمت قتلناه، وان اشرت امددناه، وفي الجملة مهما امرت به امتثلناه
فارسل يقول قد علمتم كيف اذاني، ومزق عرضي واخزاني، واخرجني

من ملكي وسلطاني، وغربني عن أهلي وإخواني، وأذلني إذ داشني بمفارقة حبي
وأوطاني، والآن فقد جعلني برشا يبتغي بي الحوادث والبأساء، وقد عرفتم
كيف يريدان يتصرف، وعلى كل حال فالعارف لا يحرف، ومع هذا
مهما رأيتم في ذلك من المصلحة فافعلوه، ففي الحال قطعوا رأسه
وإليه أرسلوه. ذكر عود خليل سلطان من ممالك أركان، وقصد عمه شاهرخ،
ولعبه بالنفس مع ذلك إلخ، واستمر خليل سلطان في ذلك المكان
وأطراف تركستان يرسل بالفارسي الأشعار الفراقية، ويبثي في
حبيبته ما ينسي القصائد الرندونية، ويذكر ما فيه من الغربة،
وما جرى عليه من الفراق والكربة، فيتصدع بذلك القلوب وتتفتت
الأكباد، إلى أن مل المقام في تلك البلاد، فنفض منها ذيله، وضم
رجله وخيله، وقصد عمه، وركب أمم الطريق وأمه، فأكرم عمه
مثواه، ولم يذكر له أخبار ما أنشاه، وضم إليه حبيبته، ولم آلى
خليل خليلته، وقرر قاعدة ذلك الإقليم وشيّد، وولى فيه أولوغ
بيك ولده، وتقل إلى خراسان مستصحبا معه خليل سلطان،
ثم ولاه ممالك الري، فلم يقم بها إلا أدنى شيء، وانتقل إلى رحمة الله، — وفاة خليل سلطان
وكان عمه دس له شيئا فسقاه، فدفن بمدينة الري، وطوى نشر
ذلك الخاتم أي طي، وحزن وتعب شاد ملك في هذا الخطب الجليل، — قتل شاد ملك نفسها
واشتعلت أحشاؤها بنار الخليل، قالت لا ذقت فقدك، ولا عشت
بعدك، وأنّت ورنّت، وأنشدت وغنّت، شعر،

كنت السواد لمقلتي فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

ثم أخذت خنجرا فوضعته في لبتها، واتكأت عليه بقوتها، فنفذ من قفاها،
وأحرقت بنارها كل من رآها، فدفنا في قبر واحد، وأمسى لسان حالهما ينشد

اجارتنا

أجارتنا إنا غريبان ههنا وكل غريب للغريب نسيب

وصفا لشاهرخ ممالك ما وراء النهر وخراسان وخوارزم وجرجان وجميع بلاد
العجم وإلى حدود آذربيجان، وإلى يومنا هذا أعني سنة أربعين وثمانمائة
ونسأل الله تعالى حسن العاقبة بمنه ولطفه. الحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. فصل في صفات تيمور البديعة وما
جبلت عليه من سجية وطبيعة، وكان تيمور طويل النجاد، رفيع العماد، ذا قامة
شاهقة، كأنه من بقايا العمالقة، عظيم الجبهة والرأس، شديد القوة والبأس،
عجيبا للكون، أبيض اللون، مشربا بحمرة، غير مشوب بسمرة، ضخم الأطراف،
عريض الأكتاف، غليظ الأصابع، ممتد الأكارع، مستكمل البنية،
مسترسل اللحية، أشل أعرج اليمنى، عيناه كشمعتين غير زهراوين،
جهير الصوت، لا يهاب الموت، قد ناهز الثمانين، وهو مع ذلك بجأش
مكين، وبدن مستمسك متين، صلبا شهما، كأنه صخرة صما، لا يحب المزاح
والكذب، ولا يستميله اللهو واللعب، يعجبه الصدق ولو كان فيه ما يسوءه،
لا يأسى على ما فات، ولا يفرح بما يأتيه، وكان نقش خاتمه راستي رستي
يعني صدقت نجوت، وميسم دوابه وسكته على الدرهم والدينار
ثلاث حلق هكذا ∴ لا يجري غالبا في مجلسه شيء من الكلام الفاحش ولا
سفك دم، ولا من سبي ونهب وغارة وهتك حرم، مقداما شجاعا، مهابا
مطاعا، يحب الشجعان والأبطال، ويتفتح بهم أقفال الأهوال، ويفترس
بهم أسود الرجال، ويستهدم بصدماتهم قلل الجبال، ذا أفكار مصيبة،
وفراسات عجيبة، وسعد فائق، وجد موافق، وعزم بالثبات ناطق،
ولدى الخطوب صادق، قلت

فكم قدحت آراؤه زند فتنة حمته لدى البأساء وأورت قنابلا

مجاجا دراكا للمهمة، مرتاضا متيقظا للرمزة، لا يخفى عليه تلبيس

ملبّس، ولا يمشي عليه تدليس مدلّس، يفرق بين المحق والمبطل بفراسته،
ويدرك الناصح والغاش بدربه درايته، يكاد يهدي بافكاره النجم الثاقب،
ويستتبع بارآء فراسته سهم كل كوكب صايب، قلت

يشاهد اعقاب الامور بعقله، كما شاهد المحسوس بالعين ناظر

اذا امر بامر او اشار بشيء، لا يرد عنه، ولا يثني عنان عزيمته عن شيء منه،
لئلا ينسب الى قلة الثبات، وركاكة الراي والحركات، قلت شعر

اذا قال قولا او اشار اشارة، ترى امره في ذاك كالنص قاطعا

وكان يقال له في القابه صاحب قران الاقاليم السبعة وقهرمان الماء والطين،
وقاهر الملوك والسلاطين، حكي ان قاضي القضاة ولي الدين عبد الرحمن
ابن خلدون المالكي قاضي القضاة بمصر كان صاحب التاريخ العجيب والسالك
فيه الاسلوب الغريب، على ما ذكر لي من رآه، واطلع على لفظه ومعناه،
من الاذكياء المهرة، والادباء البررة، مع انّي لم اره، وكان قد قدم الشام
مع عساكر الاسلام، وحين ولّت العساكر الادبار، انشبته في مخاليب تيمور
الاقدار، قال له في بعض مجالسه، وقد انس بمؤانسته، بالله يا مولانا
الامير ناولني يدك التي هي مفتاح فتوح الدنيا حتى اتشرف بتقبيلها، وقال
له ايضا لما اراد ان يستصحبه معه، وقد سرد عليه شيئا من تواريخ ملوك
الغرب وكان تيمور مغرما باقراء التواريخ واستماعها فاعجبه ذلك غاية
الاعجاب ورغب منه في الاستصحاب، يا مولانا الامير مصر خرجت عن
ان يتولى فيها نايب عنك، او ان يجري فيها غير امرك، ولي فيها عوض عن
طريفي وتلادي، واهلي واولادي، ووطني وبلادي، واصحابي واخداني، واقاربي
وخلاني، وملوك الناس، وعن كل ظهر وراس، بل وعن كل الورى، اذ
كل الصيد في جوف الفرا، وما انا اسف، ولا اتلهف، الا على ما مضى من
عمري، وانقضى من عصري، كيف تقضى ذلك في غير خدمتك، ولم تكتحل

عني

عيني بنور طلعتك، ولكن الفضا جاز، وساستبدل الحقيقة بالمجاز، وما اولاني
ان اكرر على لساني قوله شعر

جزاك الله عن ذا السعي خيرا، ولكن جئت في الزمن الاخير

فلا استثني نفسي في ادراك عمري ثانيا، ولا اعد الزمان بابعادي عن عبوديتك
عاديا، ولا اتدارك ما مضى من عمري بصرف ما بقي في خدمتك والتسبب
بعزك، ولا احسبن ذلك اعز اوقاتي، واعلى مقاماتي، واشرف حالاتي، ولكن
ما يقصم ظهري، الاكتبي التي افنيت فيها عمري، وصرفت خواطر علومي في
تصنيفها، واظمات نهاري واسهرت ليلي في ترصيفها، وذكرت فيها تاريخ
الدنيا من بدئها، وسير الملوك شرقيها وغربيها، ولقد جعلتك واسطة
عقدهم، وخلاصة نقدهم، وطرزت بسيرك خلع دهرهم، وصيرت
دولتك هلال جبين عصرهم، وهي في القاهرة فلو حصلت عليها ما فارقت
ركابك، ولا فارقت اعتابك، والحمد لله الذي رزقني من يعرف قيمتي ويجوز
خدمتي، ولا يضيع حرمتي، مع كلام فصيح صادع، بديع بليغ خالب خادع،
فاعجبه ذلك واغراه ميله الى كتب التواريخ والسير، واستهواه حبه
معرفة احوال الملوك الذي ذكر، حتى سُلب عما خلبه، بسحر هذا
البيان البديع وسلبه، ثم انه استوصفه بلاد الغرب وممالكها،
واستوضحه اوضاعها ومسالكها، وقراها ودروبها، وقبايلها وشعوبها،
كما هو دابه وشانه، والقصد في ذلك امتحانه، لانه لم يكن محتاجا
ذلك، اذ في خزاين تصوره صور جميع الممالك، وانما اراد بذلك معرفة
مقدار علمه، وكيفية ابداء نصحه له وكتمه، فاملى كل ذلك من طرف
لسانه، كانه يشاهده وهو جالس في مكانه، وشرح تلك الامور
كما في خاطر تيمور، ثم قال له كيف ذكرتني ونحن نصر مع الملوك الاكابر،
ولم نتل في النسب تلك المفاخر، وما نحن من تعاسيب النحل فاني عنيتنا

مع النخل فقال افعا لكما البديعه اوصلتكما الى تلك المنزلة الرفيعة
فاعجبه هذا الكلام وقال لجماعته اقتدوا به فانه امام ثم اخذ تيمور
يخبر القاضي بما وقع في بلاده وما جرى بين ملوك الغرب واجداده ولا
زال يذكر له اخبار الناس حتى سرد عليه اخبار متعلقيه واولاده
حتى تحير القاضي من املائه وقال ان الشيطان ليوحي الى اوليائه ثم ان
تيمور عاهد القاضي ان يتوجه الى القاهرة وياخذ اهله واولاده
وكتبه الزاهرة ولا يلبث اكثر من مسافة الطريق ويرجع اليه
بامل فسيح وعهد نبيل الاماني وثيق فتحير الى صفد واستراح من ذلك
النكد فصل وكان تيمور محبا للعلماء مقربا للسادات والشرفا
يعز العلماء والفضلاء اعزازا تاما ويقدمهم على كل احد تقديما عاما
وينزل كلا منهم منزلته ويعرف له اكرامه وحرمته وينبسط اليهم
انبساطا ممزوجا بهيبته ويبحث معهم بحثا مندرجا بين الانصاف
والحشمة لطفه مندرج في قهره وعنفه مندرج في بره مغرما
بارباب الصناعات والحرف اي صناعة كانت اذا كان لها خطر وشرف
يبغض بطبعه المضحكين والشعرا ويقرب المنجمين والاطبا وياخذ
بقولهم ويصغي الى كلامهم ملازما للعب بالشطرنج لكونه منقحا للفكر
وكانت علت همته عن الشطرنج الصغير فكان يلاعب بالشطرنج
الكبير ورقعته عشرة في احد عشر وفيه من الزوايد جملان وزرافتان
وطليعتان ودبابتان ووزير واشيا غير هذه وسياتي وضعه والشطرنج
الصغير بالنسبة الى الكبير كلا شي مواظبا لاقراء التواريخ وقصص
الانبيا عليهم الصلاة والسلام وسير الملوك واخبار من مضى من الانام
سفرا وحضرا كل ذلك بالفارسي ومما تكررت قراتها عليه وطنت
نغماتها على اذنيه قبض زمام ذلك وملكه حتى صارت له ملكه

بحيث ان قارئ ذلك اذا اخطا رده الى الصواب من الغلط وذلك لان
التكرار يفقه الحمار وكان اميا لا يقرا شيا ولا يكتب ولا يعرف شيا من
العربية ويعرف من اللغات الفارسية والتركية والمغولية حسب
لا غير وكان معتقدا للقواعد الجنكيزخانية وهي كفروع الفقه من الملة
الاسلامية وممشيا لها على الشريعة المحمدية وكذلك كل الجغتاي
واهل الدشت والخطا وتركستان واولئك الطغام كلهم يمشون قواعد
جنكيزخان لعنه الله على قواعد الاسلام ومن هذه الجهة افتى كل من
مولانا وشيخنا حافظ الدين محمد البزازي رحمه الله ومولانا وسيدنا
وشيخنا علاء الدين محمد البخاري ابقاه الله وغيرهما من العلماء الاعلام
وائمة الاسلام بكفر تيمور وبكفر من يقدم القواعد الجنكيزخانية على
الشريعة الاسلامية ومن جهات اخر ايضا وقيل ان شاهرخ ابطل التورا
والقواعد الجنكيزخانية وامر ان تجري سياستهم على حد اولي الشريعة
الاسلامية وما اظن لذلك صحة فان ذلك عندهم قد صار كالملة
الصريحة والاعتقادات الصحيحة ولو اتفق انه يجمع مرازبته وموابذه
في دستكره ويغلق ابوابها ويطلع عليهم من منظره ويفتح عليهم شيا من
هذا الباب لحاصوا حيصة الحمر الى الابواب فصل وكان بعيد الطور
بعيد الغور لا يدرك ليحر تفكيره قعر ولا يسلك في طور تدبيره سهل
ولا وعر قد اتخذ في ممالكه نواميسه واقام في سائر الممالك جواسيسه
وهم ما بين امير كاطلامش احد اعوانه وفقيه مفتي كمسعود
الكججاني من اصحاب ديوانه وكان ذاك في القاهرة المعزية وهذا
بدمشق احد الصوفية بالسميساطية وما بين متسبب وتاجر
ومصارع شرير وبهلوان فاجر ومكدي وصانع ومنجم وطبائعي
وقلندري نوال وحيدري جوال وبحري سباح وبري سياح

وسقا ظريف، وحذاء لطيف، وسعلاة دلاله، وشيخة محتاله، كدلّة المحتاله، ومن مرت به التجارب، وضرب اكباد الابل مشارق ومغارب وبلغ فيما هو بصدده من المكر والاحتيال، منزلة الكمال، والف بلطيف ختله ودهاه بين الماء والنار والهدى والضلال، وجاوز في الحيل والكيد، ساسان وابا زيد، والزم في حكمته وحدله ابن سينا واسكت في منطقه اليونانيين اذ عكس عليهم القضايا، فجمع بين المتنافيين، والف بين المتعادين، قلت

فاق من قاد للعدى كل جيش، بكلام ثنى البعيد قريبا

مزج النقل في الفواد بعقل، فهدى عاشقا واهدى حبيبا

فكانوا ينهون اليه حوادث الاطراف واخبارهم، ويكتبون اليه ما قدسوا وآثارهم، ويذكرون اوزانهم واشعارهم، ويصفون منازلهم وامصارهم، ويصورون سهولهم واوعارهم، ويخطون سوتهم وديارهم ويبينون مدى ذلك بعدا وقربا، وما في ذلك صعبا ورحبا، وجبال واقطار شرقا وغربا، واسامي الامصار والقرى، والقاب المنازل والذرى، واهل كل مكان ورؤساه، وامراه وكبراه، وفضلاه وشرفاه، واغنياه وفقراه، واسم كل ولقبه، وشهرته ونسبه، وحرفته وشغبه، فكان يطالع بفكره ذلك، ويتصرف بتفكيره في سائر الممالك، فكان اذا حل ببلد واجتمع به من اعيانها احد، شرع يسأله عن فلان وفلان، وما جرى لفلان في الوقت الفلاني مما رأنه من امر وشان والام آلت تلك الواقعه، وكيف فعل فلان وفلان فيما كان بينهما من المنازعه، فيبهت ذلك الرجل ناظرا، ويظن ان تيمور كان في تلك الحالة حاضرا، وكان كثيرا ما يطرح عليهم من اغاليط المسايل ويحكي صور مباحثات جرت لهم ورسايل، فيتصورون ان له في العلم قدمه،

او كان منه للعلماء خدمه، ولذلك تصور بعض الناس ان ذلك الوسواس الخناس كان مقيما بالسلاونيه، وبعض بالغ حتى قال انه رآه في قراء السمبصاتيه ٥

فصل ومما يحكى من فراسته انه لما نزل على سيواس، وقد حصنها منه اولو النجدة والباس، قال لعسكره اعملوا الحيله، انا فاتحوا هذه في ثماني عشر ليله، وكان كذلك فلا شك ان ذلك الاعرج، كان ملهما او مستدرج وكان ذا مغالطات وحركات لها مغاورات، اذا ادهمه امر يتعاطى دفعه وهو مظهر انه راغب فيه، وربما يظهر الرغبة عن شيء وهو مريد حصوله ومشتهيه، وقد مر نظاير هذا كله، فمن مغالطاته انه اذا كان له في مكان روم، او اراد ان يترك بساحة قوم، وقصد الاخفاء والتعميه، وطلب الابهام والتوريه، ونحر عسكره لا يخلو من مساح متجسس، او شرطان متجسس، ولو لم يكن لاحد في عسكره عين فان يروع العين لا يخفى على ذي عين، فانه يجمع اركان دولته، واعيان مملكته، وذوي آرايه ومشورته، بحيث انه لا يتخلف منهم احد، ولا يجري مولود عن الوالد ولا والد عن ولد، ثم يظهر لهم خفية اموره، ويطلب منهم المشوره في جهة مسيره، ويطلق لهم عنان الكلام، ويقول لا تثريب على من خاض في ذلك من خاص الانام، ناظر في اعقاب الامور ما بين يوم وعام، فليتكلم كل ولا حرج سوا اهوى الى حضيض الخطا او الى اوج الصواب عرج، فان اخطا فلا نقصان وان اصاب فله اجران، فيبذل كل جهده، ويعاني في ذلك وكده وكده، ويبدي في ذلك ما ادى اليه اجتهاده، ويتصور ان ذلك يوافقه مراده، فتتفق الآرا على ناحية من الانحا، ثم يفض ذلك المجلس، ويجتمع باخصايه ويجلس كسلیمان شاه وقمازی وشيف الدين والله داد وشاه ملك وشيخ نور الدين ويمحضون القضيه محضا غير ذلك، ويبحثون فيها بحثا دقيق المسالك، فيقع آخر الامر الاتفاق على التوجه الى بعض الآفاق، ثم يدعو رايدهم، وسايقهم في ذلك وقايدهم، ويامرهم بالتوجه اليه، ويتصدعون على ما عول في ذلك عليه،

وحين يقوض الظلام خيامه ويبشر رايد الصبح اعلامه ويضرب الكوس للرحيل
وياخذ الناس في التحميل ويتوجه الناس الى الجهة التي امرهم بالمسير اليها
ووقع الاتفاق عليها دعا حاشيته بعد ما حملوا واخذوا في المسري وامرهم
ان يسارزوا ويرحلوا الى جهة اخرى لم يكن ابداها لاحد من الجماعه الا في تلك
الساعه ولولا الضروره لما افشاها ولا اعاد سريرتها لاحد ولا ابداها
فيضرب الناس ضربا ويضرب ضربا وياخذا العساكر شرقا وياخذ غربا فتضطرب
تلك الاطواد وتخنبط وتنفرط عقود نظامهم فلا تكاد تنضبط وتنحل قوايم
مواشيها عن المسير وترتبط ويموج بعض الناس في بعض وينعكسون سما في
ارض وطولا في عرض وتبوله كل احد وتبدله ولا يدري الى اين يتوجه
فان كان في عسكره رتبه او من يراقب ذهابه ومجيئه فيسمح دمارائ
تخبيلهم وشاهد تحويلهم وترحيلهم طار الى مخدومه واظهر له ما في معلومه
من توجه العساكر التي اتفقوا عليها وانه شاهدهم بعينه وقد توجهوا اليها
فياخذ حذره اهل ذلك الجانب وتطمين سائر الجوانب من النوايب فلم
يشعر الا وقد دمر على الجانب الذي قصده وحطمه وتبدد من نار العذاب
الموقد في التعبير والحطمه وكم كان له من دهاء ونكر خفي ودكا من جملة
ذلك انه لما كان بالشام وقد قابلته عساكر الاسلام اشاع ان تسوار
اشاورته تخلخل واذاع انه اعوز خيله ورحله الزاد وانه صايب صوب
بغداد ثم استفرت القضيه عن انهزمت العساكر المصريه وكان قصده
بذلك تثبيت جاشهم واستقرار روساتهم واوباشهم وان يكرز كل منهم على
ما ازم يتربص في مكانه ولا ينهزم فيحيط بالكل كيده ويصير المجموع صيده
ومما يحكى من شدة عزمه وثباته على ما يقصد وحزمه وحلول نقمته ممن
يعارضه ويعاكسه فيما يرسم ويناقضه انه لما توجه بالجنود الى بلاد
الهنود بلغ الى قلعة شاهقة اقراط الدراري باذان مراميها عالقه

الى الجهة صح

أخر قليلاً إلى
اء وتجلجل صح

ورجوم النجوم الصايبه تتعلم الاصابة من رشاقة سهامها الراشقه كان
بهرام في مهواه احد شواطيرها وكيوان في مسراه خادم نواطيرها والشمس في
استوايها غرة جبينها وقطرات السحاب في الانسكاب ترشح من قعر معينها
وشفقة الشفق الحمرا على اذان مراميها وانوف ابدانها شرادق وكرات
نجوم القبه الخضرا لعيون مكاحلها وافواه مدافعها طابات وبنادق فيها
من الهنود طايفه ثابتة الجنان غير خايفه جهزت اهلها وما يخاف عليه
الى الاماكن المعجزه وتبتت هي في تلك القلعه حافظة لها متحرزه مع انها
شرذمة قليله وطايفة ذليله لا خير عندهم ولا مير ولا فايدة سوى
الضر والضير ولا للقتال عليها سبيل ولا حوالها لاحد مبيت ولا مقيل
بل هي مطلة على المقاتله متمكنة من المقاتله فابى ان يجاوزها دون
ان يناجزها بالحصار ويناجزها فجعلت المقاتله تناوشها من بعيد ويصب
كل من اهلها عليهم من اسباب المنايا ما يريد كما يريد فكان كل يوم تقتل
من عسكره ما لا يحصى والقلعه تزداد بذلك اباوا واستعصا وهو يابى الرحيل
عنها الا ان يصل الى غرضه منها ففي بعض ايام المحاصره امطروا وبواسطة
المطر انحصروا وصار تحتهم على القتال وركب لينظر ماذا يصنعون في تلك
الحال فلم يرتض افعالهم لما عكست اوحالهم احوالهم فدعا منهم روس
الامرا وزعما العسكر والكبرا واخذ يمزق اديم عصمتهم بشفار شتمه وتشقق
ستر حرمتهم بمخاليب لعنه وذمه ونفخ الشيطان في خيشومه فالهب فيهم
نيران غضبه وشومه وقال يا ليام واكلة الحرام تتقلبون في نعماي
وتتوانون عن اعداي جعل الله نعمتي عليكم وبالا والبستكم بكفرانها خيبة
ونكالا يا خرى الذمم وكافري النعم وساقطي الهمم ومتوجي النعم الم تطووا
اعناق الملوك باقدام اقدامي وتطيروا الى افاق الدنيا باجنحة احساني واكرامي
وتفتحوا مغلقات الفتوح بحسام صولتي وتسرحوا في متنزهات الاقاليم

سوايم تحكمكم بين عبد دولتي في ملكهم مشارق الارض ومغاربها، واذيتم جامدها
واحمد تم ذايبها شعر الم اك نارًا يصطليها عدوكم، وحرزًا لما الجاتم من رواييا
وباسط خير فيكم بيمينه، وفايض سترعنكم بشمال البا
ولا زال يهمهم ويغمغم، ويهذرم ويبرطم، وهم مطرقون لا يحيرون جوابا،
ولا يملكون منه خطابا، وكاد ان يموت خنقا، فاخرط السيف بين البرى — ثم ازداد خنقا صح
وهزبه على قمم اوليك الاسرى، وهم ان يجعل رقابهم قرابه، ويسقى من دمايهم
فرنده وذبابه، وهم على تلك الحال في الخزى والاذلال، باذلوا نفوسهم
ناكسوا رؤسهم، ثم تراجع وتماسك، وملك نفسه قليلا او تمالك، فاغمد
عن تبريقهم حسامه، ولم يلو لامره قبلة ولا دبرة فغلف غربه وشامه
ثم نزل عن مركبه، واستدعى الشطرنج الكبير ليلعب به، وكان عنده شخص
يدعى محمد قاوچين هو لديه ذو مكان مكين، ومقام امين مقدم على كل
الوزرا، مبجل دون سائر الامرا، مسموع القول، مقبول الراى، ميمون النقيبة
محبوب الشكل فتشفعوا اليه، وعولوا في حل هذا الاشكال عليه، وقالوا
ساعدنا ولو بلفظه، وراقبنا ولو بلحظه، واعمل معنا بهذا المعنى قلت
ساعد بجاهك من نغشاك مفتقرا، فالجود بالجاه فوق الجود بالمال وبما قيل
واهون ما يعطى الصديق صديقه، من الهين الميسور ان يتكلما وبما قيل
وان امرا قد ضن عنى بمنطق، يسد به من خلتى لضنين
فاجابهم والبرم ان يرده عما نازم به وازم، وراقب مجال المقال، وراعى فرص
المجال، واخذت افكار تيمور تفور في امورا القلعة وتغور، وجعل يستصوب
اضواهم، ويستورى اراهم، ولا يسع كلامهم الا القبول لما يستصوبه رايه
ويقول في بعض الاحايين اتفق ان قال محمد قاوچين وقد زل به القضا
واحاطت به نوازل البلا، اطال الله بقا مولانا الامير وفتح بمفاتيح رايه
ورايانه حصن كل امر عسير هب انا فتحنا هذه القلعة بعد ان اصيب منا

جانب من اهل النجدة والمنعة هل يفي هذا بذا، او يوازن هذا النفع بهذا الاذى
ثما احتفل بخطابه، ولا اشتغل بجوابه، بل استدعى شخصا من المرقد اربته
قبيح المنظر الا انه في حالة زريه، يدعى هرا ملك، داعرف شهك، ووجه
بالسواد شديك، او سخ من في المطبخ، واسنخ من في المسلخ، لعاب الكلب طهور
عند عرقه، وعصارة القير حليب بالنسبة الى مرقه، فعندما حضر لديه
ووقع نظره عليه، امر بثياب محمد قاوچين فنزعت، وبخلقان هرا ملك فخلعت
ثم البس كلا ثياب صاحبه، وشد وسطه بخاصته، ودعا دواوين محمد
ومباشريه، وضابطي ناطقه وصامته وكاتبيه، ثم نظر ما له من ناطق وصامت
ونام وجامد، وملك وعقار، واهل ودار، وحشم وخدم، من عرب وعجم، وارفاق
واقطاع، وبساتين وضياع، ومماليك واتباع، وخيل وجمال، واحمال واثقال
حتى زوجاته وسراريه، وعبيده وجواريه، فانعم بذلك على ذلك الوسخ وامسى
نهار وجود محمد قاوچين وهو من ليل تلك النعمة منسلخ، ثم قال تيمور
اقسم بالله واياته، وكلماته وصفاته، وارضه وسماواته، وكل نبى ومعجزاته
وولى وكراماته، وبراس نفسه وذاته، لين اكل محمد قاوچين احدا وشاربه
او ماشاه او صاحبه، او صادقه او صافاه، او اوى اليه او اواه، او راجعنى
في امره، او شفع عندى فيه واشتغل بعذره، لاجعلنه مثله، ولاصيرنه
مثله، ثم طرده واخرجه، وقد سلبه نعمته واخرجه، فصار مسلوب النعم
قد حلت به نوايب النقم، وشجوه بالولوق وراى نعمته على اقل الخلوق
واتصل عيشه بالحلق وقطع منه الحلوق، فقلقت حبة قلبه اى قلوق، واستمر
على ذلك، في عيش مر وعمر حالك، وحاشى ان تشبه قصته قصة كعب
ابن مالك، وكان يستحلى مرارة الموت، ويستبطى اشارة الفوت، وكل الخطة
من هذا الحيف، اشد عليه من الف ضربة بالسيف، فلما مات تيمور احياه
ورد عليه خليل سلطان ما سلبه جده اياه، فصل وكان من ابهته وعظمته

وشدة شكيمته وعتوه وحرمته ان ملوك الاطراف وسلاطين الاكناف
مع استقلالهم بالخطبة واستبدادهم بالسكة وانفرادهم بالزعامة والرياسة
وقيامهم بامور الايالة والسياسة كالشيخ ابرهيم ملك ممالك شروان وخواجه
علي بن المويد الطوسي سلطان ولايات خراسان واسفنديار الرومي وابن قرمان
وملوك فارس واذربيجان وملوك الدشت والخطا وتركستان ومرازبة بلخشان
ومراجح مازندران وعلى الجملة فالمطيع من ملوك ايران وتوران كانوا اذا
قدموا عليه وتقدموا بالهدايا والتقادم اليه يجلسون على اعتاب العبودية
والخدمة نحوا من مد البصر من سرادقاته قايمين بشرايط الادب والحرمة
فاذا اراد منهم واحدا ارسل اليه من الفراشين او نحوهم قاصدا فيهيب
ذلك القاصد وهو يعدو كالبريد وينادي ذلك الواحد باسمه يا فلان من
مكان بعيد فينهض في الحال من مجثاه مجيبا بلبيك لبيك دعواه ويعدو
نحوه متعثرا في اذياله متلقيا ما برزت به مراسيمه بقبوله واقباله مطرقا
راس التذلل والخضوع مصغيا باذان الخنوع والخشوع مفتخرا على اضرابه
لكونه اهله ودعاه واعتنى به وقيل كان اناس من جماعته يلعبون
بالنرد فافترقوا فرقتين واختلفوا في نقش الكعبتين فقال احد اللاعبين
وراس الامير تيمور كذا وكذا كان نقش الكعبتين فرفع يده خصمه
ولطمه وسبه ولعنه وشتمه كانه ذبح يحيى او ذكريا نشرا او كفر بمحمد
او قدم موسى على البشر وقال يا ابن الفاعلة والغاسل ابن الغاسلة بلغ من
انهاكك الحرم ان تذكر الامير تيمور بشفة وفم واني لك ان تجعل خدك
موطى مداسته فضلا عن ان تحلف براسه انه لاجل من ان يتفوه مثلي ومثلك
باسمه او يتلفظ بشي من حدوده ورسمه وانه لاعظم من كيخسرو وكيكاوس
وكيقباد الذين ملكوا المشارق والمغارب وافخم من بخت نصر وشداد وقيل
انه قصد في بعض الاوقات الاصطياد وارسل يمنة ويسرة على العادة طوايف

الجيش والاجناد ورسم ان تخرج مشاة تلك الرفاع ورجاله هاتيك القرى
والبقاع فيمتد واني الوهد والبقاع وحين تلتئم على الوحوش حلقة الكبد
وتصح ان يتنازع فعلا دني واصمي كلا من عمرو وزيد لا يباشر احد بضربة
ولا طعنة ولا رمية الى صيد بيد انهم يردون اوابد تلك البيداء الى بهرة
ذلك البيد فامتثل كل ما به امر وحين صار كالبنيان المرصوص صف تلك
الاحزاب والزمر واحاطت صافات تلك الكواسر بالوحوش احاطة النجوم
بالقمر ماجت بحار الوحوش في ذلك البر ولم تجد لها من دون تلك الشوك
الهامرة من مخرج ولا معبر فدارت ومارت وحارت وخارت وثارت وبارت
واستجارت بعد ما جارت واستكانت بعد ما زارت وانطوت ارضها التي
طالما عليها انتشرت وطرزت خلع اعلامها باعلام واذا الوحوش حشرت
فبينما هي على تلك الحال في اشد ما يكون من الاهوال امر بان تضرب الطبول
من كل الجهات وينفخ في صور المزامير والبوقات فدق الكوس وزعق النفير
وامتلات الدنيا من الشهيق والزفير ورجت الارض رجا ومارت الاقطار
هرجا ومرجا وحين سمعت السباع صوت الطبول وراءت الوحوش هذا الامر
المهول سقطت قواها وتقطعت كلاها وجثت وما انبعثت ثم تقاربت
وتلاءمت وتقاربت وتضامت وتصورت ان القيامة قد قامت فاخذ بعضها
بعنق بعض ونامت فعانق الثور منها اللبوة وصاجع الاسد فيها الظبية
واحتمى سرحان بين الغزلان واستجار الثعلب ببنات الارنب ولاذ بالاروى
النعام والارنب بالعقاب وعاذ الضب بالنون واليربوع بالغراب فعند
ذلك امر الاطفال من اولاده واولاد الامراء واحفاده ان يرموا ويصموا
ويفنوا مهما ارادوا ولا يبطئوا وجعل ينظر اليهم ويتفرج عليهم ويرهن لافعالهم
ويتفقه على احوالهم ويجريهم على الاقدام والنضال ويشجعهم بذلك على
صيد الابطال وجعلت حواشي الجيش تجهز ما اصموا ويجهز على ما

انموا وصار ذلك المفسد يترنم وينشد شعر

صيد الملوك ارانب وثعالب ... فاذا ركبت فصيدي الابطال

فصل وكان يجمل اليه التحف من بلخشان والفيروزج من نيسابور وكازرون ومعادن خراسان والياقوت من الهند والالماس منها ومن السند واللؤلؤ من هرمز والقطيف والحسا والبشم والمسك وغيره من الخطا ومن ساير الاقطار خالص الفضة ومصفى النضار فصل وانشا في سمرقند بساتين عديدة وقصورا شوامخ مشيدة كل له ترتيب غريب ووضع انيق عجيب احكم انشاتها وطعم بافخر الفواكه غراساتها سمى احدها بستان ارم والاخر زينة الدنيا والاخر جنة الفردوس والاخر بستان الشمال والاخر الجنة العليا ثم انه هدم مصرا وبنى في كل بستان منها قصرا وصور في بعض هذه القصور مجالسه واشكال صورته تارة ضاحكة واخرى عابسة وهيآت مواقعاته وصور محاضراته ومجالس صحبته مع الملوك والامرا والسادات والعلماء والكبرا ومثول السلاطين بين يديه ووفودها بالخدمات من ساير الاقطار اليه وحلق مصايده وكماين مكايده ووقايع الهند والدشت والعجم وصورة انتصاره وكيف انكسر عدوه وانهزم وصور اولاده واحفاده وامرايه واجناده ومجالس عشرته وكاسات خمرته وسقاة كاسه ومطربي ايناسه وتغزلات مقاماته ومقامات تغزلاته وحظايا حضرته وخواتين عصمته الى غير ذلك مما وقع له من صورة حادثة في الممالك مدى عمره المتقارب المتدارك كل ذلك كما وقع ووجد ولم ينقص من ذلك شيئا ولم يزد وقصد بذلك الافادة لمن كان في عالم الغيب عن احواله بالشهادة وكان اذا توجه الى مكان وخلت سمرقند من الظلمة واعوان الشيطان تخلو تلك البساتين فيتوجه اليها اهل المدينة الاغنيا والمساكين فلا يوجد اعجب متنزها منها ولا

احسن

يجمل اليه التحف

احسن ولا اوفق مرتفقا ولا آمن واما ثمارها الطيبة فانها متسبلة بحيث انه لا يباع منها قنطار بخردله وانشا في ضواحي سمرقند ومعاملاتها قصبات سماهن باسما كبار البلدان والامهات كمصر ودمشق وبغداد وسلطانية وشيراز عرايس البلاد وانشا بستانا في ضواحي سمرقند على طريق الكش وبنى به قصرا سماه تخت قراجان يحكى ان بعض مشيدي عمارته ضاع له فرس واستمر يرعى في البستان سته اشهر حتى لقوها فصل نساوه الملكة الكبرى وهي اقدم واكمل والملكة الصغرى وهي احسن واجمل وهما من بنات الخطا وتومان بنت الامير موسى اهبر نجشب المار ذكره في اول الكتاب وجلبان كانت كالبدر عند الكمال وكالشمس قبل الزوال قتلها في حياته بشيء بلغه عنها وكان غير واقع وانما فعل ذلك معها لانه قيل ان صدقا وان كذبا واظنها كانت من الخطايا واما السراري والحظايا فاكثر من ان يحصين فالملكتان المذكورتان شمتهما شاه ملك خوفا منهما على خليل وتومان ارسلها خليل سلطان الى شيخ نور الدين بسغناق كما مر وبعد جات الى سمرقند وسمعت انها عمرت في يومنا هذا اعني سنة اربعين وثمان مائة على الحج والله تعالى اعلم فصل اولاده لصلبه المتخلفون من بعده امير انشاه قتله قرا يوسف كما ذكر وشاه رخ وهو المتملك في يومنا هذا وبنت تدعى سلطان بخت زوج سليمانشاه كانت مترجلة لا تحب الرجال وذلك لما افسدها النسا البغداديات لما قدم من سمرقند ولها تواريخ شنوا احفاده غالبهم انقرض الا اولاد شاه رخ وامثلهم اولوغ بيك حاكم سمرقند وابرهيم سلطان حاكم شيراز وباي سنقر حاكم كرمان ماتا كلاهما في سنة ثمان وثلاثين وثمان مائة وجوكي وهو الذي مشى على اسكندر بن قرا يوسف وشتت شمله بعد موت قرا يلوك وذلك في شهور سنة تسع وثلاثين وثمان مائة ثم مات في اواخرها فصل امراوه ووزراوه لا يحصون واشهرهم من ذكر في هذا الكتاب دواوينه الخواجه محمود بن الشهاب الهروي ومسعود السمناني ومحمد الساغرجي وتاج الدين السلماني وعلا الدولة واحمد الطوسي وغيرهم

وانشا سمرقند

مشيدي

ملوكهم

منشى ديوانه وهو عبارة عن كاتب السر مولانا شمس الدين قاضى زمانه وفاضل
ابانه فارسيا وعربيا يصرف اخبار الانشا كيف شا كان قلمه فى فتح
اقاليمه انفذ من سنان مخدومه ولما مات تيمور احتجب وطوى بساط الادب
فقيل له ضحكت البشرة الانباشر وصفت العشرة فهلا تعاشر فقال ذهب
الذى كان يعرف قيمتى فانا لا اذهب فى خدمة احداث حرمتى ائمة عبد الجبار
ابن النعمان المعتزلى صدور مملكته مولانا قطب الدين والخواجا عبد الملك
وابن عمه الخواجا عبد الاول وغيرهم قارى قصصه وتواريخه مولانا عبيد
اطباؤه فضل الله وجمال الدين رئيس الطب بالشام كان وغيرهما وكان
دائما يستعمل معاجين الاحجار وفى سنة ذلك يجتنى باكوره الادكار منجموه
لا يحضرنى اسماؤهم فصل حصل فى ايام استيلائه بسمرقند من الفقهاء مولانا
عبد الملك وهو من اولاد صاحب الهداية كان يلقى الدرس ويعلم الشطرنج
والنرد وينظم الشعر فى حالة واحدة ونعمان الدين الخوارزمى ابو عبد الجبار
المذكور كان يقال له النعمان الثانى وكان اعمى والخواجا عبد الاول ابن عم
مولانا عبد الملك انتهت اليه الرياسة فى ما وراء النهر بعد ابن عمه ومولانا
عصام الدين بن عبد الملك انتهت اليه الرياسة فى يومنا هذا بعد ابن عمه
عبد الاول ومن المحققين مولانا سعد الدين التفتازانى توفى فى المحرم
سنة احدى وتسعين وسبعمائة بسمرقند والسيد الشريف محمد الجرجانى
توفى بشيراز ومن المحدثين الشيخ شمس الدين محمد بن الجزرى كان اخذه من
الروم وكان قد هرب اليها من مصر بعد توجهه من بلاد الشام قبل الفتنة
توفى بشيراز والخواجا الكبير المعتبر الحافظ المحدث محمد الزاهد البخارى
فسر القران الكريم فى مائة مجلد توفى بمدينة النبى صلى الله عليه وسلم
سنة اثنين وعشرين وثمانمائة ومن القراء هما ومولانا فخر الدين ومن حفاظ
القران المجودين قراءة وصوتا عبد اللطيف الدامغانى ومولانا اسد والشريف

الحافظ الحسينى ومحمود المحرق الخوارزمى وجمال الدين احمد الخوارزمى وعبد
القادر المراغى الاستاد فى علم الادوار ومن الوعاظ والمتكلمين مولانا احمد
ابن شمس الائمة السراى كان يقال له ملك الكلام عربيا وفارسيا وتركيا
وكان اعجوبة الزمان ومولانا احمد الترمذى ومولانا منصور القاغانى ومن
الكتاب المجودين السيد الخطاط بن بندكير وعبد القادر المذكور وتاج الدين
وغيرهم ومن المنجمين اناس نزعوا لا اعرف من اسمائهم غير مولانا احمد الطبيب
النحاس المنجم قال لى استخرجت من زايجة الطالع الى ما بين سنة وكان
هذا الكلام فى سنة ثمان وثمانمائة ومن الصواغين الحاج على الشيرازى
والحاج محمد الحافظ الشيرازى وغيرهما ومن الحكاكين طايفة جمة وامثلهم
التون وكان آية فى فنه ينقش الفصوص ويحفر اليشم والعقيق بخط احسن
من ياقوت ومن الشطرنجيين محمد بن عقيل الحلبى وزين اليزدى وغيرهما وعلامة
ذلك علاء الدين التبريزى الفقيه المحدث كان يحط لزين اليزدى بيدقا
وبغلة ولابن عقيل فرسا وبركبه ولقد داخ تيمور الاقاليم شرقا وغربا
وقمر فى دست مصافاته كل سلطان وكل شاه مات عنده جدا ولعبا
وكان يقول له انت فى ملك الشطرنج فريد كما انا فى سياسة الملك وحيد
وكل منى ومن مولانا على شيخ فى فنه وذو كرامات لم يوجد له نديد ولى
ولد فى لعب الشطرنج وعلم مناصبه شرح وما كان احد يقدر ان ينح ولاد
فكره فى لعبه معه من غير طرح وكان فقيها شافعيا محدثا ارتجيا
حسن البهجة صادق اللهجة حكى لى انه راى امير المومنين عليا كرم
الله وجهه فى المنام وانه ناوله الشطرنج فى كيس فلم يغلبه بعد ذلك
احد من الانام ومن اوصافه فى لعبه انه كان لا يتفكر وبمجرد ما يلعب
خصمه بعد التفكر والتامل الطويل ينقل من غير ان يتدبر وكان يلعب على
الغايب مع خصمين ويعلم مع الطرح لمن هو فى جهته على الجهتين

حكى عن تيمور انه رأى [illegible] وحيد [illegible] عليا الرضى [illegible] الشطرنج [illegible] وانه اعطاه [illegible]

وكان يلعب هو والامير بالشطرنج الكبير، ورايت عنده شطرنجا مدورا وشطرنجا طويلا والشطرنج الكبير فيه من الزوايد ما مر ذكره وهذه صورته

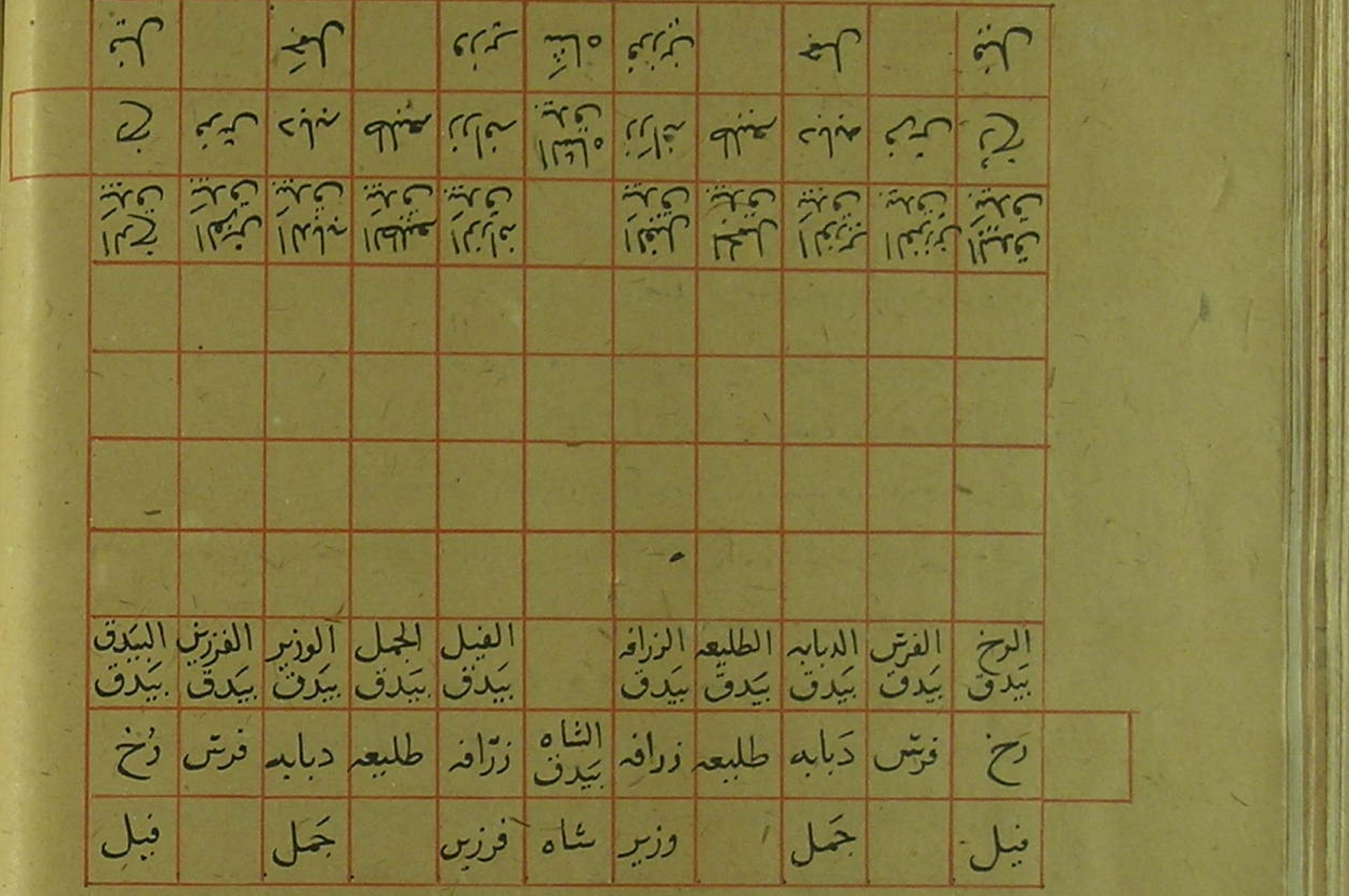

وطريقه تعلمه بالفعل اقوى، وليس في شرحه بالقول كثير جدوى، ومن المطربين عبد القادر المراغي المذكور وولده صفي الدين وختنه نصير الدين وقطب الموصلي واردشير الجنكي وغيرهم ومن النقاشين كثير واعلاهم عبد الحي البغدادي ومن البحريه شهاب الدين احمد الزردكاش ومن نقاشي الزجاج والنجار وغيره ما لا يحصى وهولاء كل منهم كان علامة دهره، واعجوبة عصره، ولو رصعت حلى الالفاظ بجواهر اوصاف هولاء الاعيان لملات الاكوان من فرايد الجمان، وقلايد العقيان، وهولاء من حضرني ذكر من اعرفه

واما من

واما من لا اعرفه او اعرفه ولا يحضرني ذكره فاكثر من ان يحصى، واعز من ان يستقصى، وحاصل الامر ان تيمور كان جنى على كل حي، وجبا الى سمرقند ثمرات كل شي، وكان بها في كل فن عجيب، واسلوب من الصنايع غريب، من هو على جبين الفضل شامه، وبرز على اقرانه فصار في فنه علامه، فصل وكان في سمرقند انسان يسمى بالشيخ العريان فقير اد همي بشكل بهي وعزم سمي قيل ان عمره على ما هو فيهم شايع، وبين اكابرهم وكبارهم ذايع، ثلاثمايه وخمسون سنه، مع ان قامته مستويه وهيئته حسنه، كان المشايخ الهرمون والاكابر المعمرون يقولون لقد كنا ونحن اطفال، نرى هذا الرجل على هذه الحال، وكذلك يروى عن ابائنا الاكرمين، ومشايخنا الاقدمين ناقلين ذلك كذلك عن ابايهم، والمعمرين من كبرايهم، وكان اطلس وله قوة ناهضه وحدة، من راه يتصور انه لم يبلغ اشده، لم يكن للكبر بوجهه تجعيد ولا اثر، وكان الامرا والكبرا، والاعيان والصلحا، والفضلا والروسا، يترددون الى زاويته، ويتبركون بطلعته، ويلتمسون بركة دعوته، وفي سمرقند مسجد يسمى مسجد الرباط، يهب لمن يدخله الانشراح والانبساط، والروح والنشاط، احد فعلته كان وليا، يسمى الشيخ زكريا، هو معتقد تلك البلاد، ومزاره في مكان مشهور على راس طود من الاطواد، قبره يستجاب عنده الدعا، وهو عن سمرقند نحو يوم في المدا، وهو بالكرامات موصوف، وفي كرخ هذه المقامات معروف، وهو في ربوة ذات قرار، فيه جنات تجري من تحتها الانهار، محفوف بالجن والانس كانه اقتطع من حظيرة القدس يحكى انه لما كان فاعلا في ذلك البنيان، وقع على جبهته نقطة من الطين، فراى ذلك احد المباشرين واستمر ذلك الطين على هذه الحال، نحو من تلك لبال، فلما ارادوا وضع ذلك المحراب وقع الاختلاف في الخطا والصواب، وكثر في ذلك الصخب والاضطراب، فقال الشيخ زكريا، ضعوا المحراب على هذه الفقره، ولا تعدلوا عنها يمنة

ولا ييبس، فقال ذلك المباشر لمن في ذلك المكان حاضر، يا للعجيبة، والقصة
الغريبة، رجل لم يغسل وجهه ثلثة ايام، يرشد الناس الى معالم الاسلام، فقال
ذلك العابد الزاهد، او رجل هو من لم ينم ثلاثة ايام بوضوء واحد، ولكن
تعال ايها الجاحد، قف مكانك، وثبت جنانك، ولا تكن ممن انكر وتولى وانظر
الى عروس الكعبة كيف تجلى، فنظر ذلك الذي انكر، فاذا الكعبة المعظمة امامه
تتبختر، ثم التفتوا الى الشيخ ففقدوه، وطلبوه ارضا وسما فلم يجدوه، وهذا
المسجد فيه شي عجب عدة اسطوانات من خشب، من جملتها سارية ستحت
ارتفاعا نحو من خمسة عشر ذراعا، وغلظ جسمها وبدنها، فلا يقدر الرجل
يحتضنها، وباقي السواري بها قد حطن، قيل انها شجرة قطن، ولها خاصية عجيبة
طريقة غريبة، من كان به وجع الضرس يضع عليه مقدار حبة من خشب ذلك
الدرس، فانه ينفعه، ويسكن في الحال وجعه، جربته فصح، وليسال من
يدعي رؤية سمرقند عما راى فيها من العجايب، وشاهد من علامات الطرف
والغرايب، فان اخبر برؤية هذه السارية الفايقة، كانت رؤياه صادقة،
واعتدله بصدق هذا الكلام، والا كانت رؤيته اضغاث احلام، فصل
سمرقند ليس فيها كيل ولا صاع يصان، ولا يجري على جنس المكيلات فيها
بالكيل حسبان، وانما معرفة حساب ذلك عندهم بالميزان، ورطل سمرقند
اربعون اوقية، كل اوقية بالمثاقيل مية، فيكون رطلهم اربعة آلاف مثقال
كل مثقال درهم ونصف من غير زيادة ولا اخلال، فعلى هذا رطلهم بالدمشقي
عشر ارطال، حكى لي مولانا محمود الحافظ المحرق الخوارزمي، وسمي بالمحرق
لان سهام ترجيعاته كانت تصيب حبات الحشاشات ادرمي، وتفوق رشقات
اوتارها نحو آذان القلوب فيصمي طايرها ولا ينمي، فان صدعت من القلوب
حجرا، طار من اقتداحها في الارواح شررا، فيحرق بزيانه الارواح، ويشتعل
بنيرانه الاشباح، قال استصحبني تيمور في بعض اسفاره، فكنت ملازم

خدمته

حكى لي مولانا
...ود

خدمته في ليله ونهاره، فنزلت عساكره على حصن الحصاره، وضرب خيمه على
مكان عال، ليشرف منه على القتال، ويتفرج في صنع الرجال، ففي بعض
الزمان، حضرت عنده انا ورجلان، وكان قد حصل له حمى اورثته كربا
وغما، وكانت سما النزال ذات حبك واحتباك، ورماح القتال في التوا
واشتباك، فاراد ان يطالع احوالهم، ويشاهد افعالهم، وافرطت شهوته
في ذلك الغمه، فقال احملوني الى باب الخيمة، فدخل ذلك الرجلان تحت
ابطيه، واوقفاه بباب الخيمة وانا بين يديه، فجعل يشاهد حربهم، ويتبين
طعنهم وضربهم، ثم اراد ان يامرهم بشي، فقال يا محمود الي، فاسرعت
اليه، ودخلت تحت عضده، فارسل احد الرجلين الى عسكره، يامرهم بما
عن له من عجره وبجره، وكانه لم يبق عليلا، ولم ير وغليلا، فقال لنا دعاني
وعلى الارض ضعاني، فوضعناه فسقط كانه رمة بالية، او لحمة على
بادية، ثم ارسل ذلك الرجل الاخر اليهم، وامرهم بما اقتضته اراءه واكد
عليهم، فبقيت انا وهو وحدنا، ولم يبق احد عندنا، فقال لي يا مولانا محمود
انظر الى ضعف بنيتي، وقلة حيلتي، لا يد لي تقبض، ولا رجل تركض، لو رماني
الناس هلكت، ولو تركوني وحالي ارتبكت، لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا،
ولا اجلب خيرا ولا ادفع شرا، ثم تامل كيف سخر الله تعالى لي العباد،
ويسر لي فتح مغلقات البلاد، وملا برعبي الخافقين، واطار هيبتي في المغربين
والمشرقين، واذل لي الملوك والجبابرة، واهان بين يدي الاكاسرة
والقياصرة، وهل هذه الافعال الا افعاله، وهذه الاعمال الا
اعماله، ومن هو انا غير سطيح ذي فاقة، لا ناب لي في الدخول الى هذه الافعال
ولا طاقة، ثم بكى وابكاني، حتى ملات بالدموع اردانى، فانظر الى هذا
الوثن كيف سلك بهذا القول مسلك القايلين بالجبر، وانشدوا فيه بالفارسية
بيتين وهما، نيم تني ملك جهان را كرفت، جسم كسا قدرت يزدان ببين

فقال لي يا محود
الي فاسرعت

اليه

فقال لي
محمود

فقلت دوبيت

باىٔ نه وتخت بزيد قدم ٭ دست نه وملك بن بكين

قد اظهر قدرة تخافى حكمه ٭ من ملك شفا الدنا فى قسمه

لا كف له والملك فى خاتمه ٭ لا رجل له والتخت موطى قدمه

فصل

فصل واما عساكره وطرايق سلوكهم ٭ فانهم على دين ملوكهم ٭ كانوا استدرجوا
من حيث لا يعلمون ٭ ورزقوا من حيث لا يحتسبون ٭ مسخرا لهم خفيات الدفاين ٭
مفتوحا عليهم خبيات الخزاين ٭ ميسرا لهم مكامن المطالب والمعادن ٭ كل طرف
منهم قد جال وسطا ٭ وصار بطرق اللوم اهدى من القطا ٭ قد دربوا الامور ٭
وجربوا احوال الدهور ٭ وقاسوا معاصر العصور ٭ وكابدوا المكايد ٭ وعالجوا
الشدايد ٭ ومارسوا الاشيا ٭ وذاقوا الناس والدنيا ٭ وعرفوا مداخل كل مارق ومخارجه ٭
وادركوا مدارك ومعارجه ٭ لا يدهيهم داهيه ٭ ولا يطغيهم طاغيه ٭ ربما
يمرون بقفرا ٭ ويجيزون بمهمه صحرا شعر

لا يفزع الارنب اهوالها ٭ ولا ترى الضب بها ينجحر ٭

فيقف بعضهم ثم تراه ٭ ينظر الى ارض ذلك المكان وثراه ٭ ثم يقول ليس هذا الثرى
من هذا البرى ٭ ثم ينزل عن دابته وياخذ من ذلك التراب ويشمه ٭ ثم يلتفت الى
جهاته الاربع فيقصد منها جانبا ويومه ٭ ثم لا يزال يشير بمن معه من الاعوان
حتى يصلوا الى مكان ٭ فيحفرونه ويخرجون كمين الدفاين ٭ وما فى ذلك من
المغلات والخزاين ٭ وكذلك اذا وصلوا الى عماير ٭ او مروا على مقابر يتوجهون
الى الخبء كانهم وضعوه بايديهم ٭ او اوحت شياطينهم ذلك اليهم ٭ وربما يجيون
الى مقام ٭ مر على ساكنه فيه ايام ٭ ومضى عليه فيه شهور واعوام ٭ وفيه شى
مطمور ٭ لم يكن لصاحبه وساكنه به شعور ٭ فبمجرد دخولهم اليه ٭ يفتح ذلك
عليهم ويطلعون عليه ٭ وحين يطلع ساكنه على ذلك ياكل يداه ندامة وحسرة يديه ٭
وكان لهم دزايات فى دهرهم عجيبه ٭ ومنها رايات فى غمرهم مصيبه ٭ وكانوا
يحملون البقر ويكبونها ٭ ويسرحون الحمر ويلجمونها ٭ ويسابقون على ذلك اصحاب

حكاية الفا

الخيل العراب الى قصبات المغانم فيسبقونها ٭ ويطعمون الخيل لحم الكلب والحمل ٭
ويعتاضون عن شعير الفرس بالقمح والارز والدخن والزبيب والعدس ٭ وربما
اعوزهم ذلك فى السفر ٭ فاطعموا دوابهم لحا الشجر حكى لى القاضى برهان
الدين ابرهيم بن القوشه الحنفى المذكور رحمه الله تعالى ٭ ان قازان والتتار ٭
لما قدموا هذه الديار ٭ خرج من له قوة الفرار فارا من الشرور ٭ كما فعلوا فى
قضية تيمور ٭ ومن جملتهم تاجر بالصالحيه ٭ كان فى عيشة رخيه ٭ وله اموال
وافرة وقنيه ٭ جمع ماله من صامت المال ٭ ووضعه فى قدرة فوال ٭ ثم عمد الى
بركة ماء فحفرها ٭ ووضع تلك القدرة تحتها وطمرها ٭ ثم ردها الى مبانيها ٭
واعاد مبانيها الى مجاريها ٭ وحين استتب الوثوب ٭ وقدمت الدواب للركوب ٭
قالت له امراته قد نسينا قرطى ٭ واخاف ان يحدث عليهما فى الطريق شى فانظر
لهما مكانا ٭ وحصل لنا بذلك امانا ٭ فقال اما الان فلا مكان ٭ ثم اخذهما
ووضعهما فى سقف سقيفه ٭ على خشبة لطيفه ٭ ثم ركبا ٭ وتركا الديار
وذهبا ٭ فلما حل بدمشق التتار ٭ نزل منهم فرقه فى تلك الديار ٭ فجعلوا ياكلون
ويشربون ٭ وهم فى خوضهم يلعبون ٭ فبينما هم بعض الايام فى النشاط ٭
قرض الفار احد تلك الاقراط ٭ فتدحرجت لؤلؤته وسقطت على البلاط ٭
فنبادرت الجماعه اليها جاريه ٭ كانهم يتسابقون الى قرطى ماريه ٭ فتسبقت
الجماعه ٭ ودخلت البلاعه ٭ فكشفوا عن وجه الارض يتبحثرونها ٭ فوجدوا
الاموال كما هى فى قدرها ٭ فاخذوها واللولوه واخرجوها ٭ وقصدوا باقى
القرطين واقتسموها ٭ وجماعة تيمور ايضا كذا كانت ٭ وكل معضلة من
القضايا اذا وصلت اليهم هانت ٭ وكل منهم كان على دين ملكه فى فتنه الى
غاية عرج ٭ فان كنت محدثا عن احوالهم واخبارهم فحدث عن البحر ولا
حرج ٭ يحكى ان واحدا منهم من اهل الدها والكيد ٭ اراد فى فصل الشتاء
التنزه فقصد الصيد ٭ فاخرج مركوبه وهو بقره ٭ وشد عليها سرجه وهو

خشبة مكسرة، عنزة قضيب مدور، وحزامه حبل متين، وحمل بلباسه
وهو جلد فروة منهوش، وتاجه وهو طرطور من لبد منقوش، وشد كنانته
وهي جلود ممزقة، مشدودة بحبل وعليها خروق ملزقة، سهامه قد
النون، وحنيتها قد استوت، ومعه بازي قد نتف الفرناص ريشه، وقلع
عن حفل بدنه زرع خوافيه وحشيشه، ثم ركب جواده، وحمل بازيه وقصد
اصطياده، فرأى جماعة من البط، على ساحل غدير حط، فرفع يده بالبازي
ساعة، حتى عاين تلك الجماعة، ثم وضع يده بخفض، وأرسل البازي على
الأرض، فصار يحجل رويدا، وقد أضمر للبط كيدا، إذ لم يكن له قوة الطيران
ولا جناح به يستعان، فوصل إلى الطير بسكون، وهي آمن ما تكون
لأنها لا تتوقع البلاء إلا من جهة السماء، فدخل بينها فما نفرت عنه، ولا هربت
منه، فلم يشعر إلا وقد وثب على واحدة وقلدها، فأدركه صاحبه وأخذها،
ولما رحلوا عن دمشق، وقد مشقوا أوراق نعمها من أغصان وجودها أي
مشق، كان مع بعضهم بقرة نهبها، وحملها ما أخذ من الأموال التي سلبها،
وأركبها أسيره، وساق بها مدة يسيرة، فبعد سيرها يومين أو ثلاثة قلقت،
ونادت بلسان حالها ما لهذا خلقت، فلما لم تجد مشتكيا مما شكت، توكلت
على الله وبركت، فأنزلوا الراكب عنها وصاحوا عليها فلم تقم، فحلوا أحمالها
وضربوها فلم تتحرك، فأوجعوها ضربا، وأتبعوها لعنا وسبا، وتلك المباركة
باركة، فأداموها وهم يضربونها، إلى أن كادوا يهلكونها، فمن شاحط بمقدمها
ومن جاذب بمؤخرها، ومن متعلق بقرنها، ومن متشبث بأذنها، وهي جاثمة
مشبهة، فيل أبرهة، فعجزوا عنها، وأيسوا منها، فبينما هم على ذلك، وقد
ضاقت عليهم المسالك، وإذا بشيخ كوسج، كأنه شجرة عوسج، قد سلك المشارق
والمغارب، ومرت به أنواع التجارب، وقاسى برد الأمور وحرها، وذاق
حلوها ومرها، وعرف خيرها وشرها، مر بهم، وهم في كربهم، فلما رآهم

ولما رحلوا عن دمشق كان معهم بقرة

أسارى، عاجزين حيارى، سكارى وما هم بسكارى، قال فتحوا عنها أي جنة،
ثم دنا منها دنو الراقي من ذي جنة، وأخذ كفا من تراب، أنعم من عيش
الشباب، ثم قبض على قرنها، وصبه في أذنها، ثم هز رأسها في مناخها،
حتى وصل التراب إلى صماخها، فوثبت قائمة، وهي من ذلك الرغام
راغمة، وجعلت تنفض رأسها، وزادت اضطرابها وشماسها، وطلبت
المسير، وكادت تطير، فأعادوا عليها أحمالها، وزادوا أثقالها، فصارت
تلك البليهاء، تعدو ولا يقدر عليها، فصل وكان في عسكره من الترك
عبدة الأصنام، وعباد النار من المجوس الأعجام، وكهنة وسحرة، وظلمة
وكفرة، فالمشركون يحملون أصنامهم، والكهان يسجعون كلامهم، ويأكلون
الميتة والدم المسفوح، ولا يفرقون بين مخنوق ومذبوح، وناس حزاؤون
وزواجر خراصون، ينظرون في ألواح الضأن، ويحكمون بما يرون فيها على
أحوال كل مكان، وما حدث في كل بقعة، من الأقاليم السبعة،
من الأمان والخوف، والعدل والحيف، والرخص والغلاء، والسقم
والشفاء، وسائر ما يكون، فلا يكادون يخطئون، ولهم أيام وشهور
وأعوام، كل عام منسوب إلى حيوان يحسبون بها ما مضى من السنين
فلا يتأتى فيها زيادة ولا نقصان، وفي الخطا لهم خط يسمى دلبرجين
رأيت حروفه أحدا وأربعين، وسبب زيادته أنهم يعدون التفاخيم
والـ[illegible]ات حروفا وكذلك الين بياء فتتولد الزوائد، وكل
حرف زائد، وأما الجغتاي فلهم قلم يسمى أويغور، وهو
بالقلم المغولي مشهور، وعدته أربعة عشر حرفا وهن مقطعاته

ـب ـو ـقـب ـو ـب ـهـب ـقـب

آ با قا وا سا قا

فصل وكان في ع

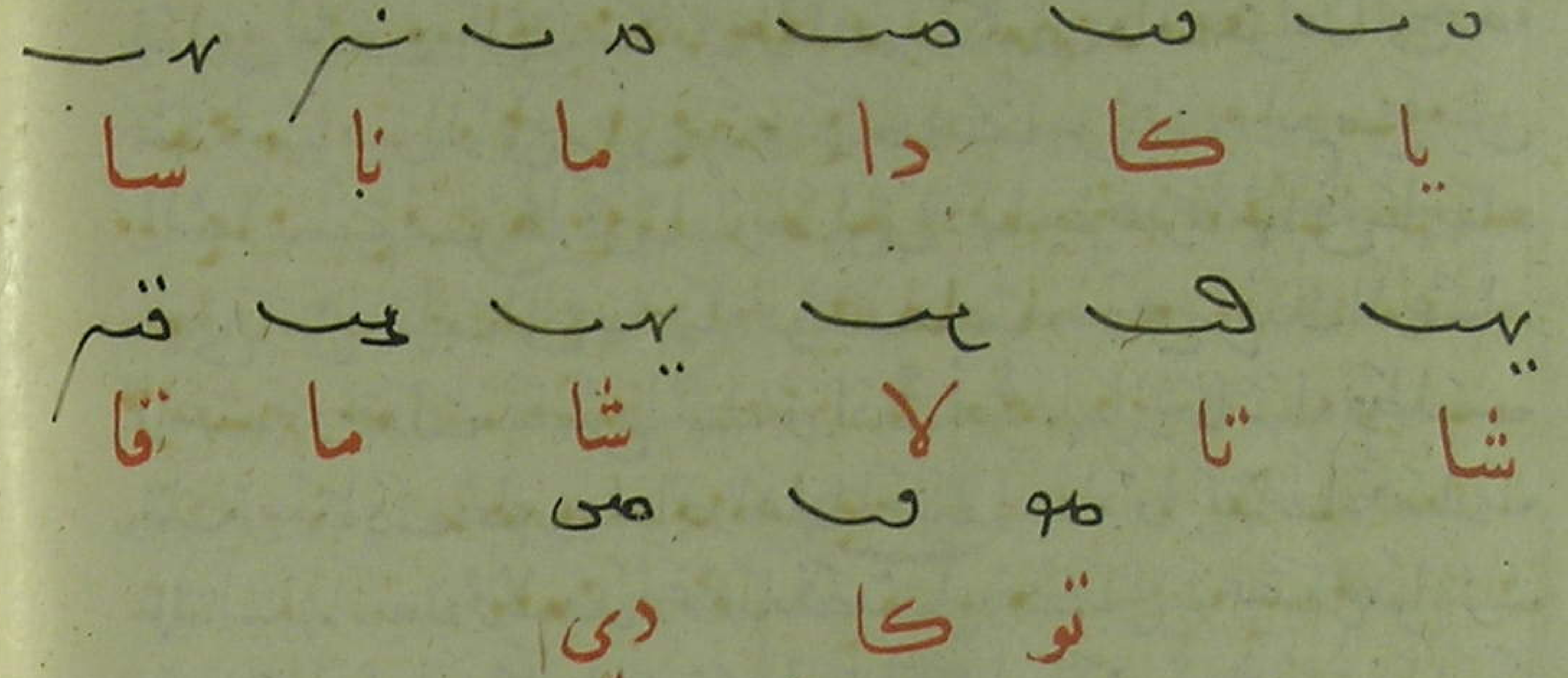

وهذه موصلاته

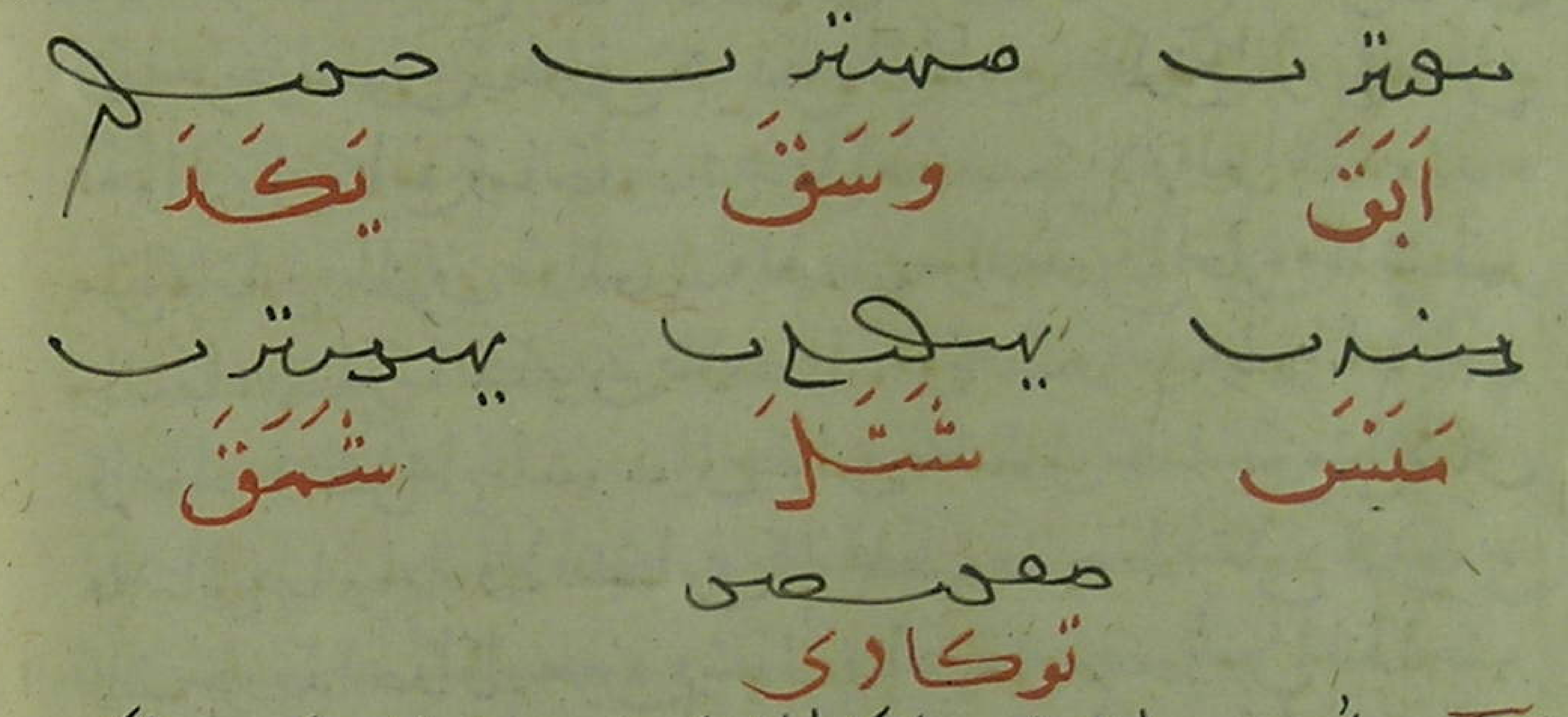

وسبب نقصانه والخصاره فى هذا العدد ان حروف الحلق يكتبونها على
هيئة واحده وكذلك تلفظهم بها ومثل هذا الحروف المتقاربه فى
المخرج مثل البا والفا ومثل الزا والسين والصاد ومثل التا والدال
والطا، وبهذا الخط يكتبون تواقيعهم ومراسيمهم، ومناشيرهم ومكاتيبهم،
ودفاترهم ومخازيمهم، وتواريخهم واشعارهم، وقصصهم واخبارهم،
وسجلاتهم واسفارهم، وجميع ما يتعلق بالامور الديوانيه، والتورا

الجنكيزخانيه، والماهر فى هذا الخط لا يبور بينهم، لانه مفتاح الرزق
عندهم، فصل وكما كان فيهم من جبل على الفظاظه، والقسوه والغلاظه
ومن هو قليل الرحمه بل وعديم الاسلام، كفره فجره اوغاد اندال
طغام اغنام، قد اتخذوه من دون الله هاديا ونصيرا، واستكبروا به
فى انفسهم وعتوا عتوا كبيرا، استحرهم كفرهم وحبهم اياه، الى انه لو
ادعى النبوه او الالهيه لصدقوه فى دعواه، كل منهم يتقرب الى الله تعالى
بتره، ينذر له اذا وقع فى شده ويفى بنذره، واستمر على اعتقاده الباطل
وكفره، مدة حيوته وبعد موته ينقل النذور ويقرب القربان الى قبره،
وكان ترقى معه فى المصاحبه، حتى وصل الى مقام المراقبه، قيل انه
كان فى سفر فراى واحدا من العسكر، كان الكرى عطف رقبته،
او السرى امال شقته، او على حال لا يتوجه اليه فيها لوم ولا عتب
فضلا ان يترتب عليه ضرب او سب، فقال تيمور ترى ما ثم احد قاطع
يقطع راس هذا الفاعل الصانع، ولم يرد على هذا الكلام، فسمعه واحد
من اولئك الكفره اللئام، اسمه دولت تيمور، وهو امير كبير مشهور،
قد البسه الله ثوب النقمه، ولم تشمه شيا من روائح الرحمه، ففى
الحال سل راسه من بين كتفيه، وحمله الى تيمور ووضعه بين يديه،
فقال تيمور ويلك ما هذا الامر الافظع، فقال هذا الراس الذى اشرت
ان يقطع، فاعجبته هذه العباره، واتبهج بان امره ممتثل بادنى اشاره، ٥
كان فيهم الظرفا والادبا، والاذكيا والشعرا، ومنهم فى الفضل
اعلام وعلما، وفيهم المحقق، والباحث فى العلوم والمدقق، ومن شارك
فى كل العلوم، وبحث فيها بحثا شافيا من طريقى المنطوق والمفهوم،
وتبحر مذهب الصوفيه واحيا العلوم، ومع هذا فبعضهم يمضى على
مقتضى ما علمه، وكان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمه،

وبعضهم كان مع رقة الحاشية • واللطافة الفاشية • والعلم الوافي
والظرف الشافي • والجمال الفائق • والكمال الشائق • والكلام الرائق • قلبه
أقسى من الحجر • وفعله أنكى من ضرب الصارم الذكر • يقولون من خير قول
البرية • ويمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية • وإذا وقع مسلم في
مخاليبهم • أو ابتلى غريب بتعذيبهم • صنّف ذلك العالم المحقق والحبر المدقق •
في استخراج المال منه أنواع العذاب • وأصناف العقاب • واستحضر
في فنون تعذيبه كتبا ومسائل • وسرد في علومه تشويبه خطبا ورسائل •
فيصير ذلك المسكين يتلوى • ويستغيث ويتلوى • ويستجير بالله وآياته •
ويستشفع بكل ما في أرضه وسماواته • من ملك ونبي • وصديق وولي •
وذلك المليح يضحك ويتطارف • ويتمايل ويتلاطف • وينشد لطائف
الأشعار • ويتمثل بطرائف النوادر والأخبار • وربما تحزن وبكى • وتأوه
لما يفعل بذلك من التعذيب واشتكى • وصار كبعض قضاة الإسلام •
المستولي على أموال الأيتام • يخطب ويبكي • وفعله في قلوب المسلمين
ينكي • لما كانوا في دمشق دخلوا إلى بيت واحد من الأعيان من رفاق العجم •
وإذا هو مملوء من النفائس والخيرات والنعم • شعر

قصر عليه تحية وسلام • خلعت عليه جمالها الأيام

فقبضوا على صاحب المنزل وربطوه • وبأنواع العذاب والعقاب عذبوه •
ثم أحكموا رجليه شدا وعلقوه • واستخرجوا النفائس • واستجلوا من
حسانها العرائس • وأحضروا لذيذات المطاعم والمشارب • وقضوا من
التفكه والتنعم ما لهم من مآرب • وجعلوا يأكلون ويشربون • ويلهون
ويطربون • وإذا تحرك في واحد منهم الخبث • أو مال واحد في سكر
العبث • عمد إلى ذلك المسكين وهو في شدة النكاد • فسقاه الماء والملح
وسفّه الكلس والرماد • وكان فيهم عالم متشيف عن تناول المسكرات

متعفف • كما قيل شعر

عجبت من شيخي ومن زهده • وذكره النار وأهوالها
يكره أن يشرب من فضة • ويسرق الفضة إن نالها

وكانوا إذا أداروا القدح المزعفر • أحضروا له السكر المكرر • ووضعوه
له في صيني الخوافق • وصبوا عليه الماء الرائق • فيسكرون هم بالأقداح
القوادح • ويسكر ذلك الفاسق المحروم من الروائح • ثم يتوجه إلى صاحب
المنزل • ويضحك عليه وهو في أشد ما يكون من العذاب ويتحزن منه
ويهزل • ثم يتمايل على صوت المثاني والمثالث • ويتناول من تلك المآكل
والمشارب ويقول بئس مال البخيل لحادث أو وارث • وكان في
عسكره كثير من النساء • يلجن معامع الهيجاء • ووقائع البأساء • ويقابلن الرجال
ويقاتلن أشد القتال • ويصنعن أبلغ ما يصنع فحول الرجال في النزال •
من طعن بالرمح وضرب بالسيف ورشق بالنبال • وإذا كانت إحداهن
حاملا وأخذها وهم سائرون الطلق • تنحت عن الطريق واعتزلت الخلق •
ونزلت عن دابتها ووضعت حملها • ولفته وركبت دابتها وأخذته ولحقت
أهلها • وكان في عسكره ناس ولدوا في الثغر • وبلغوا وتزوجوا وجاءهم
الأولاد ولم يسكنوا الحضر • وكان في عسكره ناس صلحاء عباد •
ورعون زهاد • أجواد أمجاد • لهم في الخيرات أوراد • وفي وردها أصدار
وإيراد • دأبهم خلاص مأسور • أو جبر مكسور • أو إطفاء حريق • أو إنقاذ غريق •
أو اصطناع معروف • أو إغاثة ملهوف • مهما أمكنهم • ووصلت إليه يدهم •
إما بقوة وأيد • وإما بنوع خديعة وكيد • وإما باستيهاب واستشفاع •
أو تعويض وابتياع • وكانوا أسارى معه بالاضطرار • أو دائنين معه
لهذه المعاني بالاختيار • حكى لي مولانا جمال الدين أحمد الخوارزمي
أحد القراء المشهورين المجودين • وكان إمام محمد سلطان في حبوته •

حكي جمال

وامام مدرسته بعد وفاته، ثم خطيب بروسا وبها ادركته المنية، سنة احد
وثلاثين وثمانمائة، رحمه الله تعالى، قال كنت في سمرقند في مدرسة محمد
سلطان اعلم مماليكه واولاد الامراء القرآن، فارسل اليه جده الظلوم،
وهو متوجه الى بلاد الروم، ان يتوجه اليه، ونفذ هو والامير سيف الدين
عليه، فامتثل ما به امر، واخذ في اعداد اهبة السفر، وقال لي هيئ
مرافقك، واقطع علايقك، وخذ اهبة سفرك، واعمل مصلحة رهطك
ونفرك، ووافقنا في المرافقة، فان من حسن المرافقة الموافقة، فاستعفيته
من الذهاب، وفتحت له في سد خوخة السفر كل باب، وقلت له يا مولاي
انا رجل من اهل القرآن والفاقة، ما لي بفتح باب السفر من طاقة، لاني ضعيف
البنيان، رخو الاركان، لا جلد لي على الحركة، وان كان في صحبة مولانا
الامير كل خير وبركة، خصوصا على هذا السفر البعيد الشقة، الكثير
المشقة، ومع كوني ليس لي على ذلك من طاقة، لا جمل لي في مناخ السفر
ولا ناقة، واما انتم فالسفر عليكم حتم لازم، وحق ملازم، لا يسعكم فيه
التخلف، ولا يفسح لكم فيه المطل والتسوف، فلم يعفني، وتعللت بعلل اعلى
فيها ولم يشفني، فلم ار بدا من الاستعداد، وتحصيل الرفيق والزاد، ثم سرنا
حتى وافينا جند، وقد ركب في الجادة جده وجد، ورأينا من تلك العساكر
بحارا لا اول لها ولا آخر، ان انفرط احدهم من سلك جماعته، او ضل
معترا لا عن شتى شتته، لا يصل اليهم بالركض والسعي، ولا يهتدي الى
شتة جماعته الا ان كان يوم الجمع، فبينا انا معهم اسير، وقد وهن مني
العظم الكسير، واثر في التعب، واخذ مني النصب والوصب، ومللت
السرى، وعدمت الكرى، نفضت يدي من الرفيق، واخذت على نحوة
من الطريق، فلما ان خلوت، هنمت بالقرآن العظيم وتلوت، ثم استهواني
الذوق والشوق فخلقت من اشيق حلقي الى فوق، وكان صوته اطيب

من رقيق المقطوع على رخيم الموصول، والذ من جمع شمول على كاس شمول
بنسيم الشمال معلول، وبرضاب الحبيب مشمول، قال واذا برجلين
ضعيفين، كالعود البالي نحيفين، اشعثين اصفرين، ذوي طمرين
اغبرين، تضرا بي عن جنب، وعلقا بي علوق الوتد بالطنب، فجعلا يراقبان
احوالي، ويستمعان لاقوالي، فلما زمزمني، وكففت هيمنتي، وكتمت في
خزانة صدري جواهر كلماتي، وختمت بطابع دعائي زواهر آياتي،
تكيا المناجاتي، وامنا على دعواتي، ثم اقبلا نحوي وسلما، واهتزا لما
سمعاه من تلاوتي وترنما، وقالا احيى الله قلبك كما احييت قلوبنا، ومحوت
بما سطرت في الواح صدورنا بحسن تلاوتك ذنوبنا، ثم انهما آنساني بالخطاب
وجاذباني بالسؤال والجواب، واذا هما من صميم الجغتاي وخالص عسكر
تيمور، ومن صنصي التار وسنخ الفتن والشرور، ثم سالاني عن نجاري
ونجاري، وعن رفيقي في هذا السفر وجاري، فاخبرتهما عن مولدي ومحتدي
ومسقط رأسي من بلدي، واني من اهل القرآن، واني مع محمد سلطان،
فقالا يا سيدنا الشيخ انما جئناك لنحتش البناء، وانا سائلوك عن شيء
فلا تجد فيه علينا، فقلت قولا وطولا، فلن تجدا بي ملولا، فقالا يا
مولانا، هذا شيء يعنينا وان كان قد عنانا، وكل من اشتغل بما لا
يعنيه، فقد ترك ما يعنيه، ووقع فيما يعنيه، ومن لم يعرف الخير من
الشر يقع فيه، فبالله يا سيدنا قل من اين ناكل، فقلت على خوان
محمد سلطان، فقالا اما كون هذا العسكر حلالا، ام حرام وو بال
فقلت الغالب عليه الحرام، بل كله والله مظالم وآثام، لانه من
التاراج والنهب، والغارات والغصب، والاختلاسات والسلب
فقالا والله يا امام، لقد اسأنا الادب اذ واجهناك بهذا الكلام، ولكن
انتم اهل العلم، شيمتكم العفو عن الجاني والحلم، وانتم اولى بخبر الكبير

وفك الاسير، وتيسير الامر العسير، فقابل منا هذا الفحص بالصفح، ولا تعامل هذا الالحاف باللفح، فقلت سلا، ولا تسلسلا، فقالا نسالك بالله الذي اصطفاك لحزن كلامه، الذي تعبد به عباده وبين لهم فيه معالم حلاله وحرامه، لا تواخذنا بما نجمنا عليك به، فان الشيخ المرشد كالوالد الشفوق لا يواخذ ولده بقلة ادبه،
فقلت كلا سلا ما شئتما، وسلسلا مهما اردتما، فقالا يا سيدنا اما كان لك مندوحة عن موافقة هولاء اللئام، والتعفف بالحلال استغناء عن الحرام،
فقلت اني دخلت فيهم وانا مضطر، وخرجت معهم وانا كاره مجبر، واكرهني محمد سلطان، وحاباني بما حاباني به من الاحسان، فصحبتهم وعبدائي من محل الراحة مزهى، وحملتني فرسي في سفري كرها ووضعتني كرها، فقالا ارايتك لو امتنعت من الخروج اكانوا يريقون دمك، ويا سرون اولادك ويسبون حرمك،
فقلت لا والله، وحاشا لله، فقالا اكانوا يضربونك ويحبسونك، وفي مقام المصادرة يجلسونك، قلت انا امنع جنابا، ان يسوموني خسفا وعذابا، لاني حافظ القرآن، والقرآن حافظي من هذا الخذلان، قالا فغايته فعلهم معك اذا راوا تعززك وتمنعك، انهم كانوا يشتمونك، ويعمدون الى معلومك فيقطعونك، ويسخطون عليك، ويمنعون برهم الواصل اليك، قلت ولا كانوا ايضا يفعلون كذا، وتعززي وتمنعي ما يحط من مكانتي عندهم الى هذا الاذى، ولكنهم حابوني فاستحييت، وخادعوني فانخدعت وليتني ابيت، فقالا لا يصلح هذا لك عذرا وحجة، ولا يسلك بك الى صحة الاعتذار بين يدي الله تعالى سواء المحجة، فهلا جلست في مكانك، واشتغلت بتلاوة قرآنك، ومطالعة علمك ومباحثة اخوانك، وفرغت يدك عن الكلال، وملات بطنك من الحلال، واحتميت في حمى دينك عن هولاء اللئام، واسترحت من الاضطرار الى تناول الحرام، مع انا سمعنا من امثالكم، ما قد ضرب في امثالكم، اهل القرآن وقاصته، اهل الله وخاصته، وانهم عتقاوه بين خلقه، وبركاتهم ادر سحاب رزقه، وان

السلاطين ملوك الناس اجمعين، وانكم انتم ملوك الملوك والسلاطين، واذا اعتقكم الله واعفاكم الناس، وصرتم لانسان العالم بمنزلة القلب والكبد والراس، ولم يبق لاحد عليكم سلطة، ثم القيتم انتم انفسكم بايديكم الى هذه الورطة، وتهافتم على التهالك تهافت الفراش على النار، وتشبثتم مع كونكم قادرين على الخلاص باذيال الفقر والاضطرار، فكيف يصح الاعتذار، واني ينجيكم هذا العذر من عذاب المليك الجبار، وهل صرتم الا كما قيل شعر

معاشر القراء يا ملح البلد، ما يصلح الملح اذا الملح فسد

فقلت انا اذ حرمتما القضية، وكلنا في هذه المصيبة سويه، مفرد

اني مثل ما بك يا حمامة فاندبي، وقيل شعر

اني مثل ما بك يا حمام البان، انا بالقدود وانت بالاغصان

فبكيا وانتحبا، وتاوها والتهبا، وتنفسا الصعدا، وقالا واين ما بين قصتنا وقصتك في المدى، فوثب الخافقين ان بين القصتين لبعد المشرقين ولكن ما للمقال مجال، وما كل ما يعلم يقال، واين السر من الاعلان، وان الحيطان لها آذان، فقلت هذا ايضا ليس بحجه، فلا تعدلا عن سواء المحجة، فقالا نحن المضطرون جبرا، الماخوذون قهرا او قسرا، فانا مكتوبون في الديوان مضافون الى واحد من اعيان الاعوان، اذا ورد علينا مرسوم بالبروز في يوم عيد مثلا او نوروز، ويكون الخروج وقت الظهر، وتاخر واحد منا الى وقت العصر لم يكن له جزا فيما ارتكبه، الا الصلب او ضرب الرقبه، فضلا عن ضرب وشتم وشناعه، او دفع عدل او تقديم شفاعه، واين انت عن قعود منا او تخلف، او استتار بذيل توار او توقف، فنحن مدا الدهر لمثل هذا متوفزون، وعن مثل ما جرى على اضرابنا من هذا البلاء متحرزون، مصيخون ابدا لما اشار وما امر، عاملون بمقتضى رحم الله من راى العبرة في غيره فاعتبر، وبا ليتنا امكننا التحويل عن مملكته، والرحيل عن اقليم ولايته وسلطنته، وكيف لنا

بذلك وهي مسقط رأسنا ، ومحل انا سنا ، ومحط ابا ستنا ، وابلاف رحلتنا ، ومزدرعات
معيشتنا ، ومدرج اباينا ، ومخرج ابناينا ، ومقام قبايلنا وعشايرنا ، ومثابة
قاطننا وعابرنا ، ولو غاب من هوام قبايلنا جدجد ، فضلاً عن بلبل او هدهد ،
يحجف البانين سيل الظلم والحيف ، ويتحكم في رقاب سايرنا صايل الموت
بالسيف ، فاما اذ برزنا ، وعزمنا على المسير معه وتجهزنا ، فنسال كم سنة
يغيب ، واي جهة يريد ذلك المريد المريب ، فناخذ اهبتنا لذلك المقدار ،
وكل منا ابن عم للاخر وجار ، وله جرابة فيه سويقه ، ومعه كلفة نفسه
وفرسه وعليقه ، نصوم مدى الدهر ونفطر على ما يسد الرمق ، ونلبس ما
يستر العورة من رث الثياب والخلق ، كل ذلك من زرع ايدينا وكدنا ، وما بذلنا
فيه من عرق جبيننا والحلال غاية جهدنا ، لا نتعرض لمال احد ولا لعرضه ،
ولا نقف في طريق ابرامه ولا نقضه ، ولا لاحد عندنا نشب ، ولا بيننا وبين
احد علاقة ولا سبب ، ولكن يا مولانا البلاء الطام ، والمصاب العام ،
ثم رقصا رؤسهما يميناً وشمالاً ، وارتعدت فرايصهما هيبة وجلالاً ، وابيضت
شفاههما ، واسودت جباههما ، واخذا في البكاء والعويل ، وانتحبا الانتحاب
العريض الطويل ، فوالله لقد ذابت نفسي لديهما ، واستصغرت كبار المشايخ
بالنسبة اليهما ، وتفكرت فيما هما فيه من شدة الامر ، وعلمت انهما هما
القابضان بكفيهما على الجمر ، ثم تاوهت اهاً بعد اه ، وقلت بالله يا اخوتاه
وما هذا البلاء الطام والمصاب العام الذي ذكرتماه ، قالا اخيولنا ومواشينا
وحوامل بهادننا وغواشينا ، نرفق بها في التحميل ، ونباركها الا وقت الاعياء
في الرحيل ، وامر ضيمها قصم ظهورنا ، واعجز امورنا ، واضطرنا الى الخوض في
دماء المسلمين واموالهم ، والجانا الى رعي زروعهم وتحمل وبالهم ، وما ندري كيف
المخلص ، واني نخو من ذا المقتص ، فبالله يا سيدنا الشيخ هل تجد لنا في هذا
الامر رخصه ، او هل من قطرة برود تطفي من هذه الحرارة وتسكن شرو هذه

الغصه ، فقلت لا والله ، الا عناية الله ، وايم الله لقد اشبعتماني شراً ،
وجرعتماني صبراً ومقراً ، واوسعتماني نكداً وضراً ، وكان هموم ما بي من نصبي
وعدابي تكفيني ، والى يوم تكفيني ، فقد زدتما بلاء على بلائي ، وعناً فوق
عنائي ، فبالله من انتما ، وما اسماؤكما ، وفي اي قطر ارضكما وسماؤكما ،
ومع من انتما ، فحييتما ما حييتما ، فخبراني ولا تخيراني لاجي كل وقت اليكما ،
وافوز بالسلام عليكما ، فقالا يا مولانا ، الحمد لله الذي بروئيتك حبانا ، ٥
ان معرفتنا لا تجديك شيئاً ولا تبرك ، وعدم المعرفة بنا لا يوذيك ولا يضرك ،
والغالب على ظننا يا مولاي ، انك بعد اليوم لن ترانا ، وان قدر اجتماع فنحن نسعى
على رؤسنا اليك ، وخليفتنا الله والسلام عليك ، ثم ودعاني وما وقفا ،
واودعاني اليم الفراق وانصرفا ، هذا من البحر قطره ، ومن الطود ذره ،
ونسال الله سبحانه وتعالى ان يصون عن الزلل اقوالنا ، وعن الخطل والخلل
افعالنا واحوالنا ، بمنه ويمنه اخراً والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله
على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ٥

خاتمه ٥ بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ادب عبده احمد فاحسن تاديبه ، وخصه اذ رباه يتيماً وانشاه
غريباً بكل يتيمة وغريبه ، واظهر له في بيان بديع المعاني منهج كل فن
واسلوبه ، فاعجب اهل زمانه اذا عجزهم بما اتيهم به من كل اعجوبة ، احمده
حمداً تفتقت في رياض الابه انوار فصاحته ، واشكره شكراً تعبقت في ارباض
نعمايه ازهار بلاغته ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة
طابق خبرها الواقع والاعتقاد ، واسندت الى حقيقة الصدق فصادفت
حقيقته الاسناد ، فنطق الايمان باقوالها ، وتعلق الاسلام بافعالها ،
واشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي انشا اخبار بعثته على التوحيد
وقصر فصل رسالته على وصل الاخلاص بالتعبيد ، صلى الله عليه صلاة باقية

بقا اعجازه موصوله بطنب الاطناب وصل فصيح الكلام بايجازه وعلى آله سماع
واصحابه شموس الفصاحه وبدور افلاك البلاغه وسلم تسليما كثيرا
اما بعد فيقول العبد المفتقر الى مولاه المعترف بتقصيره وخطاياه
المغترف من بحار كرمه وعطاياه الراجي في حدايق المغفرة ثمرة العفو مما
جناه احمد بن محمد بن عبد الله الحنفي مذهبا العجمي لقبا الدمشقي مولدا
السني معتقدا عامله الله بما كان اهله وحفظ عليه دينه وعقله
لما كانت الدنيا دار انقلاب ومحل تغير واضطراب قدمت على الاخرى
للاكتساب اما لجزيل الثواب واما لوبيل العقاب وكان سيرها سريع
الاحثاث واذا مات ابن ادم انقطع عمله الا من ثلاث اردت ان يخلد لي
ذكر ويجول لي في خواطر الاخرين فكر لعل رحمة تتبعني او دعا صالحا
ينفعني فنادى لسان الحال لا اجل عندك تهديها ولا امال واما الاولاد
فليت صالحهم كفاني شره ووازن في حيوتي نفعه ضره فلم يبق الا علم ينفع
او افاده ترفع وقد صنف العلماء في كل فن من العلوم ما بلغوا فيه الغايه
وتدرجوا في تقريره وتحريره من البدايه الى النهايه وعنوا معانيه متونا
وشروحا وبينوا الخفا وبه خفاء ووضوحا مع ان درس العلم قد درست
وحدايق رياضها ذبلت ويبست وصار الكلام فيها عيا والمثوى في تحقيقها
وتدقيقها نيا ولم يبق لطالب العلم به انتفاع الا انه اذا احتاج الى القوت
عرض كتبه للبياع غير ان بعض كبراء العصر ورؤساء الدهر وبقايا
الاكياس متشوقون لتواريخ الناس ومتطلعون لمعرفة احوال من سلف
من ذنب وراس ومستشرفون لسالف الاخبار كيف كان امر الناس فيه
وصار ولم يكن فيمن مضى من هذه الامة وانقضى من متغلبيها وبغاتها
ومتمرديها وطغاتها مسلمها وكافرها مقسطها وجايرها عاتيها ومواتيها
مصادقها ومعاديها صالحها وطالحها سانحها وبارحها غابرها ودارجها

ولها

غابرها وخارجها مثل تيمور الاعرج ولا اعبر منه في العتو ولا اخرج سير كلها
عبر وكل عبرة منها فيها سير اموره اظهر من ان تخفى وما اضرمه من قبايل الفتن
شرقا وغربا اعظم من ان يطفا فقصدت ما ذكرته وذكرت ما قصدته
وتوخيت الافاده والاعتبار لا التفاخر والاشتهار فاعترضتني نوايب الخطوب
وكثرت دون مرامي انياب القطوب وجبهتني يد الردع وصدمتني قارعة
المنع بان اكبر الكباير في هذا الدهر الداير ادب اديب او فضل اريب
او علم عالم لا سيما غريب لقد كره الاديب والفقيه كراهة التحريم لا
التنزيه وقد تقرر هذا في الاذهان ورسخ ولهم الذنب اذ بدا هم او كتبا
وفوهم نفخ ثم ذكرتني شاني وخاطبتني بلساني وقالت شعر

انصرف غض العمر في طلب العلى ... فتطمى اكبادا وتسهر اعينا
تقاسي صروف الدهر فقرا وغربة ... وبعدا عن الاوطان للقلب موهنا
وعيلة اطفال ضعاف كانهم ... جوازل زغب اهلكتها يد الضنا
ففي مثل تلك الحال ما كنت ضايعا ... وكنت بنفس فقرها واسع الغنا
الى ان حباك الله فضلا ورفعة ... وحزت فنونا من علوم لها سنا
فصرت عزيزا في البرايا مكرما ... وطار الى الآفاق من صيتك الثنا
وقد سل فوق الراس سيف مشيبه ... وهل بعد هذا عمر معترك الفنا
اتخشى ضياعا بعد ذاك وعيلة ... فتزهد من فقر وترغب في الدنا
فتبذل وجها طالما صنت ماءه ... لك الله لا تفعل وكن متمكنا
وهل في الورى من يرتجى لملمة ... وان قيل من للمكرمات يقل انا
فصن عن جميع الخلق نفسك واتكل ... على الله مولى لم يزل بك محسنا

فما انت ذو فضل بصدر منشرح لحط عنك واسترح فتضاعف الحال نشتنا
وزاد الكبد تفتينا وارتبكت في عزمين واشتبكت بين همين بين ان اسكت
فاضيع او ان اقول فلا يسمع فقدمت رجلا واخرت اخرى واستنهضت

جواد فكرى كرًّا وفرًّا . فقوانى صدق النية فيما هممت . وخلوص الطوية على ما
عزمت . وجمعت من بال متفرق . والفت من فكر متمزق . من قضايا بثمود الطويلة
العريضة نبذه . وجذبت بكنفا الافكار من قوس حكايايه جبذه . تتلت فى
بيانها من بديع المعانى العجيبه . وسلكت وقد صرفت نحو مشرق المنطق سنان
الكلام عضبه وشحذت غربه . فجاء بعون الله تعالى طريقة المعانى
كاملتها . لطيفة المبانى فاضلتها . قلت فى مرآة الادب .

بالفاظ الحافظ تشير الى النهى . تعلّم فنون السحر كيف يكون .

حوت دقة الجزل ودقته . ورياقة الغزل ورقته . ولطافة الادبا
وظرافة الشعرا . وفصاحة البلغا . وبلاغة الفصحا . وحقايق الحكما . ودقايق
العلما . مع الامثال الفايقه . والاستشهادات اللايقه . والاستطرادات
الرايقه . والتشبيهات الغريبه . والاستعارات العجيبه . ونوافث السحر
من علماء البيان . ونوادر المهرة من ارباب الديوان . ومزجت جليل التحمس
فيها برقيق التغزل . ونسجت جديد الجد بعتيق التهزل . وطرزت خلع ذلك
كله باعلام الايات الشريفه . ونقوش الاحاديث الكريمة المنيفه . اصبت
بكل ذلك محز القصد . وطبقت بحسامه مفصل المضرب قلت فى مرآة الادب

كان النهى قد كان عنى ناعسًا . فمر على اذنيه ما انلفظ .
فذاق لهذا الشهد صدق حلاوة . ففتح عينيه وجاء يلمظ .

فمن اراد التنزه فى التواريخ فعليه بمداومة تكرارها . ومن قصد التفكه فى لمن اراد التنزه فى التاريخ
رياض الانشاء فليقتطف بهى ازهارها . ومن سلك طرايق الادب فليجن
فى حدايقها جنى ثمارها . ومن رام التسلق الى ذروة العلوم فليتشبث باذيال
اشارها . ومن طلب الاعتبار بتقلبات الزمان فليتامل حقايق اخبارها .
ومن اعتنى بسياسة الملك فليتدبر دقايق اسرارها مع انى لم اوفها حقها فى
التهذيب . ولم تنل استحقاقها فى حسن الترتيب والتذهيب . لان الكلام

١٤٢

كالدر المنتظم . والدر المنسجم . لابد ان يتعانق لفظه ومعناه اولا وآخرا .
وتطابق عبارته وفحواه باطنا وظاهرا . والا اختل نظمه . واعتل فهمه .
وانحطت منزلته . وسقطت من سلم الفصاحة درجته . وهذا يحتاج
الى بحر ذهن صاف . ومعدن علم بكفا له ما يتم به عقود جواهره واف .
وذوق احلى من العسل . وفكر امضى من الاسل . ويحتاج كما قيل الى حاضر من
التوفيق ومعاون صالح من التنبه . فان غروب الالسنة ربما جاوزت الى
ما يثبت على القايلين الحجه . ومن لى بذلك . وانى تيسر لى سلوك هذه
المسالك . وكنت طالما افوق سهم النظر فى بيدا التامل نحو قنص معنى
دقيق . واصوب غواص الفكر فى دامآء التدبر الى جوهرة قصد رقيق .
حتى اذا قلت فاز القناص . وحاز الغواص . واذا بقاطع الشواغل قطع
بترس الحوادث على سهم خاطرى الطريق . وبتمساح الهموم التهم غواص
فكرى فاذا هو فى بحر الغموم غريق . فتسند فى وجه تصدى المسالك .
واصبح من نهار ازهر الى ليل حالك . قلت

فانى اسعى للنظم درًّا . ولم تظفر يدى منه بودعه

لكن لما كان الشروع ملزما . واتمام ما شرعت فيه متحتما . لم ار
بدا من الحام ما استدبته . واصمآء ما انميته . فصرت فى عوزه اقنع
واقوم . وفى بحوره اغطش واعوم . ان راق راكد الخاطر . اوحمى الفكر
الفاتر . وتذكرت من الكلام اوايله . الحقت بكل منه ما شاكله .
واذا ازعجه من الزمان الجفا . فتكدر منه ما صفا . وتبلدت الافكار .
وتولدت الاخطار . وتساوى عند بصر البصيرة الليل والنهار . قلت

اكمل كل سطر بعد شهر . وابنى كل بيت بعد عام
فلا اضع المحمول الا وقد حمل الموضوع . ولا اذكر الخبر الا وقد
نسى المبتدا . قلت مضمنا . شعر

كالد

والفكر كالبحر يبدي لي جواهره • مع الصفاء ويخفيها مع الكدر •

فتخرم القاعده • ويختلط راس المال والفايده • فقل لي اني ينتظم لي قال •
وقد انفرط نظام الحال • هذا وان الكلام له مقامات • ولكل من الفصاحه
والبلاغه درجات • قلت قد يما مترجما شعر

ما استوى في موقف افصاح منطبق ولو •
قد سحبا سحب سحبان واصمى الاصمعي •
فافتكر فيما ترى في منزل اغبى الورى •
هل ترى بتت تحاذي قبل بارض ابلعي •

واين من يوفي المقامات حقها • ويعطي كل مستحق منها مستحقها •
ولقد سلكت في هذا الكتاب مسلك ابناء العصر • وطريقه اولاد
الدهر • فان الناس بزمانهم • اشبه منهم بابائهم • ولو اخذت فيه اخذ
العرب العربا • والبسته في الفاظه ومعانيه ثوب الاستعصا والابا •
فابرزت ما قصدته من المعاني الجزلة العجيبه • في قوالب الفاظ
نحلة غريبه • لما التفت اليه • ولا عوك لقصور الهمم والافهام
عليه • ولما كانت المجازات المشهوره • خيرا من الحقايق المهجوره •
والغلط المستعمل اولى من الصواب المهمل • ابرزتها في اشارات رشيقه •
وعبارات رقيقه • وعملت في بعض المواضع بقوله شعر

عمدا كتبت مرهبا معتمرا • ولو اشا حكيته محبرا •

ثم ان بين هذا الكتاب • وبين ما صنفه قبله ذوو الاداب • لبونا
مديدا • وامدا بعيدا • بوجوه منها ان زمانهم كان بالرفاهيه يساعد •
وانا في عصر لا ساعد لي فيه ولا مساعد • ومنها ان وقتهم كان فيه
من يربي الفضل واهله • ويحل كلامهم محله • من الملوك والاكابر •
وذوي الفضايل والماثر • وارباب المناصب والمفاخر • واقل من فيهم كان

تحت

تحت السماع • وميل الى الفضل والادب بالطباع • وكان الفضل فضيله •
والادب خصلة جميله • واما الان فقد انقلب باهله الزمان فصار
حامل الفضل والادب من رهطه • والمنتظم من العلم في سلكه
وسمطه • كانه سارق عملته تحت ابطه • ومنها ان الافهام كانت
مدركه • وكانت لذلك قريحة المتكلم متحركه • فلقد صارت الافهام
جامده • والقرايح خامده • ونارها هامده • ومنها ان غالب ما صنف
اخبار كاذبه • وسهام اغراض غير صايبه • لانه لا واقع تطابقه •
ولا خارج توافقه • فعمد مصنفها الى ما عقدته مخيلته • وتوهمته
مفكرته • فالف حسبما اراد • واسس على مقتضى اختياره ما شداه وشاد •
واما هذا الكتاب فاخباره صادقه • وكلماته بالصدق ناطقه •
اذ هي الواقع للخارج مطابقه • فابداها منشئ الخاطر واعاد • على طبق ما
اريد منه ووفق ما اراد • وليتني في هذا وهذا كفافا • اخلص من
خيرها وشرها معافى • ولئن ساعدا الزمان بترفيه الحال • وخلا من
شكان الهموم ربع البال • لا تتبعن اثاره • ولاسترن بقدر الامكان
عواره • ولابذلن الجهد في ترقيحه • واصلاحه وتنقيحه • والا فالصفح
مامول • والعذر عند كرام الناس مقبول • والمسؤول من صدقات
ذوي الادب • البالغين في البلاغة اعلى الرتب • ان يسبلوا ذيل الاغضاء
عليه • وينظروا بعين الافاده والاستفاده اليه • ويقبلوا العثره •
ويقيلوا العذره • فيسدوا اسره • ويجبروا كسره • ويرتقوا خلله •
ويحققوا امله • راجين من لطف الله ما ارجو منهم • لعل الله سبحانه ان
يعفو عني وعنهم • مع انا كلنا في الهوى سوا • وانما الاعمال بالنيات •
ولكل امرء ما نوى • الحمد لله حمدا يملأ اردان الامكنه • ويعطر
جباشيم الازمنه • وصلى الله على سيدنا محمد صلاة تبلغ فابلها مامنه

واما هذا فاخباره

وتحله بشفاعته فى الفردوس الاعلى مسكنه، وعلى آله واصحابه الذين
استمعوا القول فاتبعوا احسنه، ونستغفر الله من حصايد الالسنه،
وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوه الا بالله العلى العظيم،

تم بحمد الله وعونه وحسن توفيقه على يد العبد الفقير،
الى عفو ربه القدير الحاج احمد بن عمر بن ابى بكر،
المصرى الشافعى غفر الله له ولوالديه،
ولمستنسخه ولمن نظر فيه ودعا،
لهما بالمغفره ولجميع المسلمين،
والمسلمات والمومنين،

والمومنات انه قريب مجيب الدعوات وذلك فى عشيه السبت المبارك
خامس عشرين شهر ذى الحجة الحرام عام اربعين وثمان مايه احسن الله عاقبتها

طالعه مولانا احمد الحنفى
[illegible]